حكايته وحكايتها

رواية



HIS & HERS

NETFLIX
INSPIRATION FOR
THE NETFLIX ORIGINAL SERIES
HIS & HERS

أليس فيني

ALICE FEENEY



حكايته وحكايتها

HIS & HERS





للمزيد من الترجمات

t.me/wadistreambooks

أليس فيني

ALICE FEENEY

حكايته وحكايتها

HIS & HERS

للمزيد من الترجمات

t.me/wadistreambooks

ترجمة

أ / كاميليا وليد

لم يكن حبًا من النظرة الأولى.

أعترف بذلك الآن. لكنني، في النهاية، أحببتها أكثر مما كنت أظن أن إنسانًا قادرًا على أن يحب. اعتنيتُ بها أكثر مما اعتنيتُ بنفسي يومًا. لذلك فعلتُ ما فعلت. لأنني كنت مضطرة. وأظن أنّ من المهم أن يعرف الناس ذلك حين يكتشفون ما اقترفت. إن اكتشفوه أصلًا. لعلّهم حينها يفهمون أنّني فعلته من أجلها.

هناك فرق بين أن تكون وحيدًا وأن تشعر بالوحدة. ويمكن للمرء أن يفتقد شخصًا ما وهو بجواره في اللحظة نفسها. مرّ في حياتي كثير من الناس: عائلة، أصدقاء، زملاء، عشّاق... تشكيلة كاملة من الوجوه المعتادة التي تُكوّن دائرة أي إنسان الاجتماعية، لكن دائرتي كانت — على الدوام — تبدو مشوّهة قليلًا. لم أشعر يومًا أن أي علاقة بنيتها مع بشر آخر حقيقية. كانت أشبه بسلسلة من الروابط التي لم تكتمل.

قد يتعرّف الناس على وجهي، وربما يعرفون اسمي، لكنهم لن يعرفوا حقيقتي أبدًا. لا أحد. كنت دائمًا بخيلة بأفكاري ومشاعري الحقيقية؛ لا أشاركها مع أحد. لأنني لا أستطيع. ثمة نسخة مني لا أكونها إلا حين أكون وحدي. وأحيانًا أفكّر *لعلّ سر النجاح يكمن في القدرة على التكيّف*. فالحياة نادرًا ما تبقى كما هي، وكنتُ مضطرًا مرارة إلى إعادة اختراع نفسي كي أستمر. تعلّمتُ كيف أغيّر مظهري، حياتي... وحتى صوتي.

وتعلّمت أيضًا كيف أندمج، لكن محاولة الاندماج باستمرار لم تعد مجرّد مشقّة، بل صارت مؤلمة. لأنني ببساطة لا... أندمج. أطوي زواياي الحادّة داخل نفسي، وأُخفي ما استطعت من اختلافاتي الواضحة عن

t.me/wadistreambooks

الآخرين، لكنني لست مثلكم. هناك أكثر من سبعة مليارات إنسان على هذا الكوكب، ومع ذلك قضيتُ عمري كلّه أشعر بالوحدة.

أنا أفقد عقلي... وليس للمرة الأولى. لكن العقل — كما يبدو — قد يضيع ثم يُستعاد. سيقول الناس إنني انهرت، أو فقدت السيطرة، أو خرجت عن طورِي. لكن حين حان الوقت، كان ما فعلتُه — بلا شك — الصواب. شعرتُ بالرضا بعدها. أردتُ أن أفعله مجددًا.

هناك دائمًا على الأقل جانبان لأي قصة:

جانبك وجانبي.

حكايتنا وحكايتهم.

حكايته وحكايتها.

وهذا يعني أن أحدهم يكذب دائمًا.

الاكاذيب حين تُقال بما يكفي من التكرار تبدأ باكتساب رائحة الحقيقة. وأحيانًا نسمع داخل رؤوسنا صوتًا يقول شيئًا صادمًا إلى درجة أننا نتظاهر بأنه ليس صوتنا. وأنا أعرف تمامًا ما سمعتُه تلك الليلة، بينما كنتُ واقفًا في المحطة أنتظر عودتها الأخيرة. في البداية، بدا هدير القطار في البعيد مثل سائر القطارات. أغمضتُ عينيّ، فصار أشبه بموسيقى؛ أنشودة إيقاعية تصنعها العربات على السكة، تزداد ارتفاعًا مع اقترابها:

كليك ـ تي ـ كليك. كليك ـ تي ـ كليك. كليك ـ تي ـ كليك.

ثم بدأ الصوت يتبدّل، يتحوّل داخل رأسي إلى كلمات واضحة، تتردّد بلا انقطاع، حتى صار تجاهلها مستحيلًا:

اقتلوهم جميعًا. اقتلوهم جميعًا. اقتلوهم جميعًا.

-١-

حكايتها

آنا أندروز

الاثنين – السادسة صباحًا

لطالما كان يوم الاثنين يومي المفضل.

فرصة للبدء من جديد.

صفحة شبه نظيفة، ما زال غبار الأخطاء القديمة عالقًا على أطرافها؛ ظاهرًا... ولكن لم يُمحَ تمامًا.

أدرك أن رأيي هذا غير شائع – أن يحب المرء أول أيام الأسبوع – لكنني معتادة على الآراء غير الشعبية. رؤيتي للعالم تميل دائمًا قليلاً إلى الجانب. حين تقضين سنواتك في المقاعد الرخيصة للحياة، يصبح من السهل رؤية ما يدور خلف الستار، خلف الدمى الراقصة على خشبته. وما إن تري الخيوط، ومن يحركها، يصبح من العسير الاستمتاع ببقية العرض. أستطيع الآن أن أجلس حيث أشاء، وأختار الزاوية التي أحب، لكن تلك الصناديق الفاخرة في المسارح لا تصلح إلا للنظر إلى الآخرين من علٍ. ولن أفعل ذلك أبدًا. كوني أرفض النظر إلى الوراء لا يعني أنني نسيتُ من أين جئت. لقد دفعت ثمن تذكرتي بالكد، وما زالت المقاعد الرخيصة تلائمني تمامًا.

لا أقضي وقتًا طويلًا في تجهيز نفسي صباحًا؛ لا جدوى من وضع المساحيق، ليزيلها شخص آخر ويعيد فعلها حين أصل إلى العمل. ولا

t.me/Wadistreambooks

أتناول الفطور. بالكاد آكل أصلًا، لكنني أحب الطهي للآخرين. على ما يبدو، أنا ممن يطعمون الآخرين أكثر مما يطعمون أنفسهم.

أتوقف قليلًا في المطبخ لألتقط الوعاء البلاستيكي المليء بالكعكات التي صنعتها للفريق. بالكاد أذكر متى صنعتها. كان الوقت متأخرًا، بلا شك بعد الكأس الثالثة من شيء جاف وأبيض. أفضل النبيذ الأحمر، لكنه يترك أثرًا واضحًا على شفتي، فأؤجله لنهاية الأسبوع. أفتح الثلاجة، فألاحظ أنني لم أنهِ نبيذ البارحة، فأرفع الزجاجة وأشرب ما تبقى منها مباشرة، ثم أحملها معي وأنا أغادر البيت. الاثنين هو يوم جمع القمامة أيضًا. وحاوية إعادة التدوير ممتلئة على نحو مدهش لشخص يعيش وحده. معظمها زجاج.

أحب المشي إلى العمل. الشوارع تكون شبه خالية في هذا الوقت، وهذا أمر يبعث على الهدوء. أعبر جسر واترلو، ثم أشق طريقي عبر سوهو باتجاه أكسفورد سيركس، بينما أستمع إلى برنامج "توداي". كنت أفضل الاستماع إلى الموسيقى، شيء من *لودوفيكو* ربما... أو *تايلور سويفت* بحسب مزاجي – فشخصيتي لها جانبان مختلفان تمامًا – لكنني أكتفي بتحمّل نبرة الطبقة الوسطى البريطانية وهي تخبرني بما يجب أن أعرفه. أصواتهم ما زالت غريبة على أذني، رغم أنها تشبه صوتي. لم أتحدث بهذه الطريقة دائمًا. لقد قدّمت نشرة أخبار الـ BBC للواحدة ظهرًا لما يقارب العامين... ومع ذلك ما زلت أشعر أنني مخادعة.

أتوقف عند صندوق كرتوني مفلطح أقلقني كثيرًا مؤخرًا. أرى خصلة شعر شقراء تبرز من أعلاه، فأدرك أنها ما زالت هناك. لا أعرفها، فقط أعرف أنني كان من الممكن أن أكون مكانها لو سلكت حياتي طريقًا آخر. تركتُ منزلي وأنا في السادسة عشرة، لأنني شعرت بأنني مضطرة. ما أفعله الآن ليس بدافع اللطف؛ بل بدافع بوصلتي الأخلاقية المختلّة. تمامًا كما فعلت في مطبخ الفقراء الذي تطوّعت فيه في عيد الميلاد الماضي. نادرًا

ما نستحق الحياة التي نحياها. ندفع ثمنها كما نستطيع؛ بالمال، أو الذنب، أو الندم.

أفتح الحافظة البلاستيكية، وأضع إحدى كعكاتي المصنوعة بعناية على الرصيف، بين صندوقها الكرتوني والحائط، كي تراها حين تستيقظ. ثم، خشية أن لا تعجبها كريمة الشوكولاتة — لعلها مصابة بالسكري مثلًا — أخرج ورقة نقدية من فئة عشرين جنيهًا وأزلقها تحت الكعكة. لا يزعجني أن تنفق مالي على الخمر؛ فأنا أفعل ذلك أيضًا.

يستمر راديو ٤ في إزعاجي، فأطفئ صوت آخر سياسي يكذب في أذني. صدقهم المصطنع لا يليق بهذا المشهد الحقيقي لأناس لهم مشاكل حقيقية. ولست لأقول ذلك علنًا، أو على الهواء في مقابلة. أتقاضى أجري لأكون محايدة مهما كانت قناعاتي.

ربما أنا كاذبة أيضًا. اخترت هذا الطريق لأنني أردت قول الحقيقة. أردت أن أحكي القصص التي تهم، والتي اعتقدت أن الناس يجب أن يسمعوها. قصصًا حلمتُ أن تغيّر العالم، وتجعل منه مكانًا أفضل. لكنني كنت ساذجة. العاملون في الإعلام اليوم يملكون سلطة تفوق السياسيين، ولكن ما جدوى قول الحقيقة عن العالم، حين لا أحتمل قول الحقيقة عن حياتي أنا: ماضيّ، وأصلي، وما فعلت.

أدفن تلك الأفكار كما أفعل دائمًا. أغلق عليها في صندوق سري محكم داخل رأسي، وأدفعه إلى أقصى زاوية مظلمة، متمنية ألا يفتح من جديد قريبًا.

أقطع الشوارع الأخيرة وصولًا إلى "برودكاستينغ هاوس"، ثم أفتّش حقيبتي عن بطاقة الدخول التي تضيع مني دائمًا. تلامس أصابعي علبة صغيرة من النعناع. ترتجّ حين أفتحها وأضع مثلثًا أبيض صغيرًا في فمي، كأنه حبة دواء. من الأفضل إخفاء رائحة النبيذ قبل اجتماع الصباح. أجد بطاقتي أخيرًا، وأدخل عبر الأبواب الزجاجية الدوّارة، وأنا أشعر بأن أعينًا

كثيرة التفتت نحوي. لا بأس. أنا بارعة في أداء النسخة التي يتوقع الناس رؤيتها مني. على الأقل في الظاهر.

أعرف الجميع بأسمائهم، حتى عمّال النظافة الذين ما زالوا يكنسون الأرض. اللطف لا يكلف الكثير، وذاكرتي شديدة البراعة رغم الخمر. بعد تجاوز الأمن — الذي صار أكثر دقة مما مضى، بفضل العالم الذي صنعناه لأنفسنا — أتطلّع نحو غرفة الأخبار، فتتملكني راحة تشبه العودة إلى البيت. غرفة الأخبار، المحشورة في قبو مبنى الـBBC لكنها مرئية من كل طابق، تبدو كخلية واسعة حمراء وبيضاء مضاءة بقسوة. تكاد الشاشات والمكاتب المتلاصقة تملأ كل شبر فيها، ولكل مكتب صحفي مختلف تمامًا عن الآخر.

هؤلاء ليسوا زملائي فحسب؛ إنهم عائلتي البديلة، المختلّة قليلاً. أنا على مشارف الأربعين، وليس لدي أحد. لا أطفال. ولا زوج. لم يعد. عملت هنا عشرين عامًا تقريبًا، لكنني — على عكس أصحاب العلاقات والامتيازات — بدأت من القاع. انحرفت مرات كثيرة عن الطريق، وكانت الحجارة التي عبرت عليها زلقة أحيانًا، لكنني وصلت في النهاية حيث أردت.

الصبر هو الإجابة لكثير من أسئلة الحياة.

ابتسم الحظ لي حين غادرت مقدمة النشرة السابقة البرنامج. داهمها المخاض قبل الموعد بشهر، وقبل خمس دقائق من نشرة الظهيرة. انفجرت مياهها... وحصلت أنا على فرصتي الذهبية. كنت قد عدت للتو من إجازة الأمومة — أبكر مما خططت — وكنت المراسلة الوحيدة ذات الخبرة التقديمية. خبرة حصلت عليها من نوبات عمل ليلية، مضنية، لا يريدها أحد. كنت متعطشة لأي فرصة تدفع مساري خطوة إلى الأمام. حلمت طوال حياتي بأن أقدّم نشرة إخبارية على الهواء.

لم يكن هناك وقت للمرور بغرفة التجميل. جروني إلى الاستديو، وربتوا على وجهي بالبودرة بينما كانوا يثبتون الميكروفون. مرّنت عيني على قراءة العناوين، وكان صوت المخرج في أذني هادئًا، دافئًا. لا أذكر الكثير عن أول نشرة قدمتها، لكنني لن أنسى التهاني بعدها. تحولت بعدها من "لا أحد" في غرفة الأخبار، إلى مقدمة شبكة... في أقل من ساعة.

رئيسي — الذي نطلق عليه "المراقب الهزيل" — رجل صغير محبوس داخل جسد رجل أطول مما ينبغي. يعاني عيبًا في نطق حرف الراء، مما يمنعه من ملء الجداول كما يجب، ويمنعنا من أخذه على محمل الجد. بعد نجاحي في ذلك اليوم، قرر أن أستمرّ للأسبوع. ثم الذي يليه. ثم لستة أشهر... ثم حتى نهاية العام مع علاوة لطيفة. ارتفعت نسبة المشاهدة بعدما بدأت تقديم البرنامج، فسمحوا لي بالبقاء. لم تعد هي، مقدمة النشرة، فقد حملت مجددًا وهي في إجازة الأمومة... ولم تظهر بعدها. وها أنا، بعد عامين تقريبًا، ما زلت هنا. وأتوقع تجديد عقدي في أي لحظة.

أجلس بين رئيسة التحرير والمنتجة الرئيسية، وأمسح مكتبي ومنضدتي بمناديل معقمة. لا يمكنني أن أعرف من استخدمه قبلي. غرفة الأخبار لا تنام، للأسف، ولا يلتزم الجميع بمعاييري في النظافة. أفتح خطة النشرة، وأبتسم؛ ما زال يُدهشني أن أرى اسمي في الأعلى:

مقدمة الأخبار: **آنا أندروز**

أبدأ بكتابة المقدمات لكل قصة. خلافًا للانطباع السائد، المقدمون لا يقرأون الأخبار فقط؛ نحن نكتبها أيضًا. أو على الأقل أنا أفعل. مقدمو الأخبار — مثل البشر — يأتون بكل الأشكال والأمزجة. هناك من ارتفعوا إلى درجة تجعلني أتعجب كيف ما زالوا قادرين على الجلوس، دعك من قراءة الأوتوكيو. سيُذهل الجمهور لو عرف كيف يتصرف بعض "الكنوز الوطنية" خلف الكواليس. لكنني لن أفضح أحدًا. عالم الصحافة مليء

t.me/wadistreambooks

بالحيّات أكثر من السلالم. الوصول إلى القمة يستغرق زمنًا طويلًا، وزلة واحدة قد تعيدك إلى القاع. لا أحد أكبر من الآلة.

تمرّ ساعات الصباح على إيقاعها المعتاد: تعديلات لا تهدأ في الخطة، مكالمات مع مراسلين في الميدان، نقاشات مع المخرج حول الجرافيك والشاشات. طابور من المراسلين والمنتجين ينتظرون دورهم للحديث مع رئيسة التحرير. معظمهم يريد فقط... مزيدًا من الوقت.

لا أفتقد تلك الأيام إطلاقًا: التوسّل للظهور على الهواء، والقلق حين لا يحدث. لا وقت يكفي لكل القصص.

الفريق أكثر هدوءًا من المعتاد. ألتفت نحو اليسار، فأرى المنتجة تخفي الجدول الجديد عند اقترابي. الجداول مصدر توتر دائم؛ تأتي متأخرة، ولا تلقى استحسانًا أبدًا، إذ توزع الورديات الأسوأ — الليالي، عطلات نهاية الأسبوع، المناوبات الليلية — فتحمل معها صراعًا لا نهاية له. أنا أعمل من الاثنين إلى الجمعة، ولم أطلب إجازة منذ ستة أشهر؛ لذلك، بخلاف زملائي المساكين، لا يوجد ما يثير قلقي بشأن الجدول.

قبل البرنامج بساعة، أذهب إلى غرفة التجميل. مكان هادئ نسبيًا مقارنة بفوضى غرفة الأخبار. يجففون شعري إلى قصة بنية هادئة، ويغطّون وجهي بطبقة أساس عالية الدقة. أضع من المكياج للعمل أكثر مما وضعت في زفافي. يلسعني هذا الخاطر، فألوذ إلى داخلي، وأتحسّس بقايا ذلك الأخدود على إصبعي... حيث كان خاتمي يومًا ما.

تمرّ النشرة حسب الخطة تقريبًا، مع بعض التغييرات اللحظية: خبر عاجل، تقرير متأخر، كاميرا لها مزاج خاص في الاستديو، وبث مضطرب من واشنطن. أنهي المراسل السياسي المتحمّس أكثر من اللازم في داونينغ ستريت، الذي يأخذ وقتًا أطول دائمًا. ثمة من يحب صوت نفسه أكثر مما يجب.

يبدأ الاجتماع بعد النشرة وأنا ما زلت على المقعد، أستعد لوداع المشاهدين بعد الطقس. لا أحد يريد الانتظار، لذلك يبدؤون بدوني دائمًا. يجتمع فيه المراسلون والمنتجون، إلى جانب ممثلين من أقسام أخرى... ورئيسنا الهزيل.

أمرّ على مكتبي لألتقط صندوق الكعك قبل الانضمام إليهم. أرغب في مشاركة حلوياتي معهم. لم أخبر أحدًا أن اليوم عيد ميلادي... لكن قد أفعل.

أشق طريقي عبر غرفة الأخبار، ثم أتجمد عندما أرى امرأة لا أعرفها. تدير ظهرها لي، وبقربها طفلان صغيران يرتديان ملابس متطابقة. ألاحظ الكعكات التي يأكلها زملائي... ليست منزلية مثل كعكاتي، بل فاخرة ومشتراة. أعود بنظري إلى المرأة التي توزعها. أنظر إلى شعرها الأحمر الفاقع، إلى قصته الحادة، كأنها قُصّت بليزر. حين تلتفت وتبتسم لي... أشعر بأنها لطمة.

يناولني أحدهم كأسًا من بروسيكو دافئ، فأرى عربة المشروبات التي تطلبها الإدارة كلما غادر موظف. يحدث هذا كثيرًا. يطرق "المراقب الهزيل" كأسه بإصبعه الطويل، ثم يبدأ الحديث، تتهاوى كلماته الغريبة من بين شفتيه الملطختين بالفتات.

قال:

— "لا نستطيع الانتظار حتى نرحّب بعودتك..."

هذه الجملة الوحيدة التي استطعتُ فهمها. أحدّق في **كات جونز**، المرأة التي كانت تقدّم البرنامج قبلي، واقفة هناك مع طفلتيها الجميلتين وشعرها الأحمر الشهير. أشعر بالغثيان.

تابع أحدهم:

— "... وشكرنا لـ آنا طبعًا، لتولّيها الدفّة أثناء غيابك."

تلتفت الوجوه، وترتفع الكؤوس نحوي. ترتعش يداي، وأرجو أن يكون وجهي أكثر قدرة على إخفاء ما أشعر به.

تهمس المنتجة بجانبي:

— "كان مكتوبًا في الجدول... آسفة... ظننا أنك تعلمين."

لا أتمكن من الرد.

وبعدها، يعتذر "المراقب الهزيل" أيضًا. يجلس في مكتبه بينما أقف، وينظر إلى يديه، كأنه يبحث عن الكلمات على أصابعه المتعرّقة. يشكرني، ويخبرني أنني قمت بعمل رائع خلال...

قلت:

— "عامين."

لأنه لم يعرف، أو لم يكترث لمعرفة، كم مضى من الوقت.

يرفع كتفيه باستخفاف.

— "إنها وظيفتها، للأسف. لديها عقد. لا يمكننا طرد أحد لأنه أنجب طفلاً... أو طفلين!"

ضحك.

لكني لم أضحك.

سألته:

— "ومتى تعود؟"

تغضّن جبينه الواسع.

— "تعود غدًا. كل شيء موجودفي..."

وأراه وهو يحاول — ويفشل — في إيجاد كلمة بديلة لـ"rota[1]"، لأنه يعجز عن لفظ حرف الراء.

— "... في الواطا. موجود منذ فترة. ستعودين إلى مكتب المراسلين، لكن لا تقلقي، يمكنك أن تحلّي محلّها في العطل المدرسية...

[1] **Rota**: كلمة إنجليزية تعني جدولاً للمهام أو المناوبات التي يتم توزيعها بين مجموعة من الأشخاص.

t.me/wadistreambooks

الكريسماس... الفصح... هذا النوع من الأشياء. نعتقد جميعًا أنّك قمت بعمل مذهل. هذا عقدك الجديد."

أنظر إلى أوراق الـA٤ البيضاء المغطاة بكلمات موظف مجهول من الموارد البشرية. لا ترى عيناي سوى سطر واحد:

مراسلة أخبار: **آنا أندروز**

أخرج من مكتبه، فأراها مجددًا: بديلتي. أو ربما الحقيقة أنّني كنت بديلتها منذ البداية. إنه اعتراف مرّ... حتى أمام نفسي. لكنني، وأنا أنظر إلى **كات جونز**، إلى شعرها المثالي، وطفلتيها المثاليتين، واقفة هناك تضحك مع فريقي...

أتمنى لو أنها... ماتت.

t.me/wadistreambooks

-٢-

حكايته

المفتش الرئيسي جاك هاربر

الثلاثاء – الخامسة وخمس عشرة دقيقة صباحًا

أيقظني اهتزاز هاتفي من حلم لم أكن أرغب في مغادرته. حلمٌ لستُ فيه رجلًا في الأربعينيات، يعيش في منزل تتراكم أقساطه فوق صدره، وله طفل صغير لا يستطيع مجاراته، وامرأة ليست زوجته، لكنها لا تكفّ عن توبيخه كما لو كانت كذلك. رجلٌ أفضل كان سيعيد ترتيب حياته منذ زمن، بدل أن يواصل السير وهو نائم داخل حياة ليست ملكه.

أحدّق في شاشة الهاتف وسط العتمة، فأدرك أنه يوم الثلاثاء. والوقت مبكّر على نحو يبعث على السخرية، لذا شعرتُ بالارتياح لأن الرسالة لم تُوقظ أحدًا غيري. قلة النوم تؤدي إلى كوارث في هذا البيت – عداي أنا، فقد كنت دائمًا كائنًا ليليًا بالفطرة. لا ينبغي أن أشعر بالحماس لما قرأته، لكنني أشعر. الحقيقة أن عملي أصبح مملًا منذ غادرتُ لندن، مملًا كدرج سراويل راهبة.

أنا رئيس فريق الجرائم الكبرى هنا. يُفترض أن يكون ذلك مثيرًا، لكن عملي في أعماق مقاطعة **ساري** لا علاقة له بالإثارة. **بلاكداون** قرية إنجليزية صغيرة، تبعد أقل من ساعتين عن العاصمة، والجرائم الكبرى فيها تقتصر غالبًا على سرقات بسيطة ومشاجرات تافهة. الأشجار تحيط بها كحراسٍ قدماء، والغابة العتيقة تبدو كأنها سجنتها – وسكانها – في

الماضي، وفي ظلٍّ دائم. ومع ذلك، لا يمكن إنكار جمالها الهادئ؛ أكواخ مسقوفة بالقش، أسوار بيضاء، وشيوخ أكثر من المعدل الطبيعي، جميعهم يحبّون انخفاض معدل الجريمة. مكانٌ يأتي إليه الناس ليموتوا... وما أعتقدت يومًا أنني سأعيش فيه.

أعيد قراءة الرسالة، وبلعابي يكاد يسيل وكأنني أبتلع كلماتها:

تم العثور على جين دو في غابات بلاكداون ليلًا. مطلوب حضور فريق الجرائم الكبرى. الرجاء الاتصال.

فكرة العثور على جثة هنا تبدو خاطئة... لكنني أعرف أنها ليست كذلك. بعد عشر دقائق أكون قد ارتديت ما يكفي لأُعدّ نفسي، شربت قهوتي، وجلستُ في السيارة.

سيارتي الرباعية الدفع، المستعملة طبعًا، تبدو بحاجة إلى غسيل... وأدرك – متأخرًا – أنني بحاجة إليه أيضًا. أشمّ إبطي وأفكر في العودة إلى المنزل، لكنني لا أريد إضاعة الوقت أو إيقاظ أحد. أكره نظراتهما إليّ أحيانًا... عيناهما متشابهتان، ممتلئتان بالدموع وخيبة الأمل أكثر مما ينبغي.

ربما أبدو متحمسًا أكثر من اللازم لبلوغ مسرح الجريمة قبل الجميع، لكنني لا أستطيع منع نفسي. لم يحدث شيء خطير هنا منذ سنوات، وهذا الأمر يعيد إليّ بعض الحيوية، بعض الرجاء. الشيء الذي تتعلمه في الشرطة – إن بقيت طويلًا بما يكفي – هو أنك تبدأ في التفكير مثل المجرمين... من دون أن تُعامل مثل واحد منهم.

أدير المحرك متمنيًا أن يعمل. أتجاهل انعكاس وجهي في المرآة. شعري – الذي صار رماديًا أكثر من الأسود – يقف في كل الاتجاهات. هالات سوداء تحت العينين. أبدو أكبر مما أتذكر. أحاول مواساة نفسي: ما زلنا في ظلام الليل اللعين. ثم... من يهتم؟ أنا لا أهتم بمظهري، وآراء الآخرين أقل أهمية من رأيي بنفسي. أو هكذا أخبر نفسي.

أقود بيد واحدة، واليد الأخرى تمرّ على ذقني الخشنة. ربما كان يجب أن أحلق. أنظر إلى قميصي المتجعّد. من المؤكد أننا نملك طاولة كيّ، لكنني لا أتذكر أين، ولا متى استخدمتها آخر مرة. لأول مرة منذ زمن، أفكر بما قد يراه الآخرون حين ينظرون إليّ. كنتُ جذابًا يومًا ما. كنتُ أشياء كثيرة.

لا يزال الظلام كثيفًا حين أصل إلى موقف سيارات **ناشيونال ترست**، ورغم أنني جئت مباشرة، يبدو أن الجميع سبقني. دوريتان، شاحنتان، وعدة سيارات مدنية. فريق الأدلة الجنائية سبقني هو الآخر. وكذلك **المحققة پريا باتيل**. لم يطحنها العمل بعد؛ ما زالت لامعة كعملة جديدة. شابة جدًا لتشعر بعبء المهنة، قليلة الخبرة لتعرف ما الذي ستفعله بها السنوات... بنا جميعًا. حماسها اليومي مرهق، وتفاؤلها اللانهائي يُصدّع رأسي. لذلك أتجنّب النظر إليها كلما استطعت.

تقترب پريا بخطوات سريعة، ذيل حصانها يتأرجح، نظارتها تنزلق على أنفها، وعيناها البنيتان فيهما بريق مبالغ فيه. لا تبدو كمن انتُزِع من فراشه ليلًا. بذلتها الضيقة ليست دافئة بما يكفي لجسدها الصغير، وحذاؤها اللامع ينزلق فوق الوحل. لا أخفي سعادتي حين أراه يتّسخ.

أتساءل أحيانًا إن كانت تنام وهي مرتدية ملابسها تحسبًا لطوارئ كهذه. طلبت النقل إلى فريقي قبل أشهر، ولا أعلم لماذا. إن كنتُ يومًا متحمسًا مثل **پريا باتيل**، فقد نسيت ذلك تمامًا.

ما إن أخرج من السيارة حتى تهطل السماء مطرًا غزيرًا، يبتلّ معه جلدي وثيابي في ثوانٍ. أنظر إلى السماء التي تظنّ أنها لا تزال ليلًا. الغيوم تغطي القمر والنجوم. المطر لن يساعدنا على الاحتفاظ بالأدلة.

تقترب پريا بسرعة وتمد مظلتها فوق رأسي، فأبعدها بيدي.

قالت:

— "المفتش هاربر، أنا..."

t.me/wadistreambooks

قلت:

– "قلتُ لكِ من قبل، ناديـني جاك. لسنا في الجيش."

تتجمد ملامحها لثانية. تبدو كلّبٍ صغير تلقّى توبيخًا. وأشعر أنا بالدور الذي بتّ أجيده: الرجل العجوز المزعج.

قالت:

– "دورية Target Patrol هي من أبلغت."

قلت:

– "هل بقي أحد منهم هنا؟"

قالت:

– "نعم."

قلت:

– "حسنًا، أريد رؤيتهم قبل أن يغادروا."

قالت:

– "بالطبع. الجثة من هذه الجهة. الدلائل الأولية تبيّن أن..."

أقاطعها:

– "أفضّل أن أرى بنفسي."

– "حسنًا، سيدي."

يبدو أن نطق اسمي الأول بالنسبة إليها شيء مستحيل.

نمشي وسط وجوه أعرفها بالكاد، أسماء لا أتذكرها... ربما لأني لم أتعرف عليهم أصلًا. لكن لا بأس. هذا العمل ليس لبناء صداقات، بل لتجنّب الخصومات. وپريا بحاجة للوقت كي تفهم ذلك. الصمت الذي نمضي فيه يربكها، لكنه يريحني. *الصمت أعذب سيمفونية بالنسبة إليّ؛ لا أفكر بوضوح حين يعلو ضجيج الحياة.*

تسلّط مصباحها أمام خطواتنا، كما تفعل دائمًا بطريقة مزعجة. نمر فوق طبقة من أوراق الخريف المتساقطة. الخريف جاء وذهب سريعًا، تاركًا مكانه لشتاء متغطرس.

زرّ معطفي الأعلى مفقود، فلا يُغلق كما ينبغي. أُعالج الفتحة بوشاح هاري بوتر يعلوه اسمي، هدية من امرأة سابقة. لم أستطع التخلي عنه... تمامًا كما لم أستطع التخلي عنها. قد أبدو أحمق به، ولا يهمّني. هناك أشياء نُبقيها فقط لأن الشخص الذي أعطاها لنا ما زال يهمّنا: أسماء، معتقدات، أوشحة. ثم إنني أحب ما يمنحني إياه حول عنقي؛ *مشنقة شخصية دافئة.*

يتجمّد نفسي في الهواء، وأغرس يديّ في جيبي بحثًا عن بعض الدفء. أسعد لرؤية خيمة نُصبت فوق الجثة. أزيح بابها البلاستيكي... تلمس أصابعي شيئًا في جيبي. عضاضة طفل. أمسكها بقوة في اللحظة نفسها التي تقع فيها عيناي على الجثمان. أضغط عليها حتى يجرح البلاستيك يدي. ألم صغير... لكنه ضروري. رأيت جثثًا كثيرة من قبل، لكن هذه مختلفة.

المرأة مغطاة جزئيًا بالأوراق، وبعيدة عن الطريق الرئيسي. كان يمكن بسهولة أن تُترك بلا اكتشاف لولا الأضواء المسلطة عليها.

قلت:

— "من وجد الجثة؟"

قالت پريا:

— "مكالمة مجهولة. شخص اتصل من هاتف عمومي أسفل الطريق."

جواب قصير... يشبه طولها القصير. هي ثرثارة، وأنا قليل الصبر.

أقترب، أنحني نحو وجه المرأة. في منتصف الثلاثينيات، رشيقة، جميلة — إن كنت تحب هذا النوع، وأظنني أفعل — ومظهرها العام يخبرني بثلاثة أشياء: المال، الترف، والانضباط. جسدٌ حافظ على نفسه

بسنوات من النوادي الرياضية والحمية والكريمات الباهظة. شعرٌ ذهبي مصبوغ بعناية... كأنها مرّرته بمشط قبل أن تستلقي في الوحل. لا أثر لمعركة. عيناها الزرقاوان لا تزالان مفتوحتين، مذعورتين من آخر ما رأتا. من حالة بشرتها أعرف أنها لم تبق هنا طويلاً.

ملابسها كاملة. كل شيء عليها باهظ الثمن: معطف، بلوزة حريرية، تنورة جلدية سوداء. حذاؤها مفقود... وهذا لا يتناسب مع نزهة في الغابة. قدماها صغيرتان وجميلتان، لكن البلوزة هي ما يلفت نظري. كانت بيضاء... مثل حمالة الصدر تحتها. الآن كلتاهما مغطاتان بالأحمر. النمط الفوضوي من الطعنات في صدرها يخبرني أن القاتل كان غاضبًا... لكنه لم يفقد السيطرة.

ينتابني حافز غريب للمسها... لكنني لا أفعل.

ألاحظ أظافرها. مقصوصة بعنف. وهناك المزيد. أكره ارتداء النظارات، لكن بصري لم يعد كما كان. أخرج النظارة التي أحتفظ بها لحالات الطوارئ وأقترب.

الطلاء الأحمر يرسم أحرفًا على أظافر يدها اليمنى:

T W O

وعلى اليسرى:

F A C E D

الجريمة لم تكن لحظة انفعال... كانت رسالة.

أستعيد وعيي بالمكان، وأدرك أن بريا لم تلحظ شيئًا، منشغلة بدفترها وكلماتها التي تتسابق بالخروج. أحاول ترجمة جُملها السريعة:

— "... بدأنا إجراءات الساعة الذهبية[٢]. لا توجد كاميرات في هذه المنطقة، لكننا نجمع تسجيلات الشارع الرئيسي. من الواضح أنها لم

---

[٢] **إجراءات الساعة الذهبية** : هي التدخلات الطبية العاجلة في الساعة الأولى التي تلي الإصابة الخطيرة، والتي تعتبر حاسمة لإنقاذ حياة المصاب.

t.me/wadistreambooks

تأتِ مشيًا حافية في منتصف الشتاء، لكن بلا هوية أو رقم سيارة... الموقف كان فارغًا تمامًا... لا يمكنني إصدار ANPR[٣]..."

الناس نادرًا ما يقولون ما يقصدون حين يتوترون. ما أسمعه منها هو رغبتها الشديدة في أن تُثبت قدرتها أمامي.

أقول:

— "هل رأيتِ جثة من قبل؟"

تنتصب كأن أحدهم اتهمها بشيء.

— "نعم. في المشرحة."

أتمتم:

— "ليس نفس الشيء."

أشياء كثيرة يمكن أن أعلّمها لها... أشياء لا تعرف أنها بحاجة إلى تعلمها.

قالت:

— "كنت أفكر في الرسالة التي أراد القاتل إيصالها..."

قلت:

— "لقد أراد أن يخبرنا أنها كانت مخادعة."

تبدو حائرة.

قلت:

— "أظافرها... أعتقد أن أحدهم قصّها وكتب عليها."

تنحني پريا، تتفحص، ثم تنظر إليّ كأني هيركيول بوارو. القراءة... *تلك هي قوتي الخارقة.*

أتجاهل نظرتها وأعود إلى وجه المرأة. آمر فريق الأدلة بالتقاط الصور من كل زاوية. تبدو كمن أحبّت أن تُصوَّر دائمًا. الوميض يذكّرني

---

٣ **ANPR** : اختصار لـ (Automatic Number Plate Recognition) ، وهي تقنية للتعرف التلقائي على لوحات أرقام السيارات.

بمكان آخر... وزمان آخر... لندن قبل سنوات، صحافة، كاميرات، وهوس بصورة كان يجب ألا يرغب أحد في التقاطها. أطرد الذكرى... لا أطيق الصحافة. ثم ألاحظ شيئًا آخر.

فم المرأة مفتوح قليلاً.

قلت:

– "أضيئي وجهها."

تفعل، وأقترب. شفتان كانتا ورديتين صارتا زرقاوين، لكنني أرى شيئًا أحمر بينهما. أمد يدي... بلا تفكير... كأنني منوَّم.

قالت:

– "سيدي؟"

توقفني قبل أن ألمس الجثة. رائحتها قريبة... عطرها، أنفاس شاي دافئ. أرى تكشيرة صغيرة على وجهها الشاب. كنت أحسب أن العثور على جثة للمرة الأولى في الغابة سيُربكها... لكنه لم يفعل. أحاول تذكّر عمرها. النساء دائمًا ما يخدعنني في العمر. ربما أواخر العشرينيات؟ أو أوائل الثلاثينيات. لا تزال تحمل شغفًا وطموحًا لم تُحطمهما الحياة بعد.

قالت:

– "ألا يجب أن ننتظر الطبيب الشرعي؟"

تعرف الجواب مسبقًا.

قلت:

– "بالطبع."

وأتراجع خطوة.

لكن الحقيقة... أنني رأيت الكثير من الجثث. وهذا... مختلف. أستمع إلى پريا وهي تخمّن هوية المرأة، لكنني بالكاد أسمعها. *أشعر أن*

t.me/wadistreambooks

هذا بداية شيء كبير... وأتساءل إن كنت مستعدًا. السنوات غيّرتني... غيّرت العمل... وهناك أمر آخر.

هذا مختلف... لأنني لم أعمل من قبل على مقتل شخص أعرفه.

وقد كنت أعرف هذه المرأة جيدًا.

كنتُ معها ليلة أمس.

t.me/wadistreambooks

-٣-

حكايتها

الثلاثاء – الساعة ٠٦:٣٠ صباحًا

لكلٍّ منا أسراره؛ أسرار لا نبوح بها لأحد... وأخرى لا نعترف بها حتى لأنفسنا.

لا أعرف ما الذي أيقظني، ولا كم الساعة، ولا أين أنا بالضبط حين فتحتُ عينيّ لأول مرة. الظلام حالك. أتحسّس بيدي مصباح الطاولة بجوار السرير، وحين يبدّد بعض العتمة، أشعر بالاطمئنان لرؤية غرفة نومي. يريحني دائمًا أن أجد نفسي قد وصلت إلى المنزل، خصوصًا عندما أستيقظ على هذه الحال.

لستُ من أولئك النساء اللواتي نقرأ عنهن في الروايات أو نشاهدهن في الدراما؛ يشربن حتى يفقدن الذاكرة. لستُ هاوية سُكر، ولستُ كليشيهًا متحركًا. نحن جميعًا مدمنون بطريقةٍ ما: المال، النجاح، مواقع التواصل، السكر، الجنس... قائمة الإدمانات لا تنتهي. مخدّري المفضّل هو الكحول. أحيانًا تتأخر ذاكرتي في اللحاق بي، وأحيانًا لا يُسعدني ما أتذكّره، لكنني دائمًا أتذكّر. دائمًا.

ولا يعني ذلك أنّ عليّ أن أخبر العالم بما أتذكّره.

أحيانًا أشعر أنني الراوية غير الموثوقة في قصة حياتي... وأحيانًا أشعر أننا جميعًا كذلك.

أوّل ما ينساب إلى ذهني هو أنني فقدتُ وظيفتي الحلم، ويؤلمني هذا الإدراك كجرحٍ طازج. أُطفئ الضوء، فقد فقدتُ رغبة رؤية الأشياء بوضوح، وأندسّ تحت الغطاء. أُحكم ذراعيّ حول نفسي، وأستعيد لحظة خروجي من مكتب «المراقب النحيل»، ثم مغادرتي غرفة الأخبار في منتصف النهار. استقليتُ سيارة أجرة، لأني كنت أترنّح قليلًا، ثم اتصلتُ بوالدتي لأخبرها بما حدث. كان تصرّفًا أحمق... لكنني لم أجد أحدًا آخر ألجأ إليه.

أصبحت أمي، خلال الأعوام الأخيرة، أكثر نسيانًا وتشوشًا. والمكالمة معها دائمًا تُشعرني بالذنب لأنني لا أزورها كما ينبغي. لديّ أسبابي لعدم الرغبة في العودة إلى مسقط رأسي، وهي أسباب من الأفضل دفنها لا مشاركتها. من السهل أن نُلقي باللوم على المسافات حين نبتعد عن آبائنا... لكن الحقيقة أنّ بعض المسافات داخليّة، لا جغرافية.

حين أخبرتها بانكساري، ساد الصمت على الطرف الآخر... ثم سألتني إن كانت «البيض والبطاطا» ستُرضيني بعد يومٍ سيئ في المدرسة.

أمي لم تعد تتذكر أنني في السادسة والثلاثين، وأنني أعيش في لندن، وأنني كنتُ متزوجة... وأنني كنتُ أمًّا. لم تتذكر حتى أنّ الأمس كان عيد ميلادي. لم تصلني منها بطاقة هذا العام... ولا العام الذي قبله. ليس ذنبها. الزمن شيء نسيَت أمي كيف تتعامل معه. يتحرّك لديها بشكل معاكس... إلى الخلف بدلًا من الأمام. الخرف سرق الزمن من أمي... وسرق أمي مني.

كان منطقيًا أن أمدّ يدي نحو ذكرياتٍ تمنحني بعض العزاء، لكنني ما كان عليّ أن أغوص عميقًا في طفولتي... فهناك مناطق لا ينبغي الاقتراب منها.

t.me/wadistreambooks

حين وصلتُ إلى البيت، أسدلتُ الستائر كلّها، وفتحتُ زجاجة «مالبِك». ليس خوفًا من أن يراني أحد... بل لأنني أحب الشرب في الظلام. أحيانًا لا أحبّ أن أرى نفسي كما أكون حين لا يراني أحد.

بعد الكأس الثانية، ارتديتُ شيئًا أقل لفتًا للانتباه... بنطال جينز قديم، وكنزة سوداء... ثم خرجتُ لأزور شخصًا ما.

وحين عدتُ بعد ساعات، خلعتُ ملابسي في الممر. كانت مغطّاة بالتراب، وكنتُ مغطّاة بالذنب. أتذكّر أنني فتحتُ زجاجة أخرى، وأشعلتُ النار في المدفأة، وجلستُ أمامها مباشرةً، ملتفةً ببطانية، أحتسي النبيذ. استغرق الأمر وقتًا طويلًا حتى أستعيد دفئي بعد البقاء طويلًا في البرد. كانت الأخشاب تهمس وتطلق خريرًا كأنها تُخفي أسرارها الخاصة. وانعكست على الجدران ظلالٌ مرتجفة كأطياف. حاولتُ إخراج صورتها من رأسي... لكن حتى وعيناي مغمضتان، كنتُ أرى وجهها... أشمّ رائحتها... أسمع صوتها وهي تبكي.

رأيتُ التراب تحت أظافري، فغسلتُ نفسي جيّدًا قبل أن أذهب للنوم.

***

يهتزّ هاتفي مجددًا، فأدرك أنه كان السبب في إيقاظي. الفجر ما يزال حالكًا، والصمت ثقيل... ذلك النوع من الصمت الذي يُشعرني بالخوف أكثر مما يريحني. أُصغي، ولا أسمع شيئًا: لا حركة سيارات، لا طيور، لا صوت حياة. حتى الغلاية والأنابيب العتيقة التي تفشل دائمًا في تدفئة الشقة... صامتة تمامًا.

أحدّق في الشاشة؛ مصدر الضوء الوحيد وسط الظلال. خبر عاجل: العثور على جثة امرأة في الغابة. للحظة أتساءل إن كنتُ ما زلتُ أحلم. الغرفة تبدو أغمق مما كانت.

ثم يرن الهاتف.

أجيب، وأسمع «المراقب النحيل» يعتذر لاتصاله باكرًا. يسأل إن كنتُ أستطيع الحضور لتقديم البرنامج.

تسأله نسخة من صوتي:

«ماذا حدث لـ **كات جونز**؟»

يردّ:

«لا نعلم. لم تأتِ إلى العمل... ولا أحد يستطيع الوصول إليها.»

تبدأ شظاياي – تلك التي تحطمت أمس – بالتقارب من جديد، محاولة إعادة تكوين ما تبقى مني. أحيانًا أضيع داخل رأسي، داخل خوفي. القلق يصرخ أعلى من المنطق، وحين نتخيّل الأسوأ طويلًا... نُعطيه فرصة أن يتحقق.

يسألني أسئلة إضافية، وقد فشلتُ في الإجابة عن الأولى.

«أنا آسف لإزعاجك يا **آنا**... لكن هل أستطيع معرفة ردّك الآن؟»

يعرف ما سأقوله. وأنا أعرف ما سأقوله. لقد درّبتُ نفسي على هذه اللحظة.

«بالطبع. لن أتخلى عن الفريق.»

أتذوّق ارتياحه على الطرف الآخر.

«لقد أنقذتِ حياتي»، يقول.

وللحظة... أنسى أنّ الحقيقة هي العكس تمامًا.

***

أستغرق أكثر من المعتاد في الاستعداد. ما زلتُ مخمورة قليلًا، لكن قطرتين للعين وفنجان قهوة سيكفيان. أشرب القهوة وهي تغلي، ألسع لساني قليلًا... بعض الألم يخفف ألمًا آخر. ثم أملأ لنفسي كأسًا صغيرة من النبيذ الأبيض البارد... لتهدئة الحرقة.

t.me/wadistreambooks

أتجاهل باب الغرفة في نهاية الممر، الباب الذي أبقيه مغلقًا دائمًا. بعض الذكريات تحتاج طبقة طلاء تُخفي قبحها... وبعضها يحتاج أن يُدفن تمامًا.

أستحمّ، وأختار فستانًا أحمر لم أرتده من قبل. لستُ مولعة بالتسوق، لكن حين أجد شيئًا يناسبني... أشتريه بكل الألوان. الملابس لا تصنع المرأة، لكنها تُخفي كثيرًا مما هي عليه. أحتفظ بالجديد لأيامٍ كهذه... يومٌ أحتاج فيه أن أكون شخصًا آخر.

أرتدي معطفي الأحمر المفضل، فالظهور أحيانًا ليس أمرًا سيئًا.

أستقل سيارة أجرة إلى العمل، متلهفة لاستعادة ذاتي القديمة. أضع حبة نعناع قبل دخول المبنى. مضت أقل من أربعٍ وعشرين ساعة... لكنني أشعر وكأنني أعود إلى بيتي الحقيقي حين أنظر إلى غرفة الأخبار.

تصعد أعين الجميع إليّ... كعائلةٍ من الميركات. وجوه قَلِقة مرسومة بدقة على ملامح شاحبة. توقعتُ ابتسامات... امتنانيّة... لكنني أواجه نظرات متحفّظة. أتشبث بدرابزين السلم الحلزوني... أشعر للحظة أنني سأسقط.

حين ألمس مقعد المذيع، تستوقفني رئيسة التحرير. تضع يدها الباردة فوق يدي، وتهز رأسها. تخفض نظرها خجلًا... امرأة تدعو كل ليلة من أجل جيوبٍ ممتلئة وجسدٍ رشيق... لكن الدعاء يختلط عليها مرة بعد مرة.

أقف وسط الفريق الجالس، أتحمّل حرارة نظراتهم، محاوِلةً أن أستشف ما يعرفونه ولا أعرفه.

صوتٌ خلفي — حريري، مخملي... صوت أعرفه وأكرهه — يقول:

«أنا آسفة جدًا! المربية اعتذرت عن ميعادها مع الأولاد في آخر لحظة، ثم اصطدمت حماتي بسيارتها وهي في طريقها إليّ — مجرد خدش

بسيط – ثم حين أوشكت على الانطلاق، تأخر القطار، واكتشفت أنني نسيت هاتفي! لم أستطع إبلاغكم بتأخري. أنا آسفة... لكني هنا الآن.»

إنها **كات جونز**.

لماذا صدّقتُ أنها اختفت؟ بدا الأمر الآن سخيفًا... لكنني تخيلتُ «حادثًا صغيرًا» يجعل غيابها دائمًا... حادثًا يمنحني مكاني... يُعيدني إليّ.

وجودها الآن يطويني كصفحةٍ مكرمشة. أتحوّل إلى ظلّ... إلى زائدةٍ بشرية غير ضرورية في آلةٍ مُحكمة.

تُزيح شعرها الأحمر خلف أذنيها، كاشفةً أقراط ألماس تبدو أكثر صدقًا منها. فستانها الأصفر ضيق... ضوء ابتسامتها فاقع... وأنا أشعر نفسي كتلةً باهتة.

«آنا!» تقول، كأننا صديقتان. أردّ بابتسامة لا أريدها.

«ظننتُ أنك ستكونين في المنزل مع صغيرتك في أول يوم إجازة... كم عمرها الآن؟»

كانت ستكون في السنتين وثلاثة أشهر وأربعة أيام.

لم أتوقف عن العدّ.

يبدو أن أحدًا لم يخبرها بما حدث بعد ولادة **شارلوت**. يسود الصمت. يتجمّد الهواء. الجميع يرمقنا. سؤالها ينتزع الهواء من رئتيّ.

ثم تضيف:

«يا إلهي... هل استدعوكي مبكرًا بسببي؟ آسفة! كان يمكنك الاستمتاع بالصباح مع عائلتك.»

أُمسك مقعد المذيع لأستعيد توازني.

«لا بأس، حقًا»، أقول، بابتسامة تؤلم وجهي. «أتطلّع للعودة كمراسلة... اشتقتُ للعمل الميداني، تعرفين؟»

لا تردّ. صمتها يعني: «لا أصدقك»... أو «لا أهتم».

t.me/wadistreambooks

ثم تتلقى الطعنة التالية:

«إن كنتِ متحمسة للخروج والتغطيات... ربما تنظرين في قضية القتل الجديدة؟ الجثة التي وُجدت في الغابة؟»

يوافق «المراقب النحيل» بابتسامة غبية.

أشعر بقلبي ينكمش.

«لم أرَ الخبر»، أكذب.

أفكّر في التظاهر بالمرض... العودة للبيت... الانغلاق... الشرب حتى لا أشعر... لكن **كات** تكمل كلامها، والفريق كله يلتهم كلماتها.

«جثة امرأة، وُجدت ليلًا، في مكان اسمه **بلاكداون**... قرية هادئة في **ساري**. قد لا تكون شيئًا مهمًا، لكن يمكنكِ الذهاب. في الواقع... سأصرّ أن نعثر لك على فريق تصوير. لستِ بحاجة إلى... *التسكّع هنا.*»

تنظر ناحية «زاوية سيارات الأجرة»، حيث ينتظر المراسلون العامّون... غالبًا بلا عمل، بلا ظهور... بلا قيمة.

عمل المراسل العام هو المقعد الأقل شأنًا في غرفة الأخبار... المقعد الذي لا أريد أن أسقط إليه. عملتُ كثيرًا... شقيتُ كثيرًا... ولن أتلاشى. لن أختفي.

لكن هذا... آخر مكان أريده الآن.

«هل هناك شيء آخر؟» أسأل.

يصير صوتي كخيطٍ مخنوق.

يهزّ «المراقب النحيل» رأسه. يلاحظ أنني أراقب قشرة القشرة البيضاء على كتفي سترته الرديئة، فيزيحها متوترًا.

أبتسم ابتسامة أخيرة، منهكة.

«إذًا... سأذهب الآن إلى بلاكداون.»

لدينا جميعًا شقوق... ندوب صغيرة... ندبات رقيقة صنعها الخوف والقلق. البعض يغطّيها بطبقةٍ من الأمل الهشّ. أخفي نقاط ضعفي جيدًا... وأخفي أشياء كثيرة غيرها.

لا أحد بلا ندم... سوى الكاذبين.

والحقيقة أنّه رغم رغبتي في الهرب من كلّ شيء... **بلاكداون** هو آخر مكان أريد العودة إليه.

خصوصًا بعد ليلة البارحة.

فهناك أمور يصعب تفسيرها... حتى لأنفسنا.

t.me/wadistreambooks

كان قتلُ الأولى سهلًا.

بدت وكأنها لا تريد أن تكون هناك عندما نزلت من القطار في محطة بلاكداون. شعرتُ بشيءٍ من القرب منها في تلك اللحظة؛ فأنا أيضًا لم أرغب فعلًا في التواجد هناك، لكنني – على الأقل – كنت مرتدية ما يلائم البرد: سترة صوفية سوداء قديمة. على عكسها تمامًا. كانت آخر رحلة قادمة من ووترلو، ما يعني أنها قضت ليلة متأخرة بالفعل، لكنها – بوضوح – ما زالت تملك خططًا للمساء: شفاهٌ حمراء، وشَعرٌ أشقر، وتنّورة جلدية سوداء. بدت أصلية بحق، لا مزيفة مثل المرأة التي ترتديها. كان عملها يبدو للجميع عملًا نبيلاً وتعاطفيًا – إدارة مؤسسة خيرية للمشردين – لكنني كنت أعلم أنها أبعد ما تكون عن القداسة. أقرب إلى خاطئة تحاول التكفير عن ذنوبها. أحيانًا نفعل الخير فقط لأننا نشعر بالسوء.

كانت بلاكداون مهجورة، كما هي دائمًا في مثل تلك الساعة من الليل، فلم تكن هناك سوى هي، وحدها، تهبط من القطار وتمشي على ذلك الرصيف الصغير المنعزل. إنها بلدة وادعة، يخلد أهلها للنوم مبكرًا في ليالي الأسبوع، تختبئ داخل عباءة من اللطف الطبقي والامتثال الاجتماعي. مكانٌ إن حدث فيه أمرٌ سيّئ، فإن الناس يتذكرون بسرعةٍ مدهشة كيف ينسون.

المحطة نفسها مبنى مُدرج على قائمة التراث، بُني سنة ١٨٥٠، كما ينقش الحجر فوق البابين المزدوجين بفخر. محطة ريفية صغيرة، جميلة وقديمة الطراز، رغم أن بلاكداون تحولت إلى بلدة منذ سنوات. الأمر

يشبه العودة بالزمن والدخول في مشهد من فيلم أبيض وأسود. وبحكم تراثها، فهي محمية من كل أشكال التحديث غير الضروري. لا كاميرات مراقبة. وطريق واحد للدخول وطريق واحد للخروج.

كان بإمكاني قتلها هناك فورًا.

لكن هاتفها رنّ.

ظلت تتحدث مع مَن اتصل بها طوال الطريق من الرصيف إلى موقف السيارات؛ حتى لو لم يرها أحد، لربما سمعها أحد.

راقبتُها وهي تنزلق داخل سيارتها **أودي تي تي**، تلك السيارة التي أقنعت المؤسسة الخيرية بأنها تستحق أن تدفع ثمنها... إلى جانب أشياء أخرى: معطف فاخر، رحلة إلى نيويورك، وخصلات مصبوغة في شعرها. كنت قد رأيت البيانات المالية السنوية التي قدمها محاسبها. وجدتها في مكتبها المنزلي — الدرج لم يكن حتى مُقفَلًا. كانت تسرق أموال المؤسسة بانتظام لتنفقها على نفسها، وكان من الإجرام أن أتركها تفلت من ذلك أكثر.

قادَت سيارتها عبر المسافة القصيرة من المحطة إلى الغابة، ولم يكن عليّ سوى أن أتبعها. رأيتها تنزل من سيارتها لتدخل أخرى. ثم رأيتها تُرجِع شعرها الأشقر الجميل خلف أذنيها، قبل أن تنحني على السائق. لم يكن الأمر سوى مقبلات، ما يفتح شهيتها ربما، قبل أن ترفع تنّورتها وتُنزِل ملابسها الداخلية للطبق الرئيسي.

لحظتُ كيف تحب أن تُبقي ملابسها عليها، وكيف كانت تصفع اليدين اللتين تحاولان مساعدتها على خلعها. لم يكن يهم؛ فالأجمل فيها كان ظاهرًا على أي حال: عظام ترقوتيها. لطالما اعتقدت أنها من أكثر مواضع الجسد فتنةً لدى المرأة، وكانت ترقوتاها بالذات فاتنتين. شكل التجويفين بين كتفيها وعظمي ترقوتيها، ذلك البروز الهش تحت بشرتها البيضاء كالثلج، كان ساحرًا. مجرد النظر إليهما كان يجعلني أتوجع.

أعجبني حذاؤها أيضًا؛ أحببته لدرجة أنني قررت الاحتفاظ به. صغير جدًا على قدمي لأرتديه، لكنه... تذكار.

رأيت كيف تغيّر وجهها حين كان أحدهم بداخلها. ثم أغمضتُ عينيّ قليلًا، وأصغيتُ للأصوات التي يصدرها اثنان يعلمان أنه لا ينبغي لهما أن يفعلا هذا... لكنهُما لا يستطيعان التوقف. كحيوانات في الغابة. يشبعان حاجة بدائية دون التفكير في العواقب.

لكن العواقب... لا بدّ أن تأتي.

أحببتُ مظهر وجهها بعد انتهائهما: يلمع بالعرق رغم البرد، شيء من الحمرة على تلك الوجنتين الشاحبتين، وفمها المثالي مفتوح قليلًا، تُلهث ككلب مُدلّل فاز بجائزة. شفاهٌ متباعدة بالقدر الكافي لتمرير شيء صغير جدًا إلى الداخل.

لكن ما أحببته أكثر من أي شيء... كان النظرة في عينيها الزرقاوين الجميلتين قبل أن أقتلها.

تلك كانت نظرة لم أرَ وجهها يحملها من قبل: الخوف.

وقد ناسَبها ذلك كثيرًا.

كان واضحًا أنها أدركت – قبل لحظة قصيرة فقط – أن أمرًا شديد السوء على وشك الحدوث.

t.me/wadistreambooks

-٤-

حكايته

الثلاثاء ٠٧:٠٠

هذا... سيئ للغاية.

إن اكتشف أحد الحقيقة، فسيتخيلون فورًا أنّني الجاني، لكنني واثق – إلى حدٍّ معقول – أنّ لا أحد كان يعرف شيئًا عن ترتيبنا السري. وكلّما رأيتُ جثّة الضحية ملقاةً في الطين هذا الصباح، تذكّرتُ كيف كنتُ أضاجعها الليلة الماضية.

كان الأمر، في أحيان كثيرة، يشبه مراقبة نفسي من بعيد... كأنها تفعل كل ما تفعله بي مع رجلٍ آخر. لطالما وجدت صعوبة في تصديق أن علاقتنا كانت حقيقية، وكأن انجذاب تلك المرأة الجميلة إليّ كان أمرًا يفوق المنطق. والآن، بعد ما حدث، يبدو واضحًا أنه كان كذلك بالفعل. دخلت السيارة، فتحت سحاب سروالي دون كلمة، ثم انحنت فوقي. وبعد ذلك، تركتني أفعل ما أشاء... وفعلت، مستمتعًا بتلك الأصوات الصغيرة التي كانت تخرج من فمها المثالي.

كنت أتخيل فعل كل ذلك بها منذ زمن طويل.

كانت بعيدة تمامًا عن مستواي – وكنتُ أعرف، في أعماقي، أن نهاية الأمر آتية لا محالة – لكن منذ بدأت لقاءاتنا المتأخرة قبل أشهر، سمحت لي بفعل أي شيء. لم يكن منطقيًا بالنظر إلى جمالها، لكنني توقفت عن التساؤل بعد فترة. كانت مثل مخدر: كلما حصلتُ عليها، احتجتُ أكثر.

حين تستحوذ امرأة مثلها على انتباهك، نادرًا ما تُعيده إليك.

كانت تأتي وتذهب كالموج، وكنت أعلم أنّها ستتركني يومًا ما على الشاطئ مهجورًا، لكنني استمتعت بالرحلة ما دامت مستمرة. كنا نحصل من ترتيبنا على ما نريد: علاقة بلا روابط. بدون عشاء. بدون مواعيد. بلا تعقيدات. أخبرتني أنها طلقت زوجها قبل بضعة أشهر، وأنه خانها. كان أحمق بلا شك، لكنني كنت أكثر بلاهةً حين أقنعت نفسي أنني أكثر من مجرد وسيلة لتشعر هي بتحسّن. لم أمانع ذلك الدور. كان لها صيتٌ بأنها جميلة المظهر، سيّئة الجوهر؛ والجميلات عادة يفلتن من العقاب أكثر من غيرهن... في أغلب الأحيان. ظننت طالما لم يعرف أحد، فلن يتأذى أحد. كنت مخطئًا.

لم تكن تقول أثناء العلاقة سوى جملة واحدة:

"قل اسمي."

فكنت أفعل: رايتشل... رايتشل... رايتشل.

«هل أنت بخير يا سيدي؟»

كانت **بريا** تحدّق بي، وأتساءل هل كنتُ أتمتم بصوت مسموع مرة أخرى. الأسوأ أنها تنظر إلى الخدش في وجهي... العلامة التي تركتها رايتشل. لم أفهم يومًا لماذا تخدش النساء الرجال بأظافرهن أثناء الجنس، كقططٍ برية. كانت أظافرها طويلة، وردية، بطرف أبيض مصطنع. لم أكن أمانع الخدوش على ظهري، فهي لا تُرى، لكنها أمسكت وجهي أمس. أنظر الآن إلى أصابعها من جديد – أظافرها مقصوصة بخشونة، وعليها كلمتان مرسومتان:

TWO FACED

ثم أنظر إلى بريا. رؤية زميلتي تحدّق في الندبة الوردية شبه الخفية تجعلني أرغب في الهرب، لكنني أشيح بوجهي.

«أنا بخير»، أتمتم.

أتحجج ببعض العمل، ثم أجلس في سيارتي مدة، متظاهرًا بالاتصال، بينما أحاول أن أهدأ وأستعيد أنفاسي. ألتفت إلى المقعد الخلفي، أتحقق من الأرضية، لا أثر مرئي لوجود رايتشل... رغم أن بصماتها قطعًا في كل مكان. فقدت العدّ من كثرة الوضعيات التي فعلناها هنا. السيارة قذرة مثلنا تمامًا. سأنظفها لاحقًا من الداخل والخارج، عندما أجد لحظة مناسبة.

لا أعلم ما الذي خطر لي حين تورطت مع امرأة مثلها. كنت أعلم أنها مشكلة، لكن ربما كان ذلك سببًا لعدم قدرتي على الرفض. ربما شعرت بالإطراء. لقاء رايتشل كان دائمًا أفضل من العودة إلى المنزل. فليس هناك الكثير مما يُنتظر بعد يوم طويل في العمل. لكن لو عرف الناس بالحقيقة، سأفقد كل شيء.

المطر لم يتوقف. رذاذه على الزجاج يبدو كطبول داخل رأسي. لدي صداع في قاعدة جمجمتي، والدواء الوحيد له هو النيكوتين. يمكنني قتل أحد لأجل سيجارة الآن، لكنني أقلعت قبل عامين... من أجل الطفل، حتى لا أدفع خياراتي السيئة على إنسان بريء. كأس نبيذ أحمر كان سيُخفف الألم أيضًا، لكنني تخليت عن الشرب قبل الظهر منذ زمن. أستعرض خياراتي... لا شيء. الأفضل أن ألتزم بالخطة.

تطرق پريا على النافذة. أفكر في تجاهلها، لكن أقرر غير ذلك، وأخرج إلى البرد والمطر من جديد.

«عذرًا يا سيدي. هل كنت تتحدث مع أحد؟»

مع نفسي فقط.

«لا.»

«الرئيس الكبير قال إنه حاول الاتصال بك ولم يُجب هاتفك.»

إن كانت تقصد أن تبدو الجملة اتهامًا، فقد نجحت.

أُخرج هاتفي، أرى ثمانية مكالمات فائتة من نائب رئيس الشرطة.

t.me/wadistreambooks

«لا شيء يظهر. إما أنه يتصل برقم خاطئ، أو ليس لدي شبكة جيدة.»

أكذب بسهولة، وأعيد الهاتف فورًا إلى جيبي. الكذب مهارة أتقنها، على نفسي كما على الآخرين. «إن اتصل مجددًا، قولي له كل شيء تحت السيطرة، وسأطلعه لاحقًا.» آخر ما أحتاجه الآن هو ضابط متعجرف من نصف عمري يدوس فوق ملفي.

«حسنًا، سأبلغه»، تقول بريا.

أراها تضيف ذلك إلى قائمتها الذهنية المعتادة. وهناك شيء آخر أرادت قوله، إذ تلمع عيناها فجأة عندما تتذكر.

«نظن أننا وجدنا بصمة!»

ماذا؟

«ماذا؟»

«وجدنا بصمة!» تكرر.

«إصبع؟»

«قدم.»

«حقًا؟ في هذا الطين؟»

المطر صنع أنهارًا صغيرة فوق أرض الغابة. تتألق بريا كطفل يريد أن يعرض لوحة جديدة على أهله.

«يبدو أنها بصمة حذاء حديثة وكبيرة، بجوار الجثة مباشرة، وكانت مخفية بالأوراق اليابسة. قسم الأدلة عمل بشكل مذهل! هل تريد أن تراها؟»

أخفض نظري نحو حذائي الموحل قبل أن أتبعها.

«تعلمين... حتى لو وجدوا بصمة، أرجح أنها لأحد أفراد الفريق. كان يجب تطويق المكان بالكامل فور وصولك. حتى الموقف. أي آثار نجدها الآن بلا قيمة في المحكمة.»

يختفي ابتسامها، فأتنفس بسهولة أكبر.

لا أظن أحدًا يعرف أنني كنت هنا، ولا أحد لديه سبب ليشكّ بي. ما دام الأمر كذلك، سأكون بخير. أفضل ما يمكن فعله الآن هو أن أبدو طبيعيًا، أن أقوم بعملي، وأن أُثبت أن شخصًا آخر قتل رايتشل قبل أن يوجّه أحد أصابعه نحوي. أحاول أن أُفرغ رأسي، لكن أفكاري صاخبة... والواحد منها يتكرر بلا توقف، وهو صحيح تمامًا:

ليتني لم أعد إلى بلاكداون.

t.me/wadistreambooks

-٥-

حكايتها

الثلاثاء ٠٧:١٥

لا أرى أي جدوى من محاولة التهرب من العودة إلى بلاكداون. سيُثير ذلك أسئلة أكثر مما لديّ من إجابات، لذلك أعود إلى منزلي وأُحضّر حقيبة صغيرة. لا أنوي المبيت هناك، لكن الأمور لا تسير دائمًا كما نخطط لها في مهنتنا. صحيح أن الوقت قد طال، لكنني لم أنسَ العُدّة الأساسية: ملابس داخلية نظيفة، ثياب لا تحتاج للكي، معطف واقٍ من المطر، أدوات تجميل، مستحضرات للشعر، زجاجة نبيذ، بضع زجاجات صغيرة، ورواية أعلم مسبقًا أنني لن أجد وقتًا لقراءتها.

أضع حقيبتي الصغيرة في مؤخرة السيارة — سيارة ميني حمراء مكشوفة اشتريتها يوم تركني زوجي — ثم أدخل وأحزم حزام الأمان؛ فأنا سائقة شديدة الالتزام بالقواعد. أقلق أحيانًا من أن يكون مستوى الكحول لا يزال مرتفعًا في دمي بعد سهرة الليلة الماضية، لكن لديّ جهاز قياس في صندوق التابلوه لهذه المناسبات. أُخرجه، أنفخ في الأنبوب، وأنتظر تغيّر الشاشة. يتحوّل اللون إلى الأخضر، أي أنني بخير. لا أحتاج لتشغيل جهاز الملاحة؛ أعرف الطريق جيدًا.

الرحلة عبر الـ A٣ تمرّ بلا ألم كبير — فما زلنا في ساعة الذروة، ومعظم السائقين يتجهون نحو لندن لا بعيدًا عنها — لكن الدقائق تبدو ساعات، فلا رفيق لي سوى الطريق والقلق. الراديو لا يفلح في إسكاتهما،

وكل أغنية أسمعها تجرّني إلى ذكريات أفضل لو بقيت مدفونة. تغطية هذه الحكاية فكرة سيئة، لكن بما أنني لا أملك تبريرًا لرفضها أمام أحد، فلا يبدو أن لديّ خيارًا.

يزداد ذلك الشعور الكريه في معدتي كلما اقتربت من مخرج الطريق القديم المؤدي إلى بلاكداون. كل شيء يبدو كما كان دائمًا، كأن الزمن لا يمرّ في هذه البقعة من تلال ساري. في حياة أخرى كان هذا المكان منزلي، أما الآن فأشعر أنه ينتمي لشخص آخر. لم أعد تلك المرأة. تغيّرتُ، كثيرًا، حتى صرت بالكاد أعرف نفسي، بينما بلاكداون وسكانها لم يتغيروا على الإطلاق.

ما زالت جميلة، رغم كل القبح الذي أعرف جيدًا أنه وقع هنا. وما إن أغادر الطريق السريع حتى أجد نفسي وسط شبكة من طرق ريفية ضيقة. تختفي السماء خلف غابة عتيقة تبتلعني بالكامل. أشجار عمرها قرون تنحني فوق الممرات الغائرة، بجذور مكشوفة ترتفع على الجانبين. أغصانها المتشابكة تحجب الضوء إلا عن خيوط قليلة تنجح في التسلل. أُركّز بصعوبة على الطريق أمامي، أقود بين ظلال الغابة وبين أفكاري التي أحاول أن أهرب منها.

وحين أخرج من نفق الظلال، أرى أن بلاكداون ما زالت ترتدي ثياب الأحد كل يوم. بيوت فيكتورية صغيرة مشذّبة تقف خلف حدائق مرتّبة، وجدران حجرية مكسوّة بالطحالب، وسياجات خشبية بيضاء هنا وهناك. صناديق الزهور تتنافس دائمًا، والشوارع بلا ورقة شاردة. أمرّ بالساحة الخضراء، حانة *ذا وايت هارت*، الكنيسة الكاثوليكية المتداعية، ثم مبنى مدرسة *سانت هيلاريز* للبنات. رؤية المدرسة تدفعني للضغط على المسرّع. أعيد بصري إلى الطريق سريعًا، كأن تجاهل المبنى قد يمنع ذكرياته من اللحاق بي.

أدخل موقف سيارات *ناشونال تراست*، فأرى أنّ المصوّر قد سبقني إلى هنا. أتمنى أن يكون جيّدًا. سيارات طاقم الـ BBC كلّها متشابهة — أسطول من العربات المزوّدة بمعدات التصوير — لكن المصوّرين يختلفون تمامًا. جودة ظهوري أمام الكاميرا تعتمد على طبيعة من يقف خلفها، لذا صرتُ دقيقة الاختيار، تمامًا كما يختار النجار أدواته.

أركن بجوار سيارة الطاقم، ولا أستطيع رؤية من بداخلها. مقعد السائق مائل بالكامل، كما لو أنّ صاحبه قرر أخذ قيلولة. ليس مؤشرًا جيدًا. غبتُ طويلاً عن الميدان، ودورة العمل سريعة، فربما يكون شخصًا لم ألتقِ به من قبل. أفكر في الاحتمال... ثم أرى من النافذة — رغم المطر والبرد — هيئة أعرفها جيدًا.

إنه **ريتشارد**.

يدخّن لفافة تبغ ويستمع لموسيقى الثمانينيات. أحسم الأمر: الأفضل التخلص من لحظة اللقاء المحرج الآن. أفضل ترك الماضي في الماضي... لكن ذلك ليس سهلًا في مهنتنا.

أقول وأنا أجلس إلى جواره:

"هذه الأشياء ستقتلك، يا ريتشارد."

رائحة السيارة خليط من القهوة والدخان و... رائحته هو. مألوفة، وغير منفّرة. أما الفوضى من حولي — أغلفة شوكولاتة، صحف قديمة، أكواب قهوة فارغة — فأحاول جاهدة ألّا ألمسها.

ملابسه كما عهدته: قميص قديم بطابع رجعي، جينز ممزّق، مظهر مراهق لم يكبر رغم بلوغه الأربعين. شعره الأشقر الطويل يتدلّى في «ستائر» فوق أذنيه المثقوبتين. إنه رجل لم يقرر أن يكبر.

يقول وهو يسحب نفسًا آخر:

"علينا أن نموت بشيء ما. تبدين في صحة جيدة."

"شكرًا. وأنت تبدو كأنك خرجت من حاوية قمامة."

يبتسم. والجليد السميك بيننا يتشقّق.

يقول:

"لا داعي لقول الحقيقة دائمًا، خاصة في الصباح. قد تكسبين بعض الأصدقاء لو امتنعتِ عن ذلك."

"لست بحاجة إلى أصدقاء، فقط إلى مصوّر جيّد. تعرف أحدًا؟"

يرد بابتسامة ساخرة:

"لطيف. هيا نبدأ."

هناك شيء قاسٍ في عينيه لم أعهده من قبل. لكنه يخرج من السيارة، فأدرك أنه يعني العمل فقط. أراقبه وهو يتفقد الكاميرا بتركيز، فأشعر بارتياح صادق لمعرفتي أنني سأعمل معه اليوم.

لقد ضاجعتُ ريتشارد مرات قليلة في الماضي، أيام كنت مراسلة. لا أحد يعرف، وكانت ثمة خواتم على أصابع كلاينا تؤكد ضرورة إخفاء الأمر. لم أكن فخورة بما فعلت. كنت لا أزال متزوجة... بالكاد. لكني كنت محطّمة. وأحيانًا لا يخفّف الألم إلا ألم آخر يشغلك عنه.

لم أدافع يومًا عن الخيانة، لكن زواجي مات يوم ماتت ابنتنا. جزء صغير منّا رحل معها. ومع ذلك واصلنا العيش كأشباح لا تعرف أنها ماتت، نُعذّب أنفسنا ببعضنا لسنوات.

هذه المهنة قاسية، وفي أسوأ أوقاتها نبحث عن أي موطئ دفء. رأيت أشياء غيّرت نظرتي للعالم وللبشر. أشياء لا تُنسى. عندما تقتربين من وحشية البشر يومًا بعد يوم، يتبدل كل شيء داخلك. وأحيانًا تحتاجين فقط إلى أن تنظري بعيدًا للحظة... وهذا كل ما كان بيني وبين ريتشارد.

يلبس معطفه، وأرى لمحة من بطنه المشدود. ثم يرمي عقب السيجارة ويدوسه بحذائه الكبير.

قال:

"هيا؟"

t.me/wadistreambooks

نسير نحو الغابة. أتجنب البرك كي لا أفسد حذائي. نحن أول الواصلين تقريبًا. ولا يبدو أننا مرحّب بنا.

تقترب منا شابة صغيرة:

قالت:

"رجاءً ابقيا خلف الشريط. سيتم توسيع نطاق العزل قريبًا. هذا مسرح جريمة."

تحمل نفسها بجدية مبالغ فيها. شريط الشرطة يلمع خلفها، وأرى الأضواء وظلال فريق الأدلة الجنائية حول شيء ما على الأرض. نصبوا خيمة فوق الجثة، ولن نقترب هكذا مرة أخرى.

نتبادل أنا وريتشارد نظرة صامتة. يضغط زر التسجيل ويرفع الكاميرا.

أقول بابتسامة:

"بالطبع. سنأخذ لقطتين فقط ثم نغادر."

قال الرجل الذي ظهر فجأة:

"ستغادران الآن. إلى الموقف. كما طُلِب منكما."

يبدو منهكًا، غير مبالٍ بمظهره، ويلفّ عنقه وشاح *هاري بوتر*. *كولومبو* العصر الحديث، دون سحره. يضع يده على العدسة لإبعادنا.

يتراجع ريتشارد:

"انتبه يا صاح."

قال الرجل:

"لست صاحبك. عُد إلى الموقف قبل أن أعتقلك."

نبتعد. يسألني ريتشارد:

"هل التقطتِ اسمه؟"

أقول:

"نعم. اسمه المحقق **جاك هاربر**."

ينظر إليّ طويلًا.

يقول:

"من أين تعرفينه؟"

فكرتُ لحظة.

أقول:

"التقينا من قبل."

وهو الحقيقة... لكنها ليست كل الحقيقة.

t.me/wadistreambooks

-٦-

حكايته

الثلاثاء – ٠٨:٤٥

رؤية **آنا** تُربكني، ولن أعترف بذلك لأحد. أعيد المشهد في ذهني مرارًا، حتى يتحول إلى إعادة مزعجة أعرف كل جملة فيها، ثم أُفرغ انزعاجي في كل من حولي. تمنّيت لو تصرفتُ على نحو أفضل، لكنني أخوض يومًا سيئًا بكل المقاييس، وكان يجب ألّا تكون هنا. هناك قميص جديد في خزانتي كان بإمكاني ارتداؤه اليوم لو علمت أنّي سأراها. ظلّ معلقًا هناك لأشهر، وما زالت طياته واضحة كما خرج من علبته لأول مرة. لا أدري لماذا أحتفظ به – فليس أنّي أذهب إلى أي مكان منذ انتقلت إلى هنا – وها هي قد رأتني بهذا المظهر: ثياب مجعدة وسترة أقدم من بعض زملائي. أتظاهر بعدم الاكتراث... لكنني أكترث جدًا.

المكان يعج بشاحنات البث الفضائي، والمصورين، والصحفيين. لا فكرة لدي كيف حصلت الصحافة على التفاصيل بهذه السرعة، بما في ذلك **هي**. الأمر غير منطقي. حتى لو عرفوا أن جثة عُثر عليها، فالغابة لها مداخل عديدة تمتد أميالًا عبر الوادي والتلال – نصفها لا أعرفه أصلاً – وهناك أكثر من موقف سيارات. لا أفهم كيف عرفوا أن يأتوا إلى هذا الموقف تحديدًا. وكانت **آنا** أول الواصلين تقريبًا.

ألمحها تتحدث مع **بريا** على مقربة من بقية الصحفيين، وأقاوم رغبتي في التوجه وقطع حديثهما. لطالما عرفت كيف تحول الأعداء إلى

أصدقاء. كل ما آمله هو ألّا تكون الرقيب **باتل** ساذجة فتُفشي شيئًا لصحفية، سواء في التسجيل أو خارجه. أرى **بريا** تسلّم **آنا** شيئًا ما. تبتسمان كلتاهما، وأحاول التحديق لأرى ما الذي تعطيها: أغطية بلاستيكية زرقاء للأحذية. تتكئ **آنا** على جذع شجرة بينما تسحبها فوق كعوبها العالية. تنظر نحوي وتلوّح، فأتظاهر أني لا أراها وأدير ظهري. لا بد أنها طلبت زوجًا من الأحذية من فريق الأدلة الجنائية كي لا تتسخ *أحذيتها الجميلة الخاصة بالتقارير* في الوحل.

لا يُصدق.

قالت **بريا** وهي تقف إلى جواري وتقطع حواري الصامت:

قالت

«أظنني أعرف من تكون.»

على الأقل آمل أن يكون هذا الحوار في داخلي فقط.

أدرك أنني بدأت أتكلم مع نفسي بصوت مسموع مؤخرًا. ضبطتُ أشخاصًا يحدقون بي في الشارع عندما يحدث ذلك. يبدو أن الأمر يحدث فقط عندما أكون مرهقًا أو متوترًا، وكمحقق في منتصف العمر، أعيش مع امرأة دائمة التعاسة وطفل في الثانية... فأنا غالبًا مرهق ومتوتر في آن واحد. أحاول أن أتذكر إن كان أحد في الفريق يدخن؛ ربما أستطيع أن أستعير سيجارة، وأهدأ قليلاً.

تحدق **بريا** بي وكأنها تنتظر إجابة، فأعيد شريط كلامها في ذهني.

قلت

«إنها مقدّمة أخبار تلفزيونية، ربما لهذا السبب تبدو لك مألوفة.»

تتزاحم الكلمات على شفتي وتتعثر خارجة، فأبدو أكثر عصبية مما أشعر به. **بريا** – التي تركب تقلبات مزاجي كما لو كانت لعبتها المفضلة في ساحة الألعاب – لن تدع الحديث ينتهي هنا.

t.me/wadistreambooks

قالت

«أعني الضحية يا سيدي. ليست آنا أندروز.»

سماع اسمها منطوقًا يربكني مرة أخرى. لا أعلم ما هي الملامح التي ارتسمت على وجهي، لكن **بريا** شعرت فيما يبدو بالحاجة للدفاع عن نفسها.

تقول وهي ترفع ذقنها — تلك الحركة الغريبة —:

«أنا أشاهد الأخبار، كما تعلم.»

قلت

«جيد.»

قالت

«أما بخصوص الضحية، فلا أعرف اسمها بعد، لكني رأيتها في البلدة. ألم ترها أنت؟»

رأيتها، وشممتها، ومارست الجنس معها...

لحسن الحظ أنها لا تترك لي وقتًا لأجيب.

قالت

«يصعب تجاهلها، أليس كذلك؟ أعني... كانت. بشعرها الأشقر وملابسها الراقية. متأكدة أني رأيتها تمشي في الشارع الرئيسي وهي تحمل بساط اليوغا. ومن حديث بقية الفريق المحلي، يبدو أنها من هنا، من بلاكداون. نشأت هنا، ويعتقدون أنها كانت تعيش هنا أيضًا، لكنها تعمل في لندن. في جمعية خيرية للمشرّدين. لكن الغريب أن أحدًا لا يتذكر اسمها.»

رايتشل.

لم تكن تعمل فقط في جمعية للمشرّدين... كانت تديرها. لكني لا أصحح لـ**بريا**، ولا أخبرها أنني أعرف تقريبًا كل شيء عن الضحية. اليوغا كانت الملاذ الذي التجأت إليه **رايتشل** بعد أن لجأ زوجها إلى امرأة

أخرى. أصبحت مهووسة بها، تذهب أربع أو خمس مرات أسبوعيًا، ولم يزعجني ذلك. كان لهذا الشغف... فوائده بالنسبة لنا. باستثناء لقائنا في مواقف السيارات أو فندق بين حين وآخر — لم نذهب يومًا إلى منازل بعضنا، ولا التقينا علنًا — لم يكن يبدو أنها كثيرة العلاقات الاجتماعية. تنشر صورها على *إنستغرام* بانتظام مزعج — والتي كنت أستمتع بالنظر إليها حين أكون وحدي أفكّر فيها — ورغم آلاف "الأصدقاء" المزعومين، لم يكن لديها الكثير في الواقع.

ربما لأنها كانت مشغولة دائمًا بالعمل.

وربما لأن الآخرين كانوا يغارون من نجاحها الظاهر.

أو ربما — خلف ذلك المظهر الجميل — كان فيها جانب قبيح.

جانب تجاهلته... رغم أني لم أستطع عدم رؤيته.

أقمنا طوقًا أمنيًا واسعًا حول هذه المنطقة من الغابة، لكن يبدو أننا نصبنا شريطًا لاصقًا للذباب، فالصحافة تحوم حولنا بلا توقف. تلقيت تعليمات من "من هم أعلى مني في السلسلة الغذائية" بأن أدلي بتصريح أمام الكاميرات، وتلقيت سيلًا من المكالمات ورسائل البريد — من أشخاص لم أسمع بهم في المقر قط — يطلبون مني الموافقة على صياغة منشور لحساب الشرطة على وسائل التواصل. أنا لا أستخدم تلك الوسائل إلا للتجسس على النساء اللاتي أنام معهن، لكن يبدو أن أصحاب القرار باتوا يعتبرونها أهم من العمل نفسه. لم نُخطِر أهل الضحية بعد، ومع ذلك *أنا* من يحتاج إلى "ترتيب أولوياته".

يقرقر بطني بصوت يسمعه الجميع، ويلتفت الفريق كله نحوي.

قالت **بريا** وهي تلوّح بكيس يشبه بذور الطيور:

«لوز؟»

قلت

«لا. شكرًا. ما أريده هو شطيرة لحم مقدد أو...»

قالت

«سيجارة؟»

تُخرج علبة من جيبها، وهذا غير متوقع. **پريا** من "النباتيات الفاخرة" — نباتية صارمة — ولم أرها تحشو جسدها بشيء أخطر من قطعة شوكولاتة داكنة واحدة. تحمل بيدها علامتي القديمة المفضلة من السجائر، وكأن راهبة تمسك بكتالوج "آن سامرز".

قلت

«لماذا لديكِ هذه؟»

هزت كتفيها.

«للطوارئ.»

أكرهها أقل قليلًا مما اعتدت... فأخذ واحدة.

أكسرها نصفين — عادة قديمة تجعلني أظن أنها ستصبح "نصف" سيجارة سيئة — ثم أدعها تشعلها. إنها قصيرة جدًا، فأضطر للانحناء، متجاهلًا ارتجاف يديها وهي تحاول حماية النار من الريح. بعض المدخنين السابقين يقول إن رائحة السجائر تصيبهم بالغثيان. أنا لست منهم. أول سيجارة تلمس شفتي منذ عامين... كانت نشوة خالصة. يجعلني ذلك أبتسم دون قصد.

قالت پريا:

«أفضل؟»

ألاحظ أنها لم تشعل واحدة لنفسها.

قلت

«نعم. كثيرًا. نظّمي المؤتمر الصحفي. لنعطِ الذباب ما يريد، ونأمل أن يرحل بعد ذلك.»

تبتسم، وكأن الابتسامة مُعدية.

قالت

«حسنًا، سيدي.»

قلت

«لست سيدك... لا يهم.»

بعد عشرين دقيقة، وقد تخلصت من وشاحي الذي يشبه وشاح *هاري بوتر*، أقف في الموقف أمام أكثر من عشر كاميرات. لم أفعل شيئًا كهذا منذ مدة طويلة، منذ غادرت لندن. أشعر أنني فقدت لياقتي... وخبرتي... فأشدّ بطني إلى الداخل بلا وعي قبل أن أبدأ الحديث. أطمئن نفسي سرًا أنه لا أحد ممن أعرف سيشاهد هذا. لكنني لست بارعًا في الكذب على نفسي كما أنا على الآخرين، فلا أجد عزاء. أتذكر ثيابي المكرمشة؛ كنت أعرف أن عليّ الحلاقة على الأقل هذا الصباح.

أتنحنح استعدادًا للكلام، وهنا أراها تشق طريقها إلى الصف الأمامي. يبدو الاستياء على بقية الصحفيين... إلى أن يلتفتوا ويروا وجهها. حينها يفسحون لها الطريق وكأن ملكة الصحافة وصلت. أعرف جيدًا أن "المشاهير على الشاشة" يُعاملون مثل الجميع عادةً... لكن **آنا** تبث حضورًا طاغيًا، حتى لو كان الداخل مختلفًا تمامًا عمّا تُظهره للعالم.

الجميع هنا يرتدي ألوانًا معتمة: أسود، رمادي، بني... كأنهم تواطؤوا على تنسيق ألوانهم مع مسرح الجريمة. إلا هي. **آنا** ترتدي معطفًا أحمر فاقعًا وفستانًا أحمر، وأتساءل إن كانا جديدين؛ لا أتعرف إليهما. أتجنب النظر في اتجاهها، فالتركيز صعب. لا أحد سيظن أننا نعرف بعضنا، وهو أمر في مصلحتنا نحن الاثنين.

أنتظر حتى يعم الصمت تمامًا، ثم أبدأ بإلقاء البيان المعدّ والموافَق عليه مسبقًا. لم يعد يُسمح للمحققين بالكلام من عند أنفسهم. على الأقل أنا... ليس بعد "المرة الأخيرة".

t.me/wadistreambooks

قلت

«في وقت مبكر من هذا الصباح، تلقّت الشرطة بلاغًا بالعثور على جثة في غابة بلاكداون خارج القرية. انتقل الضباط إلى الموقع، فعثروا على جثة امرأة قرب الموقف الرئيسي. لم يتم التعرف عليها رسميًا بعد، ويُعامل سبب الوفاة حاليًا على أنه غير معروف. المنطقة مطوّقة بينما تستمر التحقيقات. لن تُصدر تصريحات إضافية من هذا الموقع، ولن أجيب عن أي أسئلة في هذا الوقت.»

كما أودّ اغتنام الفرصة لأذكّركم بأن هذا مسرح جريمة، وليس حلقة من مسلسل تافه تتابعونه على نتفليكس.

لا أقول الجملة الأخيرة... أو آمل أنني لم أقلها. أبدأ **بالابتعاد** — فنحن نتعمّد إخفاء معظم التفاصيل عن الإعلام في هذه المرحلة — لكني أسمعها. لطالما أحببت تحليل طريقة كلام الناس، فهي تكشف الكثير. لا أعني اللهجات فقط، بل النبرة، السرعة، التوقفات... وحتى الصمت.
صوت الإنسان كالموج: بعضها يمرّ فوقك، وبعضها يسحبك للغرق في بحر من الشك. وصوتها... يغرقني.

من الواضح أن **آنا** لم تسمع جزء "لا أسئلة". أو — وهذا الأرجح — قررت تجاهله.

قالت

«هل صحيح أن الضحية كانت امرأة من السكان المحليين؟»

لا ألتفت إليها.

قلت

«لا تعليق.»

قالت

«ذكرتَ أن الوفاة تُعامل على أنها غير مفسّرة... لكن هل تؤكد أنها جريمة قتل؟»

t.me/wadistreambooks

أدرك أن الكاميرات ما زالت تعمل، وأبدأ بالابتعاد.

آنا ليست امرأة تتقبل التجاهل. إذ لا تجيبها على سؤال... تسأل آخر. قالت

«هل صحيح أن الضحية وُجدت بشيء غريب داخل فمها؟»

الآن فقط أتوقف. ألتفت ببطء نحوها، والأسئلة تتصادم داخل رأسي. عيناها الخضراوان تلمعان كأنهما تبتسمان. الشخصان الوحيدان اللذان يعرفان بأمر الشيء الموجود داخل فم الضحية هما الرقيب **باتل** وأنا. تعمّدت ألّا أخبر أحدًا — فهذا النوع من التفاصيل يتسرّب دائمًا قبل أوانه — و**بريا** محكمة الإغلاق كصدفة بحر.

يبقى سؤال واحد لا أملك له إجابة:

كيف عرفت آنا؟

t.me/wadistreambooks

-٧-

حكايتها

الثلاثاء – ٠٩:٠٠

أتجاهل نظرات بقيّة الصحافيين، وأسرع نحو سيارتي. نسيتُ ما يعنيه الوقوف في البرد ساعاتٍ طويلة، وأندم لأنني لم أرتدِ طبقاتٍ أكثر. ومع ذلك، على الأقل أبدو أنيقة. أفضل حالًا من *جاك هاربر* على كل حال. ما إن أستقر داخل سيارتي الـ«ميني» حتى أشغّل المحرّك، وأرفع مستوى التدفئة محاوِلةً استعادة بعض الدفء. أريد إجراء مكالمة دون أن يتنصّت العالم بأسره، لذلك طلبتُ من *ريتشارد* أن يلتقط بضع لقطات إضافية.

من الغريب تخيّل فريق نشرة الواحدة يجلسون في غرفة الأخبار من دوني، كل شيء يسير كما هو، كأنني لم أكن هناك قط. أظن أنني أستطيع إقناع *المراقب النحيل* بأن يسمح لي بالظهور على الهواء بما لديّ حتى الآن. عندها على الأقل لن تكون هذه المهمة مضيعة كاملة للوقت. الأفضل أن أتوجه مباشرةً إلى الأعلى للحصول على جواب؛ فمحرر حلقة اليوم يعاني عجزًا مزمنًا عن اتخاذ أي قرار.

أخيرًا، وبعد أن تركت الهاتف يرنّ أكثر مما ينبغي حين يتصل المرء بغرفة أخبار تابعة لشبكة كبيرة، يجيب أحدهم.

قالت بصوتٍ ناعم:

– «نشرة الواحدة.»

يُربك صوت *كات* جونز المخملي لساني. أتخيّلها جالسةً على الكرسي الذي كان لي حتى الأمس، تجيب على مكالماتي، وتعمل مع فريقي. أغمض عينيّ، فأرى شعرها الأحمر وابتسامتها البيضاء. لا يجعلني المشهد أشعر بالغثيان... بل بالعطش. تُسرع أصابعي، وتبحث تلقائيًا داخل حقيبتي عن زجاجة ويسكي صغيرة. أفتحها، وأدير الغطاء بيدٍ واحدة — لديّ خبرة — ثم أفرغها دفعة واحدة.

قالت على الطرف الآخر بنبرةٍ يستعملها الناس حين يوشكون على إنهاء المكالمة:

— «مرحبًا؟»

تتعلّق كلماتي في حلقي، وكأن فمي نسي كيف ينطق.

— «أنا *آنا*.» أقولها وقد شعرتُ بالارتياح لأنني ما زلت أتذكّر اسمي.

— «آنا...؟»

— «*آنا أندروز.*»

— «يا إلهي، آسفة... لم أتعرف على صوتك. هل أردتِ التحدث إلى—»

— «نعم، من فضلك.»

— «بالطبع. سأضعك على الانتظار لأحاول لفت انتباهه.»

أسمع نقرة، ثم يبدأ عزف موسيقى العدِّ التنازلي لـ«بي بي سي نيوز». لطالما أحببتُها، لكنها مزعجة جدًا في هذه اللحظة. أرمق الصحافيين الآخرين وقوفًا في الخارج. بعض الوجوه مألوف، والجميع بدا سعيدًا حقًا برؤيتي، وهذا كان لطيفًا. أستعيد ذكرى مصافحتي لعدد منهم، وأبحث ثانية في حقيبتي عن منديل معقّم. أكاد أُغلق الخط — ضقتُ ذرعًا بالانتظار — حين يعلو صراخ داخل غرفة الأخبار.

t.me/wadistreambooks

– «هل يمكن لشخصٍ آخر أن يجيب على الهواتف اللعينة حين ترنّ؟ الأمر ليس صعبًا أبدًا، ولن يسبّب *إصابة إجهاد أو شيء* بما أنكم نادرًا ما تفعلون ذلك... نعم، من معي؟»

صوت يصفع أذني. على الرغم من لقبه وصخبه، نادرًا ما يكون مسيطرًا على أي شيء. بما في ذلك «لُدغته» الشهيرة. لطالما شككت أن غرفة الأخبار ترتعب من سلطته الكاسحة، وصوت الهواتف المستمر في الخلفية يؤكد الشك.

أقول:

– «أنا *آنا*.»

– «آنا...؟»

أقاوم رغبةً جامحة في الصراخ؛ يبدو أن العدوى انتقلت إلى الجميع.

– «*أندروز*.»

– «آنا! أعتذر، الفوضى تعم المكان هذا الصباح. كيف أستطيع مساعدتك؟»

سؤال جيد. البارحة كنتُ أقدّم النشرة، واليوم أشعر كأنني أتسوّل للظهور دقيقة أو اثنتين.

– «أنا عند مسرح الجريمة في بلا*كداون*——»

– «هل هي جريمة؟ لحظة...» يتغيّر صوته، فأدرك أنه يتحدث إلى شخص آخر. «قلت لا لذلك المراسل السياسي *المراهق* الذي لم أسمع به من قبل في قصة رئيس الوزراء، إنها القصة الرئيسية... خبّري محررة وستمنستر أن تُخرج رأسَها من مؤخرة داونينغ ستريت لخمس دقائق... لا يهمني ما يفعلونه للقنوات الأخرى، أريد مراسلًا *بالغًا* على نشرتي... أحضِروا لي أحدًا. ماذا كنتِ تقولين؟»

t.me/wadistreambooks

أدرك بعد لحظة أنه عاد إليّ. أحتبسُ في ذهني صورة معركة جسدية —— لا لفظية —— بينه وبين محررة وستمنستر القصيرة، ولن تكون النتيجة لصالحه.

أقول بإصرار:

— «قضية الموت التي أرسلتموني لتغطيتها...»

— «ظننتُ أنكِ تفضلين أن تكوني هناك بدلًا من هنا، بعدما حصل صباح اليوم. ألقيتُ نظرة على الأخبار بعد بيان الشرطة، لكن كل ما قرأته يقول إنه موت غامض...»

— «هذا كل ما تصرّح به الشرطة الآن، لكنني أعلم أن هناك ما هو أكثر من ذلك.»

— «وكيف تعلمين؟»

سؤال صعب.

— «فقط... أعلم.» ويبدو صوتي واهيًا بقدر ضعفي الداخلي.

— «حسنًا، اتصلي بي عندما تحصّلين على شيء رسمي، وسأرى إن كان بإمكاننا حشر فقرة لك.»

حشر؟

— «إنها ستكون قصة كبيرة»، قلتُ غير مستعدة للاستسلام. «ومن الأفضل بثّها قبل الآخرين.»

— «آسف يا آنا. تغريدة ترامب الأخيرة تسببت بهلع عالمي، واليوم مزدحم جدًا. يبدو لي أن الجثة في الغابة مجرد خبر محلي... وليس لدي وقت. اتصلي إذا طرأ جديد. يجب أن أذهب.»

— «ليست——»

أصمت؛ فقد أغلق الخط أصلًا. أغرق قليلًا في أعمق أفكاري. يشبه العمل هنا الهالوين يوميًا؛ بالغون يرتدون أقنعة مخيفة، ويتظاهرون بأنهم شيء آخر.

يطرق أحدهم نافذتي، فأرتجف. أتوقع أن أرى *ريتشارد*، لكنه *جاك*، بوجهه الغاضب المعتاد. يبدو منزعجًا مني تمامًا كما كان آخر مرة التقينا فيها. أترجل من السيارة، ويبتسم حين يلتفت خلفه ليتأكد ألا أحد يراقبنا. كان دائمًا شديد الارتياب. يقف قريبًا بما يكفي لأشم رائحة دخانٍ قديم في أنفاسه. أدهش لأنني ظننت أنه أقلع عنه.

قال بحدّة:

— «ماذا تفعلين بحق الجحيم؟»

— «عملي. وسعيدة برؤيتك أيضًا.»

— «منذ متى ترسل الـBBC مقدمة البرامج إلى قصة كهذه؟»

دائمًا ما أقنع نفسي بأني لا أهتم لرأيه، لكنني لا أريد إخباره بأنني لم أعد أقدم البرنامج. ولا أريد أن يعرف أحد.

— «الأمر معقّد.»

— «الأمور دومًا معك هكذا. ماذا تعرفين؟ ولماذا سألتِ ذلك السؤال في المؤتمر؟»

— «ولماذا لم تُجِب عنه؟»

— «لا تلعبي معي يا آنا. لستُ في المزاج.»

— «لم تكن يومًا محبًا للصباح.»

— «أنا جاد. لماذا سألتِ؟»

— «هل هو صحيح إذن؟ هل كان هناك شيء في فم الضحية؟»

— «قولي لي ما الذي تعتقدين أنك تعرفينه.»

— «تعرف أنني لا أستطيع. أنا أحمي مصادري دائمًا.»

اقترب خطوة؛ أكثر مما ينبغي.

— «إذا فعلتِ أي شيء يعطّل التحقيق، سأتعامل معك كما أتعامل مع أي شخص آخر. هذا مسرح جريمة، ليس داونينغ ستريت ولا عرضًا سينمائيًا.»

t.me/wadistreambooks

– «إذًا هي جريمة قتل.»

يحمرّ وجهه حين يعي خطأه.

يهمس:

– «امرأة نعرفها نحن الاثنان ماتت... أظهري بعض الاحترام.»

– «امرأة نعرفها نحن الاثنان؟»

ينظر إليّ بدهشة، كأنه ظن أني أعلم.

أسأل:

– «من؟»

– «لا يهم.»

– «من؟»

– «لا أظن أنه من الجيد أن تغطي أنتِ هذه القصة.»

– «ولماذا؟ للتو قلت إنها امرأة كنا نعرفها، ربما أنت الذي لا ينبغي له التحقيق.»

– «يجب أن أذهب.»

– «بالطبع. اهرب، كما تفعل دائمًا.»

يبدأ بالمغادرة، ثم يعود مقتربًا حتى يكاد وجهه يلامس وجهي.

يقول:

– «لا داعي لأن تتصرفي كـ... *امرأة بغيضة* كلما التقينا. لا يليق بكِ.»

الكلمات تلسعني أكثر مما أحب أن أعترف به، حتى لنفسي.

يمضي بعيدًا. أثبّت ابتسامة على وجهي إلى أن يختفي، ثم يحدث شيء غير متوقع: أبكي. أكره كيف يستطيع اختراق جلدي بسهولة، وأكره نفسي لأنني سمحت له بذلك.

يُفتح قفل السيارة المجاورة عن بُعد، فأنتفض.

قال ريتشارد:

– «آسف على المقاطعة.»

يفتح صندوق سيارته، ويضع الكاميرا بعناية. أمسح ما تحت عيني بظهر يدي، فتترك لطخات ماسكارا سوداء.

— «أأنت بخير؟»

أومئ. ويفهم صمتي بأنني لا أرغب في الكلام.

— «هل نجهّز فقرة لوقت الظهيرة؟ إن كان الأمر كذلك، علينا أن——»

— «لا، لا يريدون شيئًا ما لم يتطور الخبر.»

— «حسنًا. إلى لندن إذن؟»

— «ليس بعد. هناك ما هو أكثر من هذه القصة... أعرف ذلك. هناك بعض الأشخاص هنا أريد التحدث إليهم وحدي؛ وجود الكاميرا سيخيفهم. سآخذ سيارتي. هناك حانة لطيفة قرب الطريق اسمها *ذا وايت هارت*، يقدمون فطورًا رائعًا طوال اليوم. ما رأيك أن ألقاك هناك لاحقًا؟»

— «حسنًا.» قالها ببطء، كأنه يكسب وقتًا لاختيار كلماته التالية. «قلتِ إنك تعرفين المحقق من قبل. هل... حدث شيء بينكما ذات يوم؟»

— «ولماذا؟ هل أنت غيور؟»

— «هل أنا مُحق؟»

— «حسنًا... لستَ مخطئًا. *جاك*... هو زوجي السابق.»

-٨-

حكايته

الثلاثاء ٠٩:٣٠

زوجتي السابقة تعرف أكثر مما تُظهر.

لا أفهم كيف، لكنني عشت مع تلك المرأة خمسة عشر عامًا، وتزوّجتها لعشرةٍ منها، ومع ذلك ظللتُ دائمًا أعجز عن التمييز بين حقيقتها وأكاذيبها. هناك أناسٌ يبنون حول أنفسهم جدرانًا غير مرئية باسم البقاء. جدرانها كانت دائمًا عالية، صلبة، عصيّة على الاختراق. أدركتُ أننا في ورطة قبل وقتٍ طويل من أن أفعل شيئًا حيال ذلك. الحقيقة هي كل شيء في عملي، لكن الحقيقة في حياتي الخاصة تشبه ضوءًا ساطعًا يوجع النظر فأشيح عنه.

لا أحد هنا يعرف أنني كنتُ زوجًا لـ **آنا أندروز**. كما أفترض أن أحدًا ممن تعمل معهم لا يعرف شيئًا عني. كانت آنا دائمًا شديدة الخصوصية؛ صفة ورثتها عن أمها. وليس في ذلك خطأ. قاعدة لا *تسأل*، لا تخبر تناسبني أنا أيضًا عندما يتعلق الأمر بحياتي بعيدًا عن العمل.

ومثل كثيرٍ من الناس الذين يمضون سنوات طويلة في علاقة واحدة، كنا نردد عبارة: *"أنا أحبك"* بانتظام. لا أذكر متى بالضبط أو لماذا بدأت تفقد معناها، لكن تلك الكلمتين الصغيرتين تحوّلتا إلى كذبتين صغيرتين. صارتا أشبه ما تكون بكلمة بديلة لـ *"إلى اللقاء"* عندما يخرج أحدنا من البيت، أو *"تصبح على خير"* عندما نذهب للنوم. وبعد فترة

t.me/wadistreambooks

أسقطنا ضمير الـ *أنا*، وصرنا نكتفي بـ *"أحبك"*؛ كلمة واحدة بدا أنها تكفي، ولماذا نستخدم كلمتين بينما يمكننا التعبير عن ذات الجملة الفارغة بكلمة واحدة؟

لكن الأمر لم يكن هو ذاته. بدا وكأننا نسينا ما الذي ينبغي أن تعنيه تلك الكلمات أصلًا.

يقرقر بطني عاليًا، وأتذكر كم أنا جائع.

عندما كنت طفلًا، لم تكن أمي تسمح لنا بالأكل بين الوجبات، وكانت الحلويات ممنوعة تمامًا في البيت. كانت تعمل موظفة استقبال عند طبيب الأسنان المحلي، وكانت تأخذ مسألة تسوّس الأسنان على محملٍ بالغ الجدية. كان الأطفال الآخرون يأخذون معهم إلى المدرسة مقرمشات وقطع شوكولا وبسكويت، بينما كنت أحصل على تفاحة، أو — في المناسبات الخاصة — علبة صغيرة حمراء من زبيب *Sun-Maid*.

أتذكر الغضب الذي كان ينتابني كلما وجدتها في حقيبة طعامي. كانت العلبة تقول إن الزبيب جاء من كاليفورنيا، وأدركتُ حينها أن حتى الفاكهة المجففة تعيش حياةً أكثر إثارة من طفلٍ في الثامنة مثلي. كان أقصى ما يمكنني أن أطمح إليه هو تفاحة *غولدن ديليشس*، وهي تسمية خادعة؛ فبرأيي لم تكن *ذهبية* ولا *لذيذة*.

المرّة الوحيدة التي تذوقتُ فيها الشوكولاتة وأنا طفل كانت عندما تزورنا جدتي. كان ذلك سرًا صغيرًا بيننا، وكان طعمه يشبه وعدًا. لا شيء آخر في طفولتي منحني لذة صافية كتلك القطع البنية الصغيرة من *كادبوري ديري ميلك* وهي تذوب على لساني.

آكل لوح شوكولاتة كل يوم الآن. وأحيانًا اثنين إذا كان يومي في العمل سيئًا. مهما اشتريتُ، وبأي سعر، لا يصل طعم أيٍ منها إلى تلك الألواح الرخيصة التي كانت جدتي تجلبها لي. حتى هي لم تعد بذات الطعم.

t.me/wadistreambooks

أظن أننا عندما نحصل أخيرًا على ما نظن أننا نريده... يفقد قيمته. إنها الحقيقة التي لا يبوح بها أحد، لأننا لو فعلنا لتوقفنا جميعًا عن المحاولة.

آنا وأنا حصلنا على ما ظنناه غايتنا.

لم تكن وفرة من الشوكولاتة، ولا جزيرة خاصة تحت الشمس. البداية كانت شقة، ثم سيارة، ثم وظيفة، ثم منزل، ثم زواج، ثم طفل. سرنا على الدرب ذاته الذي عبّدته قبلنا أجيال أكبر، طرقٌ دُوست حتى صارت مساراتٍ ثابتة يسهل اتباعها. كنا على يقين أننا نسير في الاتجاه الصحيح، فرسمنا بدورنا آثارًا لمن سيأتون بعدنا ليلحقوا بنا.

لكننا لم نعثر على وعاء السعادة الذهبية عند نهاية مهرجان الطقوس الاجتماعية. وعندما وصلنا أخيرًا إلى حيث ظننا أننا نريد أن نكون... اكتشفنا أن المكان كان خاليًا.

أظن الأمر كذلك مع الجميع، لكننا — كبشر — مبرمجون على الادعاء بأننا سعداء عندما نظن أنه ينبغي أن نكون كذلك. إنه المتوقع منا.

تشتري السيارة التي حلمت بها، ثم بعد عامين تريد أخرى. تشتري منزل أحلامك، ثم تقرر أن أحلامك لم تكن كبيرة بما يكفي. تتزوج المرأة التي تحب، ثم تنسى السبب. تنجب طفلًا لأن هذا هو التالي على قائمتك. لأنه ما يفعله الجميع، ولعله يصلح الأمر الذي تتظاهر بأنه غير مكسور. ربما يجلب لك الطفل السعادة.

وقد فعلت... لفترة.

ابنتنا.

صرنا أسرة، وكان الشعور مختلفًا. حبها ذكّرنا كيف نحب بعضنا البعض. لقد خلقنا — نحن الاثنين الناقصين — أجمل شيء حيّ رأته عيناي يومًا، وكنت أحيانًا أحدّق في صغيرتنا بدهشة، غير مصدّق كيف خرج منّا كائن بتلك الدرجة من الكمال. أنقذتنا صغيرتنا من أنفسنا لبعض الوقت... ثم رحلت.

فقدنا ابنة... وفقدتُ زوجة.

الحقيقة أن الحياة كسرتنا، وحين اعترفنا أخيرًا بأننا لا نعرف كيف نصلح بعضنا... توقفنا عن المحاولة.

تقول پريا:

— "تم نقل الجثة يا سيدي."

لا أعرف كم من الوقت بقيتُ واقفًا خارج الخيمة غارقًا في عالمي الخاص. حتى لو لم يكتشف أحد ما حدث الليلة الماضية، لا أستطيع منع نفسي من القلق من أن آنا تعرف شيئًا. كانت دائمًا ترى عبر أكاذيبي.

هرب كلانا من الحقيقة. اختبأت هي داخل عملها، وعدتُ أنا إلى هنا — إلى المكان الذي كنت أعلم أنها لن تتبعني إليه — لا لأنني أردت ذلك، بل لأنني لم أعد أحتمل نظرتها لي. آنا لم تلمني يومًا صراحة على ما حدث، لكنها لم تحتج إلى ذلك. كانت عيناها تقولان كل شيء؛ ممتلئتان حتى الحافة بالألم... والكره.

تقول پريا:

— "سيدي؟"

— "جيد، أحسنتِ."

طلبتُ من الفريق عمدًا أن ينقلوا الجثة أثناء المؤتمر الصحفي. هناك أشياء لا ينبغي أن تُلتقط بكاميرا.

لا تزال پريا واقفة بجانبي، ولست متأكدًا ماذا تنتظر. وعندما أصمت، تشرع في الكلام، فأجد نفسي أحدّق فيها بدلًا من الاستماع. تبدو دائمًا بالشكل نفسه: ذيل حصان، دبابيس شعر قديمة تثبّت الخصلات الهاربة، نظارة، حذاء لامع ذو رباط، وبلوزات مكوية — أو مهما يُسمّى قميص المرأة. أشبه بكاتالوغ متحرك لمتجر *Spencer & Marks*؛ حمل يتظاهر بأنه نعجة. ليست كزوجتي السابقة، دائمًا أنيقة. تبدو آنا أجمل الآن مما كانت حين كنّا معًا، على عكسي.

t.me/wadistreambooks

يبدو أن العزلة تلائمها. فقدت بعض الوزن، لاحظتُ ذلك، لا أنني اهتممت يومًا. لم تكن بدينة قط، رغم أنها ظلت تعتقد ذلك. كانت تقول إنها مقاس أحد عشر — بين العشرة والاثني عشر. لا أعرف ما هو مقاسها الآن... ثمانية ربما. الوحدة يمكنها أن تُنقص الإنسان في أكثر من طريقة. إلا إن كانت... ليست وحيدة.

كنتُ أفكر دائمًا في المصورين الذين تذهب معهم آنا في رحلات العمل. كانت تقضي أحيانًا أيامًا في الفنادق، تغطي قصصًا تُبتعث إليها كمراسلة. كان عملها أولويتها دائمًا. ثم حدث ما حدث. انكسرت آنا، وانكسرنا معًا.

لكن عندما جاءتها فرصتها الذهبية وبدأت العمل كمذيعة للنشرة، تحسنت الأمور بيننا قليلًا. أصبحت ساعات عملها أكثر انتظامًا، وقضينا معًا وقتًا أطول. لكن شيئًا ما كان ناقصًا. شخصٌ ما. لم نعد قادرين على إيجاد طريق العودة لبعضنا.

آنا هي من طلبت الطلاق. لم أشعر أن لي حق الاعتراض. كنت أعلم أنها لا تزال تلومني على موت ابنتنا... وستظل تفعل.

قلتُ دون أن أشعر:

— "لا أفهم كيف عرفت."

فقالت پريا:

— "عفوًا، سيدي؟"

— "الشيء الذي كان داخل فم الضحية. لا أفهم كيف أمكن لآنا أن تعرف بشأنه."

تتسع عينا المحققة باتيل خلف نظارتها ذات الإطار المبرقش، وأتذكر رؤيتها تتحدث مع آنا قبل المؤتمر الصحفي.

— "أرجوكِ قولي إنك لم تخبري صحفية بشيء طلبتُ منك تحديدًا ألا تخبريه؟"

– "أنا آسفة جدًا يا سيدي," تجيب بصوتٍ يشبه الأطفال. "لم أقصد. انزلق الكلام مني... وكأنها كانت تعرف أصلًا."

لا ألوم پريا — في الحقيقة. لطالما عرفت آنا كيف تطرح السؤال الصحيح لتحصل على الجواب الصحيح. وما زال ذلك لا يفسّر سبب وجودها الحقيقي هنا.

أبدأ السير نحو موقف السيارات. پريا تركض بجانبي تقريبًا محاولة مجاراتي. لا تزال تعتذر، لكنني توقفت عن الاستماع. أنا مشغول بمراقبة آنا وهي تتحدث إلى مصورها، ولا يعجبني نظرته لها. أعرف رجالًا مثله... فقد كنت واحدًا منهم.

تركب سيارتها الـ **ميني** الحمراء القابلة للكشف — التي اشترتها بعد الطلاق، على الأرجح لأنها تعرف أنني سأكرهها — وأتفاجأ بأنها تبدو كمن سيغادر. لم أعرفها يومًا أن تتخلى بسهولة عن قصة... أو عن أي شيء. وذلك يجعلني أتساءل إلى أين تذهب.

أسرع خطواتي نحو سيارتي.

– "هل أنت بخير؟" تسأل پريا.

– "سأكون أفضل لو أن الجميع قام بعمله كما يجب."

– "آسفة، سيدي."

– "بالله عليكِ، لستُ رئيسكِ اللعين."

أبحث في جيبي عن المفاتيح بينما تختفي الميني عند مخرج الموقف. تنظر إليّ پريا صامتة — للمرة الأولى — وبشيء من التحدي في عينيها لم أره من قبل. للحظة أقلق أن حتى هي تعرف أكثر مما يجب.

– "نعم، سيدي," تقول بنبرة تجعلني أشعر ... والبؤس.

– "آسف، لم أقصد أن أصرخ. أنا فقط مرهق. الصغير أبقاني مستيقظًا نصف الليل," أكذب.

أعيش الآن مع امرأة وطفل آخر، لكن علي عكسي، الطفل لا يعاني في النوم. تهز پريا رأسها، لكنها تبدو غير مقتنعة. أدخل السيارة قبل أن تسألني أين سأذهب، متمنيًا أن يعمل المحرك حالًا.

لا أعرف ماذا أفعل أو لماذا أفعله.

غريزة، ربما. هكذا سأبرّر الأمر لنفسي لاحقًا.

لا أتبع زوجتي السابقة في العادة، لكن شيئًا ما يخبرني أن عليّ فعل ذلك هذه المرة. أكثر من ذلك... أشعر أنني مضطر.

هناك دائمًا أسئلة بلا إجابة عندما يتعلق الأمر بآنا.

لماذا هي هنا حقًا؟

هل تعرف بالفعل من الضحية؟

كيف علمت بموقع الجريمة الدقيق قبل أن نخبر الصحافة؟

هل تفتقدني؟

هل أحبّتني يومًا حقًا؟

السؤال المتعلق بصغيرتنا هو الأعلى صوتًا دائمًا:

لماذا كان عليها أن تموت؟

هناك أسئلة كثيرة تبقيني مستيقظة كل ليلة.

الأرق عادة سيئة لا أستطيع التخلص منها.

كل يوم يبدأ بالعكس —— أستيقظ مرهقة وأنام وأنا في كامل يقظتي.

وليس الذنب بشأن قتل **رايتشل**... فقد بدأ هذا منذ وقت طويل، ولا شيء يبدو قادرًا على مساعدتي.

حبوب النوم مضيعة للوقت، وتسبب لي صداعًا رهيبًا إذا تناولتها مع الكحول —— وهو ما يصعب أن أتجنبه.

النبيذ دائمًا أكثر العكازات موثوقية عندما أشعر أنني على وشك السقوط.

أتجنب الأطباء قدر استطاعتي.

المستشفيات أماكن قذرة، ولا يكفي مطهر أو غسيل يدين لمسح رائحة المرض والموت العالقة بجلدي بعد زيارتها. الأماكن الطبية مليئة بالجراثيم... وبالأحكام. ثم إن العاملين فيها يسألون دائمًا الأسئلة نفسها، فأجيب بالإجابات نفسها: لا، لم أدخن قط... ونعم، أشرب، لكن باعتدال.

لا أعرف قانونًا يلزمني بأن أقول الحقيقة للطبيب.

ثم إن الكذبة التي تُقال بما يكفي... تصبح قابلة للتصديق.

ذهني يسرح كثيرًا وأنا أقود، وهذا ليس جديدًا. لطالما كنت ميّالة للشرود. ليس لدرجة الخطر، فأنا سائقة حذرة جدًا، فقط أتحرك على وضع القيادة الآلية أحيانًا، لا أكثر.

الطرق هنا خالية في معظمها على أي حال.

أتساءل هل سيتغير ذلك الآن؟

سيحدث في البداية —— الشرطة، سيرك الإعلام —— لكن ماذا بعد؟

عندما ينتهي العرض وتُزال الفوضى... ستعود الحياة لطبيعتها بالنسبة لمعظم السكان.
ليس لمن مسّهم الأمر مباشرة، بالطبع، فالحزن أعمق ما يكون عند نقطة الاصطدام.
أتساءل هل ستواصل الحافلات السياحية القدوم صيفًا؟
لن يكون أمرًا سيئًا لو لم يفعلوا؛ الشهرة تُفسد المكان كما تُفسد الإنسان.

أنا لا أقلق من غياب الندم... لكنني أتساءل عمّا يعنيه ذلك.
هل أصبحت شخصًا آخر غير ذلك الذي كنتُه قبل أن أقتلها؟
ما زال الناس ينظرون إليّ بالطريقة نفسها. وعندما أحدّق في المرآة... لا أرى أي اختلاف واضح.

إلا إن كان ذلك لأن هذه... لم تكن المرة الأولى حقًا.
لقد قتلتُ من قبل.

أدفن ذكرى ما فعلته تلك الليلة لأنها لا تزال تؤلمني... حتى الآن.
قرار واحد خاطئ دمّر حياتين.
مع أن أحدًا لم يعرف يومًا حقيقة ما حدث.
لم أخبر روحًا واحدة.

قد يفهم الكثيرون سببي لقتل **رايتشل هوپكينز** لو عرفوا حقيقتها — وقد يشكرني بعضهم — لكن لا أحد سيفهم لماذا قتلت شخصًا أحببته كثيرًا.
ولن يفعلوا أبدًا... لأنني لن أخبرهم.

-٩-

حكايتها

الثلاثاء ١٠:٠٠

هناك أشياء كثيرة لا أبوح بها لأحد.
أشياء **أكثر مما ينبغي**.
ولي أسبابي.

المطر ينهمر من جديد، غزيرًا إلى حد يصعب معه رؤية الطريق أمامي. قطرات ماء غاضبة، ثقيلة، تضرب الزجاج بلا رحمة قبل أن تنحدر كدموع على صفحة الزجاج. أواصل القيادة حتى أشعر أنّ بيني وبين مسرح الجريمة—وبيني وبين زوجي السابق—مسافة كافية، ثم أركن السيارة في استراحة جانبية، أجلس لحظة أحدّق وأصغي إلى حركة المسّاحات:

سويش. سويش. سويش
غادري المكان. غادري المكان. غادري المكان.

أتفقد الطريق أمامي وخلفي في المرآة. وحين أتيقّن من خلوّه، أبتلع زجاجة ويسكي صغيرة أخرى. تحرق حلقي وأنا ممتنّة لذلك الألم. أتذوقه وأحتفظ به قدر استطاعتي، ثم أرمي الزجاجة الفارغة في حقيبتي.
ارتطامها بالزجاجات الأخرى يعيدني إلى صوت الخلخال الهوائي الذي كان خارج غرفة ابنتي. الخمر لا يجعلني أفضل؛ هو فقط يمنعني من أن أكون أسوأ. أضع حبّة نعناع في فمي، أنفخ في جهاز قياس الكحول، وحين يكتمل طقس الاشمئزاز من النفس وطقس الحفاظ عليها، أتابع طريقي.

في طريقي للبلدة أمرّ بالمدرسة التي كنت أرتادها. أرى بضع فتيات بزيّ «سانت هيلاريز» الأزرق الملكي بخط أصفر—الزي الذي كنت أكرهه دائمًا. لا تبدو أعمارهن أكثر من خمس عشرة سنة، ويبدين صغيرات جدًا الآن، رغم أنّني أتذكر تمامًا كم ظننت نفسي كبيرة في مثل عمرهن. مضحك كيف يبدو العمر أحيانًا وكأنه يسير بالعكس. كنّا أطفالًا نتظاهر بأننا بالغون، والآن نحن بالغون نتصرف كالأطفال.

أشعر بالغثيان حين أتوقف أمام المنزل، وليس بسبب الشراب. أركن الميني بعيدًا قليلًا حتى لا تُرى؛ لا أعرف لماذا. ستعرف بوجودي عاجلًا أم آجلًا. شعور الذنب لطول المدة منذ زرت المكان آخر مرّة يشلّني في مقعدي. أحاول أن أتذكر متى التقينا آخر مرة... أكثر من ستة أشهر على الأرجح.

لم أزرها حتى في عيد الميلاد الماضي. ليس لأن لديّ خططًا أخرى—كنت أنا وجاك قد تطلقنا وقتها، وهو كان يعيش مع امرأة أخرى—بل لأنني شعرت بأنّني **لا أستطيع**. كنت بحاجة لأن أكون وحدي. فأمضيت ظهيرة يوم ٢٤ ديسمبر في العمل التطوعي بمطبخ خيري، ثم حبست نفسي ثلاثة أيام في شقتي، لا أنيس لي سوى زجاجات النبيذ وحبوب النوم.

وحين استيقظت في يوم ٢٨ ديسمبر، لم أشعر بتحسّن، لكن شعرت أنّني قادرة على الاستمرار. وهذا كان أفضل ما أطمح إليه. كان لديّ "الخطة ب" إن لم يتحسن إحساسي تجاه الغد، لكنني تخلصت منها، وأنا ممتنة لذلك. كان عيد الميلاد زمان أجمل أيامي... أمّا الآن فهو شيء يجب **تحمّله**، لا الاحتفال به. والطريقة الوحيدة التي أعرفها هي أن أكون وحدي.

أحيانًا أشعر أنّني أعيش تحت سطح الحياة بقليل، بينما يعيش الآخرون فوقه. وحين أحاول أن أكون مثلهم، أن أبدو مثلهم، أن أتنفس

مثلهم... أشعر بأن الهواء نفسه يرفض صدري. وكأن رئتيّ خُلقتا بطريقة مختلفة، غير مؤهلتين لتنشق الهواء نفسه الذي يتنفسه الآخرون.

أغلق السيارة وأتلفت حولي في الشارع القديم. لم يتغير الكثير. منزل تحوّل إلى طابقين، حديقة صارت ممرًا لصفّ السيارات، لا شيء سواه. كل شيء يبدو كما كان، كما لو أنّ العشرين عامًا الماضية كذبة، محض خيال متعب. الحقيقة أنّني أشعر أنّني أقف منذ زمن طويل على حافة البلدة المجنونة دون أن أتجاوز حدودها تمامًا.

تتوقف قدماي أمام آخر بيت في الممر، وأتردّد طويلًا قبل أن أرفع بصري. حين أفعل، يبدو الكوخ الفيكتوري تمامًا كما كان. باستثناء طلاء النوافذ المتقشر والباب الأمامي الذي غزاه العمر. أمّا الحديقة فكانت الصدمة الحقيقية: غابة مهملة من عشب بري ونباتات هيذر. صفّا الخزامى على جانبي الطريق تحوّلا إلى أشباح: سيقان ملتوية كأصابع مصابة بالتهاب المفاصل، تمتدّ كأنها تريد منع الداخلين... أو الهاربين.

أنظر إلى باب الحديقة فأراه مكسورًا ومتدلّيًا من مفصليه. أزيحه وأشق طريقي إلى الباب، مترددة قبل أن أقرع الجرس. لا داعي... إنه معطل، فأطرق الباب بدلًا منه. ثلاث طرقات، تمامًا كما علّمتني قديمًا، حتى تعرف أنّني أنا. زمان لم تكن تسمح لأحد بالدخول.

لا يجيب أحد. أنظر إلى ممسحة الباب فأجدها مقلوبة. كأنها ليست لاستقبال الضيوف، بل لاستقبالها هي إن قررت يومًا العودة إلى العالم الحقيقي. أوبّخ نفسي بصمت، أحاول تهدئة هذا السيل من الأفكار القاسية. ثم أراها... ما جئت لأجله:

وعاء زهور فخاري مشقوق على العتبة.

أرفعه... وما زالت تخبّئ المفتاح تحته.

أدخل إلى البيت.

-١٠-

حكايته

الثلاثاء ١٠:٠٥

كنتُ قد فقدتُ رؤيتها عند المحور المروري الثاني — كانت دائمًا تقود أسرع مما ينبغي — لكن ذلك لم يهم. كنتُ قد خمَّنتُ بالفعل إلى أين ستذهب. سأكون صريحًا: فوجئتُ بعد كل هذا الوقت. وما إن رأيتُ سيارتها في الشارع تؤكِّد شكوكي، حتى ركنتُ سيارتي على بُعد منزلين، أطفأتُ المحرك، وانتظرت.

أنا أجيد الانتظار.

كانت آنا تبدو مختلفة عن مظهرها هذا الصباح. ما زالت جميلة، بشعرها البني اللامع، وعينيها الخضراوين الواسعتين، ومعطفها الأحمر القصير، لكنها بدت أصغر. كأن لهذا المكان قدرة على تقليصها جسديًّا وإعادتها إلى حجمها القديم. كانت تبدو أكثر هشاشة، قابلة للكسر بسهولة.

لم تكن طليقتي تُحبُّ العودة إلى هنا، حتى قبل موت ابنتنا — ولم تكن تُفسِّر السبب يومًا — أما بعد الحادث، فصارت لا تذهب إلى أي مكان إلا غرفة الأخبار في عملها. حتى التسوّق لم تعد تقوم به إلا عبر الإنترنت، كي لا تغادر الشقة إلا مضطرة.

لم تستطع حتى أن تنطق اسم صغيرتنا، وكانت تغضب إن فعلتُ، وتسدّ أذنيها كأن مجرد سماعه يجرحها. هناك أشياء حدثت في حياتي —

t.me/wadistreambooks

أخطاء ارتكبتها، وأشخاص جرحتهم —— أظن عقلي حذَفها من الذاكرة تمامًا. وكأن الألم لم يسمح ببقائها. لكن ابنتي... رغم شعوري بالذنب، لم تكن يومًا من تلك الأشياء. ما زلتُ أحيانًا أهمس باسمها داخل رأسي. على عكس آنا، لا أريد أن أنسى. ولا أستحق أن أنسى.

شارلوت. شارلوت. شارلوت.

كانت صغيرة جدًا... وكاملة جدًا... ثم اختفت.

حين تكتشف أنك تخاف شيئًا، فإن الحل المنطقي هو تجنّبه. وهذا ما فعلته آنا مع حزنها. كانت تُبقي نفسها منشغلة في العمل، وتختبئ في البيت في الخفاء، تحاول حماية نفسها من الطفح الجلدي الذي يُسبِّبه لها الاحتكاك بالبشر. تعلّمت أن تُخفي قلقها عن الآخرين، لكنني أعرف أنها تعيش عليه، كأنه وقودها اليومي.

بدأ بطني يقرقر، فانتبهتُ أنني لم آكل شيئًا منذ الصباح. لدي عادة الاحتفاظ ببعض الوجبات السكرية الصغيرة في السيارة، ولو أن أمي —— لو كانت ما تزال على قيد الحياة —— لكانت تطاردني بشبح فرشاة أسنان. فتحتُ علبة التابلوه، لكن بدلًا من لوح شوكولاتة كنتُ آمله، لاحظتُ زوجًا من الملابس الداخلية النسائية السوداء والدانتيل. لا بد أنها تخصّ رايتشل —— نادرًا ما تخلع النساء ملابسهن في سيارتي —— لكنني لا أعرف كيف وصلت إلى هنا.

مددتُ يدي مرّة أخرى، فوجدتُ علبة تيك تاك. ذكّرَتني بآنا —— كانت دائمًا تحمل علب نعناع صغيرة —— ورغم أنها لن تُسكِت الجوع، فهي أفضل من لا شيء. هززتُ العلبة، وفتحت الغطاء، وسكبتُ بعض القطع على كفّي.

لكن الأبيض الصغير لم يكن حبوب نعناع.

كانت قصاصات أظافر سميكة.

تقلّبَت معدتي، وكدتُ أتقيأ.

دوّى صوت إغلاق باب سيارة في الشارع. رميتُ الملابس الداخلية وعلبة التيك تاك داخل التابلوه بسرعة، وأغلقته كما لو كانت حركة لاإرادية عصبية. كأن إخفاء الأشياء يلغي وجودها.

هناك شخص ما يعرف أنني كنتُ مع رايتشل الليلة الماضية... والآن يعبث بي.

لا أجد تفسيرًا آخر.

لكن من هو؟

أعدتُ النظر من النافذة، أراقب آنا في كل خطوة. نزلتُ من سيارتها ببطء، رغم استعجالها للوصول إلى هنا. لا يسعني إلا التفكير بأنها خائفة مما ستجده خلف ذلك الباب. وأنا أتعاطف معها... لأنها مُحِقّة.

فأنا أعرف تمامًا ما ينتظرها في الداخل.

أذهب إلى هناك طوال الوقت.

بل وقطعتُ مفتاحًا خاصًا بي.

من دون علم أي منهما.

t.me/wadistreambooks

-١١-

حكايتها

الثلاثاء ١٠:١٠

كان يجب أن أتوقّع أن الوضع سيكون هكذا.

كدسٌ من الرسائل غير المفتوحة كان وراء الباب، يمنعني من دفعه. أغلقته خلفي بحذر بعد أن تسللت عبر الفجوة. لكن البرد في الداخل لا يقلُّ عن برد الشارع. احتاجت عيناي بعض الوقت لتعتادا على الظلمة ـــ فالرؤية صعبة ـــ لكن أوّل ما شعرتُ به... الرائحة. كأن شيئًا ما مات هنا.

ـ "أمي؟"

لم يجب أحد.

وصلني خَفَقان التلفاز من الجهة الخلفية، ولستُ متأكدة إن كان ذلك يبعث في طمأنينة أم خوفًا. الستائر كلها مسدلة، لا شيء يمرّ سوى خيط رفيع من شمس الشتاء القديمة. أتذكر أنها كانت تخيطها بيديها منذ أكثر من عشرين عامًا. حاولت الضغط على زر الإضاءة، لكن لا شيء. رفعت رأسي، فوجدت اللمبة مفقودة.

ـ "أمي؟"

لا رد.

سحبتُ حبل أحد الستائر لأرفعها قليلًا، فانفجرت سحابة غبار أمامي، ملايين الذرات تتراقص في شعاع الضوء. التفتُّ لأرى أن غرفة

thewadistreambooks

المعيشة التي كانت يومًا دافئة... أصبحت فارغة إلا من صناديق كرتون كثيرة، بعضها مائل على وشك السقوط. لفت نظري صندوق في أقصى الركن: **أشياء آنا**.

المجيء هنا دائمًا يشعرني بالذنب، لكن... لا شيء مما أراه يبدو صحيحًا.

أمي كانت تفضّل الموت على ترك هذا البيت — كنا نتشاجر كثيرًا بشأن ذلك قبل أن نتوقف عن الحديث — فلماذا تعبئ أغراضها الآن؟

ارتجفت يداي، كما كانتا ترتجفان حين عشت هنا. لم يكن ذلك ذنبها... لم تكن تعرف. كنتُ نسخة أخرى من نفسي آنذاك، نسخة لا يُمكن لأحد أن يحبها أو يتعرّف عليها. الوطن ليس دائمًا حيث يسكن القلب. بالنسبة لأمثالي، الوطن هو المكان الذي وُلد فيه الأذى.

كانت أمي تحبّ الصناديق... ليس كلها حقيقية.

علّمتني وأنا صغيرة كيف أبني صناديق داخل رأسي، وأحبس أفظع ذكرياتي داخلها. كنت أملؤها بكل ما أردت نسيانه، وأغلقها بإحكام في أعمق زوايا ذهني... كي لا يفتحها أحد، حتى أنا.

وكعادتي، أهمس لنفسي:

أنت ِأفضل من أسوأ ما فعلتِهِ في حياتك.

اشتد الألم في مؤخرة رأسي، يخفق مع نبض قلبي. ألم لا يهدأ إلا بالكحول، فتغلب الحاجةُ على كل شيء. بحثتُ في حقيبتي، ووجدتُ شريط مسكّنات نصف فارغ، ابتلعتُ حبتين، وبدأت أبحث عن قنينة صغيرة أغسل بهما الألم.

لم تعد القناني الصغيرة صعبة المنال كما كانت — لم أعد أسرقها من الطائرات أو الفنادق — بل لدي تشكيلة أحبها: فودكا سِميرنوف، جِن بومباي، باكاردي، وللمناسبات الحلوة بايليز. لكن السكوتش يبقى اختياري الأول، والخيارات كثيرة الآن عبر الإنترنت. كلها صغيرة، تُخَبَّأ

بسهولة في أي جيب أو حقيبة. وجدت أول قنينة بلاستيكية، أدرْتُ الغطاء، وشربتُها كدواء. فودكا هذه المرة. لم أُتبعها بنعناع. الأمّهات يعرفن أبناءهن... حتى السيئين منهم.

— "ماما!"

ارتدّ صوتي طفوليًا كما لو أن السنوات لم تمر.

لا جواب.

"واسع بما يكفي لاثنتين"، هكذا وصفتْ أمي هذا الكوخ الصغير حين كنت أعيش هنا. وكأنها نسيت أنه كان يسع ثلاثة. ما زلتُ أسمع جملتها تلك في رأسي، ومعها كل الأكاذيب التي كانت تمنعني من الرحيل.

البيت قديم — فيكتوري — غرفتان فوق، وغرفتان تحت، مع ملحق أضيف في القرن العشرين كفكرة متأخرة. كان يبدو جميلًا، حتى حين توقّف عن أن يكون منزلًا بحق. أمّا الآن... فلا.

تسللتُ بين الصناديق حتى وصلتُ إلى باب يفصل المقدمة عن الجزء الخلفي من المنزل. صريره كان احتجاجًا خافتًا. والرائحة أسوأ بكثير هنا. ضربتني في حلقي، وكدت أتقيأ من مجرد تخيّل السبب.

مررتُ بجانب الدرج، وعبرتُ ما يشبه غرفة الطعام — رغم أن الطاولة محتلة بالصناديق — وحاولت ألا أتعثر. رأيتُ مشغّل الأسطوانات القديم على البوفيه، مغطّى بطبقة سميكة من الغبار. أمي لم تعترف بالكاسيت ولا بالسي دي. كانت مخلصة للفينيل. رأيتها مرات عديدة ترقص وحدها، تدور ببطء، ذراعاها مفتوحتان كأنها تمسك بظلّ رجل.

دخلتُ المطبخ، أضأتُ المصباح، فارتفعت يدي إلى فمي تلقائيًا. أطباق متعفنة، طعام موفَّر غير مُكتمَل، أكواب شاي نصف فارغة، ذباب

يتهادى فوق ما كان يومًا لازانيا جاهزة. أمي لم تكن تأكل طعامًا سريعًا قط. بالكاد كانت تأكل ما لم ينبت في حديقتنا.

الرائحة الآن... لا تُطاق.

حين رفعتُ رأسي عن الفوضى، رأيتُ وهج التلفاز في الشرفة الزجاجية. كانت دائمًا تحب الجلوس هناك، حيث يطلّ المكان على أجمل جزء من الحديقة.

ورأيتها.

جالسة في كرسيها المفضل، أمام التلفاز، حقيبة حياكة عند قدميها. أمي كانت تصنع كل شيء بنفسها: الطعام، الملابس... وأنا. ساعدتني قبل سنوات في حياكة وشاح هاري بوتر لجاك. كان غريبًا أن أراه يرتديه اليوم.

اقتربت خطوة... فبدت أصغر مما أتذكر. الحياة كرمشتها. شعرها الرمادي خف، ووجنتاها صارتا حفرتين مكان حمرة الماضي. ملابسها متسخة وفضفاضة، وأزرار كارديغانها — المزين بنحل مطرز — مُغلقة بطريقة خاطئة، بحيث بدا أحد الجانبين أطول بكثير. هذا الكارديغان... كنت قد أهديتها إياه. لم أتوقع أن تحتفظ به.

على شاشة التلفاز كان يظهر خبر من قناة BBC News. اعتقدتُ... ربما كانت ترجو أن تلمحني. كنت أعرف أنها تفعل. ورؤية ذلك... جعلتني أزداد سوءًا.

لكنها الآن لم تكن تشاهد.

عيناها مغمضتان... وفمها نصف مفتوح.

اقتربتُ خطوة أخرى، والذكريات التي خزنتُها في صناديق عقلي بدأت ترتجّ. هززت رأسي بقوة، وكأنني أحاول إسكاتها قبل أن تخرج.

لم تكن رائحة المطبخ وحدها... كانت رائحتها أيضًا.

رائحة عرق قديم... بول... وشيء آخر... شيء لا أريد أن أعرفه.

t.me/wadistreambooks

– "ماما؟"

همست.

لا جواب.

الذكريات، تلك التي تتغير أشكالها مع الزمن... لكن أسوأها لا يغادر أبدًا.

– "ماما؟"

قلت بصوت أعلى.

لكن لا حركة. لا نفس.

تخيّلت موتها مئات المرات في ذهني. ليس لأنني أردته... بل لأنه كان يحدث تلقائيًا. لا أعرف إن كانت بنات أخريات يعشن هذا... لكنه ليس موضوعًا يقال. والآن — والاحتمال واقعي — أدرك أنني لست مستعدة.

مددتُ يدي، وترددت قليلًا قبل لمسها. كانت أصابعها باردة جدًا. انحنيتُ، حتى صار وجهي قريبًا من وجهها، أحاول أن أستمع إلى أنفاسها. ومع شدة الألم في رأسي — رغم الحبوب — أغمضتُ عيني ثانية واحدة...

وفجأة شعرت كأنني سقطتُ إلى الوراء داخل الماضي.

ثم...

سمعتُ صرخة — علقت في الهواء — ولم أدرك أنها صرختي إلا بعد فوات الأوان.

t.me/wadistreambooks

-١٢-

حكايته

الثلاثاء ١٠:١٠

ذكرياتي القديمة عن هذا المكان تتسلّل إلى حاضري.

أراقب **آنا** وهي تقف أمام البيت الذي نشأت فيه، وكأن السنوات تتساقط فجأة، فترتسم أمامي صورة طفلة صغيرة. كان بإمكاني أن أهبط من السيارة الآن وأوقفها، لكنني لا أفعل. أحيانًا لا بدّ أن نترك الأمور تأخذ مجراها، مهما كان ذلك مؤلمًا. أعرف مسبقًا ما الذي ستجده في الداخل، ويؤلمني ذلك بشدّة. أعرف أيضًا أن معها مفتاحًا للبيت، ومع ذلك أراقبها وهي تنحني لتأخذ المفتاح الاحتياطي من تحت أصيص الزهور، قبل أن تختفي خلف الباب الأمامي المتقشّر.

كان الكوخ جميلًا يومًا ما، لكنّه—تمامًا كالمرأة التي تقطنه—لم يتقدّم في العمر على نحوٍ حسن. كانت أمّ آنا تعرف كيف تجعل من البيت بيتًا، وكان كوخهم دائمًا الأجمل في الطريق. صورة مثالية. على الأقل من الخارج. كان الناس يتوقّفون فعلًا لالتقاط الصور، فقد بدا مثل بيت دمية بحديقته الصغيرة، وصناديق أزهاره، وسياجه الأبيض. اليوم... لم يعد أحدٌ يلتقط صورًا له.

لكنّها كانت بارعة في التنظيف والترتيب وصنع الدفء، حتى صارت تفعل ذلك لكسب رزقها. كانت تنظّف بيوت نصف سكّان القرية على مدار عشرين عامًا—ومن بينها البيت الذي أعيش فيه الآن—ولم تكن

تكتفي بالتنظيف. كانت تشتري شموعًا معطّرة وزهورًا وتتركها في البيوت. أحيانًا تخبز كعكات براونيز وتتركها على طاولة المطبخ. وحتى أختي كانت تجالسها من وقت لآخر. كان يكفي طريقة ترتيبها للسرير، أو نفخها للوسائد، لتعرف أنّ **السيدة أندروز** قد مرّت من هنا. لم تكن يومًا بلا عمل أو بلا توصيات.

أنتظر في السيارة. وعندما لا يحدث شيء، أنتظر قليلًا بعد. ثم يبدأ المزيج المألوف من الملل والترقّب بجرّ انتباهي، فأخرج لأمدّد ساقيّ. أسير بمحاذاة الشارع، وعيني على البيت، ثم أتوقّف لأتفحّص سيارة آنا الصغيرة. لا شيء مميّز فيها—باستثناء لونها الأحمر الصارخ—لا خدوش، لا علامات، لا شيء. لا أعرف حتى لماذا أفعل هذا. ربما لأنك—في عملي وفي الحياة—لا تعرف دائمًا ما الذي تبحث عنه... إلا حين تعثر عليه.

وهذا ما يحدث الآن.

أرى تذكرة موقف سيارات *ادفع واركن* تحمل شعار قناة **ناشيونال ترست** التليفزيونية على أرضية مقعد الراكب الأمامي. مهملة ومجعّدة قليلًا، تبدو قطعة الورق الصغيرة بلا أي أهمية للوهلة الأولى. أعرف أنها أوقفت سيارتها أمام الغابة هذا الصباح—كنت هناك، ورأيتها. لكنني أتفاجأ أن أحدًا من الصحافة قد اهتمّ بآلة دفع المواقف وسط كل ما يجري. من المؤكّد أنّ قناة **ناشيونال ترست** ستكون قلقة بشأن وجود جثة في ممتلكاتها أكثر من قلقها بشأن بعض الأشخاص الذين نسوا الدفع.

أحدّق فيها قليلًا، بلا سبب واضح، كأن عينيّ تنتظران من عقلي أن يلحق بما رأتاه. ثم أنظر إلى ساعتي، وأعود إلى التذكرة مجددًا. التاريخ. ليس تاريخ اليوم. أقرّب وجهي من زجاج السيارة، أحدّق داخلها حتى أتأكد تمامًا. وها هو مكتوب بالأبيض والأسود: زارت آنا موقف السيارات الذي عُثر فيه على الجثة... **أمس**.

أنظر يمينًا ويسارًا في الشارع، كأنني أبحث عن شخص يؤكّد لي أنّ ما أراه حقيقي. ثم أسمع امرأة تصرخ.

t.me/wadistreambooks

-١٣-

حكايته

الثلاثاء ١٥:١٠

أتوقّف عن الصراخ عندما تفتح أمي عينيها.

يبدو الذعر في وجهها أولًا كما هو في صدري، ثم تتمدّد الخطوط حول فمها في ابتسامة، يضيء وجهها بالعرفان، وتبدأ بالضحك.

– "آنا؟ أخفتِني!"

صوتها كما كان دائمًا، كما لو أنها ما زالت في منتصف العمر، لا المرأة المسنّة الجالسة أمامي الآن. يربكني هذا التناقض بين ما أراه وما أسمعه. أمي في السبعين فقط، لكن الحياة تشيخ بعض الناس أسرع من غيرهم، وقد كانت تسير في طريق الانحدار السريع سنواتٍ طويلة، مدفوعة بالشرب ونوبات اكتئاب لم أستوعبها ولم أعترف بها. هناك أمور يختار الأطفال ألّا يرَوها في آبائهم؛ أحيانًا يكون من الأفضل أن تمرّ أمام المرآة دون أن تتوقّف لتنظر إلى نفسك.

تستمر في الضحك، أما أنا فلا. أشعر كأنني عدت طفلة من جديد، ولا أجد كلمات تلائم الموقف. صُدمت من حالتها، ومن حال البيت، ولدي رغبة جارفة في إدارة ظهري والمغادرة... إلى الأبد. وليست هذه المرة الأولى.

– "هل ظننتِ أنني متّ؟"

تبتسم وتنهض من الكرسي بصعوبة واضحة.

t.me/waiistreambooks

أدعها تعانقني. لست معتادة على المودّة الجسدية—لا أتذكر آخر مرة احتضنني فيها أحد—لكنني أحاول ألّا أبكي، وأتذكّر في النهاية أن أبادلها العناق. يمر وقت طويل قبل أن نفترق. رغم الفوضى، ما تزال صور طفولتي تملأ البيت. أشعر بعيون تلك النسخ الصغيرة مني تحدّق نحونا من الجدران والرفوف المغبرّة. وأعرف أن كل واحدة منهن لن ترضى عن المرأة التي أصبحتها. كل الصور التي اختارت أن تضعها في إطارات تعود لمرحلة ما قبل الخامسة عشرة. كأن زمني توقّف في رأسها عند ذلك العمر.

– "دعيني أنظر إليك."

لكنني أشك أن عينيها الكليلتين ما زالتا ترياني كما في السابق. نتبادل صمتًا محمّلًا بعدد الأشهر التي انقضت منذ آخر لقاء. كل عائلة لها تعريفها للـ"طبيعي"، وطبيعيّنا نحن هو الغياب الطويل بلا تفسير. وكلانا يعرف السبب.

– "ماما... البيت... الفوضى... الصناديق. ماذا يحدث؟"

– "سأنتقل من هنا. لقد حان الوقت. هل تريدين كوب شاي؟"

تتجاوزني بتثاقل نحو المطبخ، تعثر بطريقة ما على الغلّاية وسط أكوام الأطباق والأكواب القذرة. تفتح الصنبور، فتصرخ الأنابيب القديمة احتجاجًا، تُصدر صوتًا مجهدًا يشبه حالها الآن. تضع الغلّاية على الموقد—فهي تؤمن أن الغاز أوفر من الكهرباء.

– "اعتني بالبنسات، والجنيهات ستعتني بنفسها."

تقولها مبتسمة كأنها تسمع أفكاري.

أفكّر فورًا أنني أنا *البنس السيئ* الذي ظهر فجأة، وأتساءل هل تفكّر في الأمر ذاته. الصمت مشدود وثقيل ونحن ننتظر غليان الماء.

t.me/wadistreambooks

لم تكن أمي دائمًا عاملة نظافة، لكنها كانت دائمًا مرتّبة، لامعة، نظيفة. كأنها تُصاب بالتحسّس من الغبار. أظن أنني ورثت جزءًا من هوسها بالنظافة. لكن المشهد من حولي الآن يقول إن الأمور تغيّرت.

اشترى والداي هذا البيت ليضمنوا دخولي مدرسة جيّدة. وعندما لم أحصل على مكان في مدرسة حكومية محترمة، قرّرا دفع تكاليف مدرسة خاصة، رغم أننا لم نكن نملك المال الكافي. أصبح أبي يسافر للعمل أكثر، لكنهما أرادا أن يمنحاني البداية التي لم يحظيا بها. بالنسبة لي كانت بداية حياة كاملة من عدم الانتماء.

كنت في الخامسة عشرة حين اختفى للأبد. وكان ذلك سنًّا كافيًا لأن أعود من المدرسة وحدي، لكن أمي قالت إنها ستأتي لتأخذني. وعندما لم تأتِ، غضبت. ظننت أنها نسيتني. والدات الآخرين لا ينسون. والدات الآخرين يصلون في الوقت المحدّد، في سياراتهم الفاخرة، بملابسهم الفاخرة، ليعودوا بأبنائهم إلى بيوتهم الفاخرة لتناول عشاء فاخر. كنت أشعر أنني لا أشبههم في شيء.

سرت في المطر ذلك اليوم، أحمل حقيبتي وحقيبة الرياضة وملف الرسم. كانت ثقيلة إلى حد الوجع، وكنت أبدّل الحمل بين يديّ كل بضع خطوات. لم يكن لمعطفي قلنسوة، ولم أستطع حمل مظلة أيضًا، فغرقت تمامًا قبل أن أصل نصف الطريق. أتذكّر الماء وهو ينحدر على عنقي، والدموع على وجنتيّ. لم تكن دموع المطر أو ثقل الحقائب سببها، بل لأن **سارة هيلي** قالت أمام الصف كله إن أنفي "يهودي". لم أفهم ما يعنيه ذلك، ولا لماذا هو إهانة، لكن الجميع ضحك. أردت فقط أن أسأل أمي فور وصولي إلى البيت.

كطفلة، كل ما أردته هو أن أكون مثلهم. الآن فقط أدرك كم كان يمكن أن تكون حياتي مملة لو كنت كذلك.

وصلت أعلى التل، مبلّلة تمامًا، منهكة، فألقيت كل شيء عن يدي لأستريح. نظرت إلى الأخاديد الحمراء المؤلمة على أصابعي—ندوب مؤقتة من ثقل الحقائب—وفركت كفّيّ لأدفئهما. ثم انعطفت نحو طريقنا، أعلى نقطة في **بلاكداون**. كان بالإمكان رؤية القرية والغابة والحقول والبحر البعيد في أيام الصفاء. منظر يخوّلك النظر من فوق إلى كل من كانوا ينظرون إلى أسفل نحونا.

كان بيتنا الأصغر... لكن الأجمل؛ مختبئًا عند نهاية الطريق. في الصيف كانت الحافلات السياحية تأتي لزيارة ما يسمّونه القرية الأكثر "إنجليزية" في البلاد. يصعدون التل لالتقاط المشاهد، وأحيانًا لالتقاط صور للكوخ أيضًا. لم تكن أمي تمانع. كانت تقضي ساعات في الحديقة، تزرع وتقصّ، وتعيد طلاء الباب كل ربيع. تجعل المكان لامعًا جديدًا رغم عمره الذي تجاوز القرن.

لم أبحث عن مفتاحي؛ كان دائمًا تحت أصيص الزهور. حتى قبل أن أدخل سمعت التلفاز، فظننت أنها نائمة أمامه. دخلت، وحرصت على أن أصفق الباب وراءي بقوّة.

— "ماما!"

ناديتها بنبرة اتهام، ثم أسقطت حقيبتي ومعطفي على الأرض، يقطران ماء على السجادة. فكّرت ألا أخلع حذائي المدرسي—لأن ذلك كان ليزعجها كثيرًا—لكني التزمت ونزعته ووضعته جانبًا. جواربي كانت مبتلّة، فنزعتها أيضًا.

— "ماما!"

ناديتها مجددًا، منزعجة من تجاهلها. اندفعت نحو غرفة الجلوس، ورأيت أنها نصبت شجرة عيد الميلاد. كانت الأضواء تلمع كالنجوم... لكن عيني لم تبقَ عليها. لم تكن هناك هدايا أسفل الشجرة. فقط أمي... ممدّدة على الأرض، ودم يغطيها.

t.me/wadistreambooks

كان هناك أثر أقدام موحلة على السجادة، كأنها زحفت من الحديقة. حاولت أن أهمس اسمها، لكن الكلمة علقت في حلقي. وعندما استوعب عقلي ما رأته عيناي، سقطت إلى جوارها، وحاولت أن أقلبها. كان شعرها مغطّى بالدم، ملتصقًا بوجه متورّم مليء بالكدمات. عيناها مغلقتان، ملابسها ممزّقة، ذراعاها وساقاها مليئة بالخدوش والجروح.

— "ماما؟"

همست، خائفة من لمسها.

— "آنا؟"

استدارت رأسها قليلًا، وفتحت عينها اليمنى؛ اليسرى مغلقة من التورّم. لم أعرف ماذا أفعل. صوتها المبحوح كان كأنه يمزّق أذنيّ، وشعرت برغبة مرعبة في الهرب. نظرت خلفي، نحو هاتف البيت القديم على الطاولة. فقفزت نحوه.

— "سأتصل بالشرطة——"

— "لا."

كان واضحًا أنّ كل كلمة تكلفها ألمًا فادحًا.

— "لماذا لا؟"

— "لا شرطة."

— "سأتصل بالإسعاف إذن."

وطلبتُ الرقم ٩.

— "لا."

بدأت تزحف تجاهي... مشهدٌ كأنه من فيلم رعب.

— "ماما، أرجوك. يجب أن أتصل بأحد. تحتاجين للمساعدة. سأتصل بأبي؛ سيعرف ماذا يفعل وسيعود و——"

مدّت يدًا ترتجف، مضرجة بالدم، وأمسكت الهاتف... ثم انتزعته من الحائط وأسقطته أرضًا.

بدأت أبكي. فكرت بالذهاب للبحث عن جار.

— "لا جيران."

قالت بصوت متحشرج، كأنها تقرأ أفكاري.

— "لا شرطة، لا أحد. اوعديني."

حدّقت في بعينها السليمة حتى هززت رأسي موافقة. ثم أسندت رأسها إلى الأرض.

— "سأكون بخير. أحتاج فقط للراحة."

كان صوتها خافتًا حدّ الاختفاء.

لكنني بقيت غير مقتنعة.

— "لماذا لا أستطيع على الأقل الاتصال بأبي؟"

تنفّست وكأنها تطلق زفرة حبستها طويلًا.

— "لأن أباكِ هو من فعل بي هذا."

t.me/wadistreambooks

-١٤-

حكايته

الثلاثاء ١٠:١٥

أحيانًا تكون هذه الوظيفة قائمة كلّها على اتخاذ القرارات. تعلّمتُ عبر السنين أنّ صواب تلك القرارات أو خطأها يأتي غالبًا في المرتبة الثانية بعد القدرة على اتخاذها من الأساس. ثم إنّ «الصواب» و«الخطأ» أمران نسبيّان للغاية.

لا ينبغي أن أكون هنا؛ أعلم أنني مُحق في هذا. التسكّع خارج المنزل الذي نشأت فيه زوجتي السابقة قد يُعدّ أمرًا مستهجَنًا — وإن كانت لديّ أسبابي — لكن هناك أشخاصًا لا نتخلّى عنهم أبدًا في حياتنا. أو في موتنا. حتى لو تظاهرنا بذلك. يظلون هناك دائمًا، كامنين في أكثر لحظاتنا وحدةً، يطاردون ذاكرتنا بأحلام لم يَعُد مقدّرًا لها أن تتحقق.

لستُ كازانوفا؛ أنا أقرب إلى رجل لا يعرف إلا علاقة واحدة في كل فترة... إلى أن جاءت رايتشل. أستطيع أن أعدّ النساء اللواتي نمتُ معهن على أصابع يد واحدة. لكن، مهما يكن عدد من عرفت من النساء، لم أحبّ حقًا إلا واحدة. تركتُ لندن لأنّه كان القرار الصائب بالنسبة إلى آنا. الناس لا يعرفون ماهية الحب الحقيقي إلا حين يفقدونه. معظمهم لا يجدونه أصلًا، لكن إن وجدته، ستفعل أي شيء من أجل تلك الإنسانة.

وأنا أعلم ذلك، لأنني فعلته.

كان ذلك الأفضل لها، لكنه ربما غدا أسوأ خطأ ارتكبته يومًا.

سواء أكان ينبغي لي أن أكون هنا الآن أم لا، فأنا هنا، وأنا متأكد من أنني سمعت الآن صرخة. ولن أكون رجلًا بحق، ولا محقّقًا، إن لم أفعل شيئًا حياله.

أرفع هاتفي وألتقط صورة لمخالفة الركن ذات تاريخ الأمس على سيارة آنا، ثم أتجه إلى بيت والدتها. أرفع البوابة المكسورة، وألتفت خلفي لأرى إن كان أحد يراقبني. أصلُ إلى أن لا أحد هناك، فأتابع طريقي على الممرّ غير المستوي الملطّخ بالأعشاب. أتجاهل الباب الأمامي، وأتوجه بدلًا من ذلك إلى جانب المنزل، نحو الخلف، حيث أتوقع أن تكونا.

أتوقف حين أسمع أصواتًا في الداخل.

لا أستطيع تمييز ما يُقال تمامًا، ولا أرغب أيضًا في المخاطرة بأن يراني أحد. أنتظر دقيقة، مستندًا إلى الجدار، وأصلُ إلى أن الأجدر بي أن أعود أدراجي. ما ينبغي فعله هو العودة إلى سيارتي، والذهاب إلى المقرّ، ومتابعة عملي. لكنني أسمعها ثانية، تلك الصرخة.

يزول التردّد من داخلي بما يكفي لأطلّ من نافذة المطبخ. أرى آنا ووالدتها، التي ألاحظ أنها ترفع الغلّاية عن الموقد، فأدرك أن هذا هو الصوت الذي سمعته. نسيتُ أن غلي الماء بهذه الطريقة أحد عادات حماتي السابقة القديمة والغريبة. زوجتي السابقة تُشبهها أكثر مما تحب أن تعترف به.

في خبرتي، هناك نوعان من النساء: من يقضين عمرهن في محاولة ألّا يصبحن مثل أمهاتهن، ومن لا يُردن شيئًا في الحياة أكثر من أن يصبحن مثلهن تمامًا. وغالبًا ما ينتهي الحال بكلا النوعين إلى عكس ما تمنّين؛ ففريق يصبح نسخًا كربونية من النساء اللواتي لم يردن أن يكنّ مثلهن، والفريق الآخر لا يرقى يومًا إلى نسخته المثالية عمّا يظنّ أنه يجب أن يكونه.

t.me/wadistreambooks

أعود إلى السيارة، لا أرغب في أن يراني أحد.

لقد جُعلتُ أحمق هنا لأكثر من مرة على يد النساء في هذا المنزل. كانت آنا دائمًا واضحة: لا تريد، ولا تحتاج، إلى من «يُنقذها». خلط صوت غلّاية بصيحة استغاثة لم يكن على الأرجح سوى تمنيًّا منّي. لا يمكنك مساعدةُ من يرفض الاعتراف بضياعه.

t.me/wadistreambooks

-١٥-

حكايتها

الثلاثاء ١٨:١٠

أظن أن أمي ربما فقدت صوابها، لكنني أحتفظ بأفكاري لنفسي. تبدأ الغلّاية بالصراخ، فترفعها عن الموقد. يخيّل إليّ من طرف عيني أن شيئًا يتحرّك خارج نافذة المطبخ. لكن لا بد أنني تخيّلتُ ذلك، إذ إنني حين ذهبتُ لأتأكد لم أجد شيئًا. أعود لأتأمل حالة المكان مرة أخرى. أعرفها كما أعرف نفسي، ولا أعلم كيف يمكنها تحمّل هذا. حين كنت مراهقة، كنت أحيانًا أشعر بالحرج من كونها تنظّف بيوت الآخرين. الآن أشعر بالخجل من نفسي لأني اهتممت بما كان الناس سيقولونه. فعلت ما فعلته من أجلي.

جاك أرسل عدة رسائل خلال الأشهر الماضية، يقول إن أمي أسوأ حالًا من ذي قبل. ظننتها ذريعة ليتواصل معي؛ لم أصدّقه. والآن، حين أنظر إلى حالها، أكره نفسي لذلك. أحيانًا تتبدّل أدوار الآباء والأبناء، ولم أؤدّ دوري كما يجب. لم أنسَ سطري فحسب، بل لم أتعلّمه أصلًا.

كانت أمي تنظّف بيتنا بلا توقف حين كنت أعيش هنا، إلى حد الهوس تقريبًا – عادة ورثتُها عنها – ولم أرَ البيت، ولا هي، بهذه الصورة من قبل. كانت المظهرية مهمة لها دائمًا. لم يكن لدينا الكثير من المال، لكنها كانت ترتدي دائمًا ما يليق – كثيرًا ما كانت تجد أجمل الثياب في متاجر التبرعات لنا كلتينا – وكانت دائمًا، دائمًا، تضع

مكياجها وتصفف شعرها. نادرًا ما أذكرها بغير ذلك. كانت جميلة حقًا، لكنها الآن تبدو – وتفوح منها رائحة – كأنها لم تستحم منذ أيام.

– «كيف حالك يا أمي؟»

– «أنا؟ أوه، أنا بخير.»

تبدأ فتح خزائن المطبخ وإغلاقها، وأرى أنها فارغة تقريبًا كلها. جاك ذكر أنها نسيت أن تأكل وفقدت بعض الوزن. قال إنها صارت تنسى كثيرًا من الأشياء.

– «أظن أن لدي بعض البسكويت هنا في مكان ما——»

– «لا بأس يا أمي. لستُ جائعة.»

– «حسنًا إذًا، سأُحضّر لنا الشاي.»

أراقبها وهي تفتح علبتين مختلفتين – فهي تحب مزجه بنفسها – ثم تُنزِل إبريق الشاي القديم الذي يثير في نفسي ألف ذكرى لنا ونحن نفعل هذا معًا. أنا بحاجة إلى شراب الآن، لكن ليس الشاي. كان ينبغي أن أعود إلى البيت قبل الآن، وأن أعتني بها كما كانت تعتني بي. كان لديّ أسبابي للبقاء بعيدًا. الحفاظ على نفسي واحد منها. أشعر الآن برغبة في المغادرة مرة أخرى بينما لا يزال ذلك ممكنًا، لكن أمي تمسك بذراعي.

– «خذي، اشربي هذا.»

أنظر إلى كأس الويسكي الكريستالي، ثم إليها. تبتسم، ويمنحني ذلك شعورًا غريبًا بالطمأنينة، إذ أعرف أن أمي تعرفني – حتى أسوأ نسخة منّي – وما زالت تحبّني رغم ذلك.

بدأت أمي الشرب عندما رحل أبي، وبرغم ادعاءاتها المتكررة عبر السنين، أعلم أنها لم تتوقف حقًا. لطالما ألقيتُ باللوم في فقدانها للذاكرة على رغبتها في محوها جميعًا بالكحول. لم تكن اجتماعية قط. صديقتاها المقربتان كانتا النبيذ والويسكي، وكانتا دائمًا هناك حين تحتاج إليهما. لم يكن أحد يعرف كم كانت تشرب. كانت تُخفي الأمر

جيدًا، وتعلمتُ منها أن أفضل طريقة لحفظ السرّ ألّا تبوح به أبدًا. الابنة دائما كأمها.

أثار جاك موضوع الخرف عدة مرات عبر السنين، لكنني كنت دائمًا أرفض الأمر، متأكدة من أنني أعرف أمي أفضل منه. حتى حين وصف أعراضها المتزايدة، بقيت أظن أنها ما تزال تحت السيطرة.

ربما كنت مخطئة.

أتذكّر نسيانها لأمور صغيرة، كاللبن، أو أين وضعت مفاتيحها، أو ذهابها لتنظيف البيوت الخطأ في الأوقات الخطأ. كان يسهل إيجاد مبرّر لذلك؛ فالكل ينسى أشياء بسيطة. نسيت عيد ميلادي مرتين، ولم يكن هذا مشكلة في نظري؛ مجرد أمر عابر. ثم إن عيد ميلادي يوم أفضل لي أن أنساه أنا أيضًا.

قال جاك إنها نسيت أين تعيش قبل أشهر.

ظننت أنه يبالغ، لكن الآن لا أدري ما أصدّق. إن كان الخرف يسلبها ذاكرتها، فربما يعيد بعضها أحيانًا. وبرغم كل شيء، فهي على الأقل تبدو متماسكة اليوم. أفرغ كأسي وأفكر كم سيكون سيئًا لو صببت كأسًا أخرى.

— «ما هذه؟» أسأل، ولاحظتُ صفًا من الأقراص الطبية مصطفة على حافة النافذة.

تتجمد ملامح وجهها في مزيج غريب من الخوف والخجل.

— «لا شأن لك بها»، تقول وهي تفتح درجًا فارغًا وتخفي الزجاجات البنية الصغيرة بداخله.

أمي لا تتناول الدواء أبدًا، ولا حتى المسكنات. كانت تعتقد أن شركات الأدوية ستكون سبب نهاية العالم. واحدة من نظرياتها الدرامية، لكنها كانت تؤمن بها تمامًا.

— «أمي، يمكنك إخباري. أيًّا كان الأمر.»

t.me/wadistreambooks

تحدّق بي طويلاً، كأنها تزن خياراتها وتصلُ إلى أن الحقيقة أثقل من أن تُحمَل.

– «أنا بخير، أعدك.»

أنظر حولي إلى المطبخ القذر، وأقول الكلمات بلطف شديد:

– «أظن أنّ كلينا يعرف أن ذلك غير صحيح.»

– «أعتذر عن الفوضى يا حبيبتي. لم يزرني أحد منذ زمن طويل. لو كنت أعلم أنك ستأتين... فقط إنني مشغولة بمحاولة وضع كل شيء في صناديق – هناك عمر كامل مدفون في هذا البيت – والحبوب تجعلني متعبة جدًا...»

– «ما هذه الحبوب يا أمي؟»

تنظر إلى الأرض قبل أن تجيب.

– «يقول الناس إنني صرت أنسى.»

يرسم ضوء الشمس من النافذة خطوطًا على وجهها، وتبدو كأنها تشعر بدفئه. يخبو الضوء، وتحمرّ وجنتاها، وتنفرج شفتاها في ابتسامة محرجة.

– «أيّ ناس؟» أسأل.

لا بد أن غيمة حجبت الشمس، فغادر الضوء الغرفة، واختفت ابتسامتها في اللحظة نفسها. تهزّ رأسها.

– «جاك. نسيتُ أن أدفع ثمن مشترياتي في المتجر قبل أسابيع. شعرت بإحراج شديد. لا أعرف حتى ماذا كنت أفعل هناك – أنت تعرفين كم أكره المتاجر – لكنهم عرضوا عليّ تسجيل الكاميرا، وشاهدتُ نفسي أتجاوز صناديق الدفع مباشرة متجهةً إلى الموقف بعربة مليئة بأشياء لا حاجة لي بها أصلاً؛ كتب لمؤلفين لا أحبهم، شرائح لحم – وأنا لم آكل اللحم منذ عقود – وعلبة حفاضات!»

أشيح بوجهي، فتتردد قبل أن تختار كلماتها التالية، كأنها تندم على ما قالت.

— «وماذا حدث؟»

— «كانوا لطفاء جدًا. لكنهم أصرّوا على الاتصال بالشرطة. كان رقم جاك مكتوبًا داخل إسورتي. اتصلوا به وأخبرهم أنه شرطي، وأنه ابني أيضًا، فسمحوا له بأن يأتي ويأخذني.»

أنظر إلى إسورته المعدنية ذات رمز الطوارئ في يدها. كانت هدية مني العام الماضي لأريح ضميري — تعرضت لحادث بسيط ولم يعرف أحد بالمستشفى من يتواصل معه — لكن لسبب ما أصبحت تحمل اسمه ورقمه بدلًا من اسمي.

— «أتعرفين أن جاك ليس ابنك، أليس كذلك؟ كان زوجي، ثم صار زوجي السابق، ولم يَعُد له صلة بك. هل تتذكرين؟»

— «أعلم. قد أكون كثيرة النسيان، لكنني لست خَرِفة! ما زلت أرى أنه لأمر مؤسف؛ كنتما جيدين معًا، وهو كان طيبًا معي. هو من أجبرني على زيارة الطبيب.»

— «وماذا قال الطبيب؟»

— «لا أريدك أن تقلقي يا حبيبتي. هناك أشياء كثيرة تُبطئ الخرف الآن؛ للأسف تُبطئني هي أيضًا. أنا متعبة جدًا. لذلك يبدو المكان غير منظم. يظن جاك أن الوقت ربما حان لأن أنتقل إلى مكان آخر، لأتلقى قليلًا من المساعدة، وأظن أنه محق. معظم الأيام أكون بخير، لكن أحيانًا... لا أعرف كيف أصف الأمر. كأنني أختفي. هناك قرية رعاية قريبة... جميلة حقًا. سيكون لي مكان خاص بي، مع بعض الأدوات لأطلب المساعدة عند الحاجة. أشخاص يراقبونني حين أضيع.»

جزء مني يعلم أن عليّ أن أشعر بالامتنان، لكن كل ما أشعر به غضب يتصاعد داخلي.

– «كان يجب أن يخبرني جاك. لماذا لم تخبريني أنت؟ كان بإمكاني أن أساعد.»

– «هو كان هنا يا حبيبتي. هذا كل ما في الأمر.» لا تحتاج لإضافة أنني لم أكن. «على أية حال، ما دمتِ هنا، لماذا لا تصعدين إلى غرفتك القديمة لترين إن كان هناك شيء تريدينه. كنت آمل أن تزوريني قبل أن أبدأ في ترتيبها. هيا، اصعدي وسأنهي إعداد الشاي. سأضع القليل من العسل الطازج كما كنت تحبين.»

– «لا داعي يا أمي.»

– «دعيني أفعل ذلك لأجلك. لا أستطيع فعل الكثير.»

أصعد على مضض إلى غرفتي القديمة. حتى الدرج الضيق ممتلئ بالفوضى؛ كتب مغبرة وأحذية قديمة. لم تكن يومًا ماهرة في رمي الأشياء التي أحبّتها. أرى أيضًا بعض الهدايا التي أهديتها لها عبر السنين، لم تُستعمل قط، ما تزال في علبها؛ هاتفًا لم تفتحه على الأرجح، بطانية كهربائية، وغلاية كهربائية. كان ينبغي أن أعرف. الممرّ قصة كرتونية تعيق وصولي إلى غرفة النوم في مؤخرة المنزل. الغرفة التي كانت دائمًا لي.

لا أعرف ما أنتظره، وأمد يدي إلى الباب بخوفٍ خفيف. لكن حين أفتحه، أرى أن الغرفة كما تركتها يوم رحلت. كنت في السادسة عشرة حين غادرت، وكأن الزمن توقف هنا. أتأمل الأثاث الخشبي الداكن، الستائر الزهرية المصنوعة يدويًا مع الوسائد المطابقة، رفوف الكتب، والمكتب الصغير في الركن حيث كنت أدرس. ما يزال لوح كرتون صغير تحت أحد الأرجل ليبقيه ثابتًا.

على خلاف باقي البيت المغطّى بطبقة كثيفة من الغبار، كل شيء هنا نظيف تمامًا. رائحة الملاءات تدل أنها غُسلت حديثًا – رغم أنني لم أزر المكان منذ زمن طويل – والأثاث ليس فقط نظيفًا، بل مصقول حديثًا. رائحة خفيفة من ملمّع الأثاث ما تزال في الهواء. على طاولة الزينة أرى

عطرًا كنت أحبّه في المراهقة – **كوتي لامانت** – فأرش قليلًا على معصمي. تعيدني الرائحة إلى الوراء، فأكاد أسقط القارورة من يدي، قبل أن أمسح أثر ذكرى لا أرغب في عودتها.

ألاحظ حركة بالخارج مرة أخرى، وأطلّ من النافذة الخلفية التي تُشرف على حديقة أمي العزيزة. طوال حياتي كانت مقسّمة إلى أربع مناطق: «عشب القراءة» – وإن كان مجرد مستطيل صغير لا يكاد يتسع لسرير – و«البستان» (شجرة تفاح واحدة فقط)، ومحصول الخضار (أقرب إلى منظر غير جميل)، ومخزن الزراعة. الحديقة الأمامية جميلة، لكن الخلفية دائمًا عملية.

أمي تأخذ قاعدة الأكل «الطبيعي» إلى أقصى حد، وبدأت بزراعة كل طعامها تقريبًا بعد أن اختفى أبي. كانت تؤمن بجمع الثمار من الطبيعة، وغالبًا ما كانت تختفي في الغابة، تعرف دائمًا أين تجد الفطر الصالح للأكل، والتوت، والبذور، والقراص. وهي تصنع العسل أيضًا.

أراقبها تتهادى نحو الركن البعيد من الحديقة، ثم ترفع غطاء خلية النحل القديمة. لا ترتدي قناعًا أو قفازات، لم تفعل يومًا. كانت تدخل يدها مباشرةً. كان ذلك يخيفني وأنا طفلة، لكنها علمتني أن من يثق بالنحل يثق به النحل. لا أعرف مدى صحة ذلك، لكنها لم تُلسع يومًا. تنظر إليّ من الأسفل وتلوّح. يبدو أنها بخير. ربما لا تحتاج تلك الحبوب التي وصفها لها طبيب شجّعه جاك. ربما الحبوب هي المشكلة.

تختفي إلى داخل المنزل، وأعود بنظري إلى غرفتي القديمة. ليست كل الذكريات التي تعود مرغوبة. يلفت بصري صندوق المجوهرات الخشبي، هدية من أبي، آخر ما أهداها إليّ. منحوت عليه اسمي، وكان تذكارًا من إحدى رحلاته.

ألمس الحروف الأربعة التي تُشكّل اسمي، وأضغط عليها بقوة حتى تترك أثرًا على أطراف أصابعي. ثم، بدافع فضول مؤلم لا قدرة لي على

مقاومته، أفتح الصندوق. أجد داخله سوار صداقة أحمر وأبيض، وصورة لخمس فتيات في الخامسة عشرة، إحداهن كانت أنا. أضع الصورة في جيبي، والسوار في معصمي، وأترك كل شيء آخر كما هو.

ثم يخطر لي خاطر لاذع: أمي كانت تُبقي غرفتي بهذه الحالة دائمًا تحسّبًا لعودتي. ما تزال تنتظرني، ويمزقني ذلك قليلًا حين أفكر كم آلمها بعدي عنها.

يلفت انتباهي شيء في المدخنة الفيكتورية القديمة. كان منزلنا باردًا دائمًا — أمي كانت ترفض تشغيل التدفئة المركزية إلا حين تهبط الحرارة إلى ما دون الصفر — وكانت المواقد المفتوحة وسيلة التدفئة الوحيدة. أتذكر آخر مرة استخدمت فيها هذا الموقد، ولم يكن بهدف التدفئة. أحرقت رسالة لا ينبغي لأي إنسان أن يقرؤها.

ينفجر باب الغرفة فجأة، فيرعبني، وتظهر أمي، بابتسامتها الدافئة، تحمل كوبين من الشاي المحلّى بالعسل. لكن ما إن تراني حتى تتبدّل ملامحها، وتسقط الكوبان على الأرض، وتتناثر قطع الخزف وبركة من الشاي الساخن على الخشب. تحدّق بالمدفأة، ثم بالسوار حول معصمي، ثم تتراجع خطوة إلى الوراء، والخوف الحقيقي يرتسم على وجهها.

تكاد الكلمات ألا تُسمع.

— «ماذا تفعلين؟» تهمس.

— «لا شيء يا أمي. كنت فقط أنظر إلى غرفتي القديمة كما قلتِ——»

— «أنا لستُ أمك! من أنتِ؟»

أخطو خطوة نحوها، فتتراجع أخرى.

— «إنه أنا، يا أمي. إنها آنا. كنا نتحدث بالأسفل الآن، ألا تتذكرين؟»

يتحوّل خوفها إلى غضب.

— «لا تقولي حماقات! آنا عمرها خمس عشرة سنة! كيف تجرئين على دخول بيتي وانتحال شخصيتها! من أنتِ؟»

هذا هو السلوك الذي وصفه جاك ولم أصدّقه. وجهها مشوّه بالخوف والغضب، هي ليست الأم التي أعرفها.

– «أمي، أنا آنا. كل شيء بخير——»

أمدّ يدي نحوها، لكنها تنتزع يدها وترفعها فوق رأسها، كأنها تستعد لضربي.

– «لا تلمسيني! اخرجي من بيتي الآن، أو سأتصل بالشرطة! لا تظني أنني لن أفعل!»

أنا أبكي. لا أستطيع منع نفسي. هذه النسخة من المرأة التي عرفتُها تمزّق صورة أمي الحقيقية في قلبي.

– «أمي، أرجوكِ...»

– «اخرجي من بيتي!»

تصرخ الجملة مرارًا وتكرارًا:

– «اخرجي! اخرجي! اخرجي!»

t.me/wadistreambooks

-١٦-

حكايته

الثلاثاء ١٠:٣٥ صباحًا

أدخل إلى سيارتي وأنتظر، غير متأكد تمامًا لِمَ أو ممّا أنتظر، مع علمٍ مسبق بأنه لن يكون خيرًا. لديّ ذكريات مختلطة عن منزل حماتي السابقة، ومجرّد التواجد هنا يجعلني أشعر بالسوء. لم تكن آنا تُحب الزيارة قط. كنتُ أتساءل إن كان لذلك علاقة بوالدها. فقدان أحد الوالدين يترك فجوةً هائلة في حياة الشخص، لكن فقدان طفل يترك فجوة أكبر بكثير. كان هذا المنزل آخر مكان رأينا فيه صغيرتنا حيّة. ولم نكن لنعلم ذلك حينها؛ فإيصال طفلٍ ليقضي ليلة مع جدّته يجب أن يكون أمرًا آمنًا بطبيعته.

أعتقد أنّ المرء يصل في مرحلةٍ ما — وتختلف تلك المرحلة من شخص لآخر — إلى لحظة يدرك فيها أن كل الأشياء التي ظنّ أنها مهمّة، لم تكن مهمة على الإطلاق. وغالبًا ما يحدث ذلك بعد أن يفقد الشيء الوحيد الذي كان مهمًّا حقًا، لكن يكون الأوان قد فات حينها. كانت صغيرتنا تبلغ ثلاثة أشهر وثلاثة أيام فقط حين ماتت. أحيانًا أظن أنها كانت ثمينة ومثالية أكثر مما يحتمله هذا العالم الناقص.

يهتزّ هاتفي، وما إن أقرأ كلمات الرسالة حتى أشعر بدفقةٍ من الغثيان ممزوجة بقدرٍ من الإثارة أخجل منها. ثم تنهال قبضة على نافذة سيارتي القذرة، ولا أكاد أبتلع ما كاد أن يكون صرخة رجولية كاملة. ليتني أخذت

t.me/audistreambooks

من پريا سيجارة أخرى للاحتياط. وبالاحتياط أعني "الآن". يتّضح أن هذا اليوم سيكون بالغ السوء.

أُنزِل زجاج النافذة يدويًا — هكذا هي سيارتي العجوز — فأرى بوضوح وجه زوجتي السابقة الغاضبة.

قالت:

– "هل تتبعني؟"

كان وجهها ملطّخًا بالبقع، وأستطيع أن أرى أنها كانت تبكي. تحمل معطفها بيدها رغم البرد القارس، وكأنها غادرت على عجل من دون أن ترتديه.

قلت:

– "هل ستصدقينني لو قلت لا؟"

– "بأي حق تتدخل في صحة أمي وترتيبات معيشتها؟!"

– "تمهّلي. لا أعلم ما الذي أخبرتكِ به، ولا في أي حالة وجدتها، لكنها تسوء تدريجيًا منذ ستة أشهر. ولو كنتِ تزورينها لعرفتِ ذلك."

– "إنها أمي، وهذا ليس من شأنك."

– "خطأ. لديّ حق التوكيل."

– "ماذا؟!"

تراجعت آنا خطوة صغيرة مبتعدة عن السيارة.

قلت:

– "كانت هناك واقعة قبل فترة. حاولتُ إخباركِ، لكنكِ تجاهلتِ كل اتصالاتي. هي من طلبت مساعدتي؛ كان ذلك برغبتها."

احمرّ وجه آنا كما لو صفعتها الكلمات.

– "ما الذي تريده حقًا؟ تحاول أن تبيع منزل أمي من تحتها؟ هذا هو، أليس كذلك؟ أن تخدعها لتمنحك مالًا لأنك اكتشفت أن العيش براتب واحد صعب؟"

t.me/wadistreambooks

كانت ضربة قاسية دفاعًا عن نفسها، وأوجعتني.

قلت:

– "تعلمين أن الأمر ليس كذلك."

– "أحقًا؟"

– "بغضّ النظر عن انفصالنا، ما زلت أهتم بأمك. لقد أحسنت إلينا. وما حدث لشارلوت لم يكن ذنبها."

– "لا، كان ذنبك أنت."

شعرت وكأنها سدّدت لكمة مباشرة إلى صدري.

بدت آنا وكأنها تندم على كلماتها بقدر ندمي على سماعها، لكن ذلك لا يجعلها أقلّ صدقًا. آخذ نفسًا، وأواصل.

قلت:

– "اسمعي، والدتكِ ليست بخير، ويجب على أحدهم أن يفعل ما هو الأفضل لها."

– "وهذا الأحد هو أنت، صحيح؟"

– "في غياب أي أحد آخر، نعم. لقد شوهدت تتجول ليلاً في البلدة، تائهة، مرتدية قميص نومها فقط، يا إلهي."

– "ماذا؟ لا أصدقك."

– "حسنًا، أنا أختلق الأمر. وأظن أنكِ لم تكوني في بلاكداون أمس أيضًا؟"

لم أقصد أن أوجه الاتهام بتلك الطريقة، لكن نظرة وجهها قالت لي أكثر مما كان ليقوله ردّها.

قالت:

– "هل فقدت ما تبقى من عقلك؟ لا، لم أكن هنا أمس."

– "إذن لماذا يوجد تذكرة صفّ ودفع في سيارتك تقول إنك كنتِ هنا؟"

ترددت لثانية واحدة فقط. لكنها كانت كافية لأرى. ورأت هي أنني رأيت.

قالت:

– "لا أعرف عمّ تتحدث، وأنصحك من الآن فصاعدًا أن تبتعد عني، وعن سيارتي، وعن أمي. مفهوم؟ ربما من الأفضل أن تهتم بعائلتك أنت، وأن تحسن عملك... بعد ما حدث."

عندها رأيتها: ابنتي. كانت ملامح شارلوت تتجلى في وجه آنا، في عينيها. لطالما قال الناس إن الأطفال يشبهون والديهم، لكن في بعض الأحيان يكون العكس هو الصحيح. أعادني ذلك إلى كل شيء، ولم أستطع أن أجرحها أكثر مما جرحْتها بالفعل.

قلت:

– "نصيحة جيدة."

– "هذا نوع من المضايقة. لم يكن ينبغي أن تكون هنا."

– "صحيح، لم يكن ينبغي."

توقفت للحظة، كما لو كنت أتحدث بلغة لا تُتقنها.

قالت:

– "أأنت... توافقني؟"

قلت:

– "نعم. يبدو ذلك كذلك."

أحدّق في الوجه الذي أحببته لسنوات طويلة، وأتأمل شكله الغريب حين يفاجأ ـــ وهذا نادر على آنا. وبرغم معرفتي أن ما سأقوله خطأ... رغبتُ في رؤية رد فعلها.

قلت:

– "المرأة الميتة هي رايتشل هوبكنز."

شعرت بخفة جسدية مفاجئة بعد أن نطقت باسمها.

لم يتغيّر شيء في وجه آنا، كأنها لم تسمعني.

قلت:

– "أتذكرين رايتشل، أليس كذلك؟"

– "بالطبع. لماذا تخبرني بهذا؟"

أشرت بكتفيّ.

– "ظننت فقط أنه يجب أن تعرفي."

انتظرت ردّ فعل عاطفيّ ما، ولم أستطع أن أقرر كيف أفسّر غيابه.

كانت آنا ورايتشل صديقتين، لكن هذا كان منذ زمن بعيد. ربما عدم اكتراثها أمر طبيعي. فالناس في مثل سنّنا نادرًا ما يحتفظون بأصدقاء المدرسة. لم تكن هناك وسائل تواصل اجتماعي أو بريد إلكتروني؛ لم يكن لدينا إنترنت أو هواتف محمولة. يصعب تخيّل ذلك الآن —— لا بد أنه كان عالمًا أكثر هدوءًا. إنّ جيلنا كان أفضل في المضي قدمًا، بدلًا من التمسّك بصداقات انتهى وقتها.

ندمت على إخبارها فورًا. لم أكسب شيئًا، وكان ذلك غير مهني. لم يتم إبلاغ أهل المتوفاة بعد. ثم إنني لا أحتاج إلى اعتراف آنا بكراهيتها لرايتشل هوبكنز. أنا أعلم ذلك أصلًا.

اهتزّ الهاتف مجددًا، قاطعًا الصمت الذي ركن بيننا.

قلت:

– "علينا تأجيل هذا اللقاء. يجب أن أذهب."

– "لماذا؟ خائف أن يكتشف أهل البلدة أنك تطارد زوجتك السابقة؟"

فكرت في ألا أخبرها، لكنها ستعرف عاجلًا.

قلت:

– "لقد وجدوا شيئًا قد يساعد في معرفة القاتل."

ثم أدرت المحرك وانطلقت دون أن أنظر خلفي.

-١٧-

حكايتها

الثلاثاء ١١:٠٠ صباحًا

أراقب جاك وهو يبتعد بسيارته، وأتساءل: كيف كان وجهي حين أخبرني أن المرأة الميتة هي رايتشل هوبكنز؟ آمل أنني لم أُظهر أي رد فعل، لكن يصعب التأكد، وجاك يعرفني أكثر من أي إنسان آخر. لطالما استطاع أن يراني من الداخل حين أحاول أن أخفي شيئًا.

رأيت سيارته الخردة فور خروجي من منزل أمي. إنها سيارة مستعملة للغاية، أشبه بكتلة صدئة... على الأغلب كل ما يستطيع تحمّله الآن بعد أن أصبح يعيش مع امرأة ترتجف من فكرة العمل. منذ تركني، وجد جاك منزلًا جديدًا، ورهنًا عقاريًا جديدًا، وطفلًا جديدًا يعيله. وكل ذلك براتب واحد فقط. كنا معًا لأكثر من خمسة عشر عامًا، وطوال تلك المدة لم أستطع أن أتخيل حياتي دونه. أظن أنني أفهم الآن. كأنني عشت حيوات كثيرة في عمر واحد، والحياة التي جمعتني به لم تكن مقدّرة لتستمر إلى الأبد. أحيانًا نتمسّك بالأشخاص الخطأ حتى نتألم إلى أن نضطر لتركهم.

أنتظر حتى تختفي سيارته تمامًا، ثم أُخرج الصورة من جيبي. مجرد العثور عليها داخل صندوق المجوهرات في غرفتي القديمة أصابني بقشعريرة، وما قاله جاك أحيا القشعريرة من جديد. ربما مرّ زمن طويل على أيام المدرسة، لكنني ما زلت أتعرف على كل الوجوه في الصورة.

وأتذكر الليلة التي التُقطت فيها: حين تزيّنا لنتظاهر بأننا أكبر سنًا مما كنّا، استعدادًا لفعل ما لا ينبغي فعله... ليلة لم يعش بعضنا بعدها ليندم عليها.

أنظر إلى وجه رايتشل هوبكنز؛ نسخة أصغر من المرأة الميتة في الغابة تحدّق في من الصورة. نقف متجاورتين. ذراعها على كتفي العاري كأننا صديقتان، لكننا لم نكن كذلك. هي تبتسم، وأنا أيضًا... لكن ابتسامتي ليست حقيقية. لو كنت أكثر صدقًا حينها، لربما لم أضطر لقضاء حياة كاملة أختبئ خلف الأكاذيب. لو أنني لم أضطر للانتقال إلى تلك المدرسة اللعينة... لما التقينا، ولما حدث ما حدث.

اكتشفت وجود خطب ما أثناء حصة مزدوجة للغة الإنجليزية، بعد أشهر قليلة من اختفاء والدي. طرقت سكرتيرة المدرسة —— بوجهها الشاحب وثيابها الزاهية —— الباب طرقة واحدة، ثم أطلّت برأسها الصغير من الفتحة.

قالت:

— "آنا أندروز؟"

لم أجب. لم أحتج إلى ذلك. فكل الفصل التفت لينظر إليّ.

قالت:

— "المديرة تريد رؤيتك."

لم أفهم السبب؛ لم أدخل في مشكلة من قبل. تبعتها بصمت مطيع، وجلست أمام مكتب المديرة لا أعلم ما الذي اقترفته. لم تتركني أنتظر طويلًا. حين أشارت لي بالدخول إلى الغرفة الدافئة —— والتي أشتمّ فيها الآن رائحة تشبه المربّى —— رأيت رفوف الكتب وشعرت بقليل من الطمأنينة. بدا المكان كأنه مكتبة، واعتقدت حينها أن شيئًا سيئًا لا يمكن أن يحدث في مكتبة. كنت مخطئة.

قالت:

- "أتدرين لماذا طلبت رؤيتك؟"

كانت ذات شعر رمادي قصير، يبدوا كأنه ملفوف على بكرات لم تُنزع. ترتدي دائمًا توأمة صوفية، وقلادة لؤلؤ، وأحمر شفاه ورديًا، ولديها شامة بنية كبيرة على خدّها يصعب ألا أحدّق فيها. ظننتها عجوزًا جدًا، لكنها كانت على الأغلب في مثل عمري الآن. كان من هم في مثل عمري وقتها يبدون كأنهم قدماء.

هززت رأسي.

تكشّف وجهها عن ابتسامة لم أستطع تحديد ما إذا كانت طيبة أم لئيمة.

قالت:

- "هل كل شيء بخير في المنزل؟"

كنت أعلم ما يعنيه ذلك: أنها تظن العكس.

لم يعد والدي بعد الليلة التي آذى فيها أمي. لطالما سمعتهما يتشاجران، وكنت أعلم أنه ضربها مرارًا. ويُخجلني أن أعترف: حينها كنت أعتقد أن ذلك طبيعي... فقد رأيت الأمر يحدث طوال عمري. يبذل الناس مجهودًا خارقًا لإيذاء من يحبون، أكثر بكثير مما يفعلونه حين يكرهون.

بعد اختفائه، كانت أمي إمّا تبيع مجوهراتها عند المرابي، أو تغرس شيئًا ما في حديقة الخضروات التي توسعت لأنها لم تعد قادرة على شراء الطعام، أو تشرب بما تبقّى من مالنا، تسكبه في كؤوس النبيذ. وفي غير ذلك كانت نائمة أمام المدفأة، كأنها تحرس الباب. لم تعد تحب النوم في الطابق العلوي، في السرير الذي كانت تشاركه معه، ولا نملك المال لشراء سرير جديد. أما ما لم تستطع بيعه من أشياء تخص أبي... فقد أحرقته لتدفئتنا. لذلك، كان جواب سؤل المديرة هو قطعًا: لا.

t.me/wadistreambooks

قلت:

– "نعم، كل شيء بخير في المنزل."

قالت:

– "ألا يوجد شيء قد ترغبين بالحديث عنه؟"

– "لا. شكرًا."

قالت:

– "إنّ رسومك الدراسية لم تُسدَّد الفصل الماضي، وبالرغم من إرسال عدة رسائل إلى والديك، والاتصال، لم نتمكن من التواصل معهما. كنت آمل أن يحضر أحدهما اجتماع أولياء الأمور الأسبوع الماضي. أتعرفين لماذا لم يأتِ أحد؟"

السبب: أمي كانت مخمورة... وأبي كان مشغولًا بعدم كونه أبي بعد الآن.

هززت رأسي.

قالت:

– "أفهم... وأأنتِ متأكدة أن كل شيء على ما يرام في المنزل؟"

تريثت قليلًا. ليس لأني كنت سأخبر الحقيقة... بل لأني احتجت وقتًا لابتكار الأكاذيب المناسبة لملء الثقوب.

وعندما عدت إلى الفصل، حدّق الجميع بي، وكأنهم عرفوا عني أشياء لم يكونوا يعرفونها، ولا يجب أن يعرفوها أبدًا. كرهت نظرات الناس منذ ذلك اليوم. قد يبدو اختياري لمهنة — تقديم الأخبار لملايين المشاهدين — غريبًا. لكنه مجرد كاميرا آلية في الأستوديو. ما دمت لا أرى من ينظر إليّ، فكل شيء بخير. كطفل يظن أنه يختفي حين يغطي عينيه بيديه.

أعيد الصورة إلى جيبي، ولاحظت سوار الصداقة الأحمر والأبيض حول معصمي. أتذكر أنني صنعته منذ سنين، مع أربعة أساور أخرى

t.me/wadistreambooks

مطابقة. بدا الأمر فكرة جيدة حينها، لكنها فكرة كثيرًا ما عادت لتعذبني. أشد العقدة حتى يضيق السوار على جلدي. أستحق الألم، لذلك أشعر بالذنب حين أبدأ بالاستمتاع به.

طائر صاخب لفت نظري، فرفعت بصري إلى منزل أمي. أشعر بالحاجة إلى الابتعاد عن هذا المكان؛ إنه مضرّ بي بأكثر من طريقة. عدت إلى سيارتي، وأرحت يدي على المقود. ثم نظرت مرة أخرى إلى السوار المشدود بقسوة. أرخيه قليلًا، فأرى خطًا أحمر غاضبًا حفره في جلدي.

نحن نتظاهر بأننا لا نرى الندوب التي نتركها على من نحب. إيذاء الذات أصعب على التجاهل، لكنه ليس مستحيلًا. أفرك الخط بأصابعي كأنني أحاول محوه... كأنني أحاول التراجع عمّا اقترفته بحق نفسي. سيبهت هذا الأثر... لكن الندبة التي خلّفها ما حدث في المرة الأولى التي ارتديت فيها هذا السوار... لن تزول أبدًا.

-١٨-

حكايته

الثلاثاء ١١:٢٥

لم يتبدّل شيء في وجه آنا حين أخبرتها بأنّ المرأة الميتة هي رايتشل هوپكنز. لست متأكدًا ممّا كنت أتوقّعه، لكنّ أيّ شخص طبيعي كان سيُظهر نوعًا ما من ردّ الفعل. ثمّ إنّ «الطبيعي» لم يكن يومًا من طموحات طليقتي، وهذا أحد الأشياء التي أحببتها فيها أكثر من غيرها.

توقفتُ عند محطة الوقود لأشتري سجائر وأنا في طريقي للقاء پريا. من رسالتها فهمت أنّني سأحتاج إليها. كانت الطرقات خالية، فوصلت سريعًا، وقررت أن أدخّن سيجارة سريعة قبل أن أغادر السيارة؛ شيءٌ يوقف ارتجاف يديّ.

زيارة مشرحة أمر فعلتُه مئات المرات من قبل — جزء معتاد من عملي حين كنت في لندن — لكن مرّ وقت طويل، وهذا... مختلف تمامًا. لا أستطيع التوقّف عن التفكير في ليلة الأمس وكيف تركتُ رايتشل كما فعلت. ما حدث لم يكن خطأي، لكنني أشك أنّ الآخرين سيرونه بالطريقة نفسها لو عرفوا الحقيقة.

أجبر نفسي على الدخول إلى المبنى، محاولًا ألّا أتقيّأ من الرائحة، والتي تبدو أسوأ في رأسي منها في الواقع. حين أرى جثة رايتشل على الطاولة المعدنية، أضطر لتغطية أنفي وفمي. لو لم يكن هناك آخرون في الغرفة لأغمضتُ عينيّ أيضًا، لكن پريا تحدّق بي بطريقتها النافذة

المعتادة. تراها تعتبرني رئيسها فحسب، وأحيانًا أظنّ أن الأمر كذلك فعلاً، لكن أوقاتًا أخرى – كهذه اللحظة – تجعلني أتساءل إن كان هناك أكثر من ذلك. ليس أنّني سأفعل شيئًا حيال الأمر. ليست غير جذّابة، لكن خلط العمل بالمتعة لم يكن نافعًا لي يومًا.

أتجاهل نظرات پريا وأعيد تركيزي إلى رايتشل. لست أدري لماذا لم يكن الأمر بهذه البشاعة في الغابة، حين كانت لا تزال مرتدية ملابسها ومتمدّدة بين الأوراق كأنّها «سندريلا» حديثة. أمّا الآن – عارية على لوح فضّي ومشقوقة كالحيوانات – فهو أكثر مما أحتمل. ما كنت لأختار أن أتذكّرها بهذه الصورة، لكنني أعلم أنّها الصورة التي لن أستطيع نسيانها... مع رائحتها. على الأقل عيناها مغلقتان الآن.

يقول رجل لم أرَه من قبل:

– «هل تحتاج إلى دلْو؟»

من المعقول أن أفترض أنّه الطبيب الشرعي، بالنظر إلى المكان وشكله. لكن من الأفضل دائمًا أن تعرف مَن تخاطبه.

– «المحقّق جاك هارپر»، قلت. «وشكرًا على العرض، لكنني بخير.»

حدّق في يدي الممدودة دون أن يصافحها. ظننته وقحًا، قبل أن أنتبه أنّ قفازيه ملطّخان بالدم.

كان الرجل أشبه بعلاقة ملابس سلكية؛ نحيل ومائل كأن شيئًا لوى هيئته، ومع ذلك يوحي بحدّة قد تؤذيك لو لامسته في الاتجاه الخطأ. حاجباه الرماديان الكثّان يتوسّعان عبر جبينه المليء بالتجاعيد كمَن يجاهد ليلتقي صاحبه منذ زمن بعيد. أمّا شعر رأسه فأسود، كأنّه نسي أن يشيخ مع بقية شعر وجهه. يبتسم بعينيه لا بفمه، ويبدو مُتحمّسًا لعمله أكثر مما يجب – في رأيي. أرى بقعًا من دمها على مئزره فأحوّل نظري بعيدًا.

t.me/wadistreambooks

قال:

– «الدكتور جيم ليڤل، تشرفت.»

لكن نبرته لا تقول ذلك. «الطعنات هي التي قتلتها.»

إن كان هذا أفضل ما لديه، فأخشى أن رحلتي كانت مضيعة للوقت. نبرته العابثة بدت غير مهنية – حتى بالنسبة لي – لكن ربما لم يعالج جريمة قتل منذ زمن في هذا الركن الهادئ من الريف. مهما يكن، فقد قررت مسبقًا أنني لا أحبه، ومن ملامحه أظنّ الشعور متبادلًا.

– «أيّ فكرة عن نوع السلاح؟» سألت.

– «شفرة قصيرة نسبيًا... سكين مطبخ ربما. لم تكن ستموت من طعنة أو اثنتين، لكن هناك أكثر من أربعين طعنة بعمق متقارب – في صدرها كلّه – لذا...»

– «إذًا لم تمت فورًا؟» أكملت عنه.

– «لا، أشك كثيرًا. لم يكن القتل بسبب الجروح نفسها، بل بسبب النزيف. سيكون الأمر... بطيئًا.»

تُسقط پريا نظراتها إلى الأرض، لكنه لا يلاحظ أو لا يهتم، ويواصل تقاريره.

– «أعتقد أن القاتل قصّ أظافر الضحية في موقع الجريمة، وربما أخذها معه. تذكارًا... أو إن خدشته، ربما خاف مما قد نجده تحتها. أخذتُ مسحات، لكنني أظنه كان يرتدي قفازات. لا شكّ لديّ أنّ الجريمة كانت مخططة.»

أتخيّل علبة «تيك تاك» التي وجدتها في سيارتي، ممتلئة بقصاصات أظافر.

يجب أن أتخلص منها.

– «تستمرّ في الإشارة إلى القاتل بصيغة المذكر–—» بدأتُ.

– «وجدنا سائلًا منويًا.»

بالطبع وجد... وبالطبع هو لي.

ألتفت إلى پريا:

— «أي جديد بخصوص سيارة الضحية؟»

— «لا يا سيدي.»

أعرف أنّ سيارة رايتشل الـ Audi TT كانت في موقف سيارات الغابة ليلة أمس — أوقفتها بجوار سيارتي. لكن لا أحد غيري يعلم، والسيارة ليست هناك الآن. أحدّق في پريا.

— «هل حصلنا على أي آثار إطارات؟»

— «لا يا سيدي. المطر محا معظمها. وما بقي كان لإحدى سيارات الصحافة أو... سياراتنا.»

— «يعني؟»

— «إطارات سيارتك، مثلاً.»

— «قلت لك إن عدم إغلاق الموقف كان خطأ. لا تلومي نفسك. لا أحد يعرف كل شيء، ومن يدّعي ذلك يعرف أقل.»

لم تبدُ عليها الحيرة كما توقعت.

— «لكنّ آثار القدم بجوار الجثة قد تساعد. استخدم المختبر قالبًا، وقالوا إنها مقاس عشرة... حذاء تيمبرلاند.»

— «هذا دقيق جدًّا منهم.»

— «المقاس والماركة على النعل يا سيدي. الأشجار حمت الأثر من المطر، ولا أحد من فريقنا كان يرتدي حذاء كهذا. لذا يُرجَّح أنه أثر القاتل.»

يسعل الطبيب الشرعي تذكيرًا بوجوده. أنظر إلى حذائي مقاس عشرة وأحمد الله أنّني ارتديت حذاءً عاديًا اليوم.

تقول پريا:

— «ذهبت مع مسؤول الارتباط الأسري لإبلاغ ذويها قبل مجيئنا.»

– «لا بد أنه كان صعبًا. أتوقع أنّ والديها مسنّان؟» قلت، وأنا أعلم أنهما كذلك؛ كانت رايتشل تذكرهما أحيانًا.

تقطّب پريا حاجبيها.

– «ذهبنا لزوجها يا سيدي.»

شعرت بوخزة غريبة في صدري.

– «ظننتها مطلّقة.»

تهزّ رأسها مجددًا.

– «لا يا سيدي. لكنه كان أكبر منها بكثير... ربما لهذا التبس الأمر عليك. يُقال إنها تزوجته من أجل المال... ثم أنفقته.»

– «حسنًا.» رايتشل بالتأكيد أخبرتني أنها مطلّقة. بل أرتني أثر الخاتم الذي كانت تلبسه. أنظر الآن إلى يدها فأرى خاتمًا ذهبيًا يلمع تحت الأضواء كأنه يغمز لي. تُرى ما الذي كذبت بشأنه أيضًا؟ «أين كان الزوج وقت الوفاة؟ هل لديه حجة غياب؟ ربما—»

– «ليس هو يا سيدي.» قاطعتني پريا.

– «لم أتوقع منك التمييز العمري يا پريا. بلوغ الستين لا يعفي من الشبهات. أنت تعرفين كما أعرف أن الزوج غالبًا—»

– «إنه في الثانية والثمانين، طريح الفراش، ويحتاج لمرافق على مدار الساعة. لا يستطيع الذهاب إلى الحمّام دون مساعدة، فكيف سيطارد امرأة في الغابة؟»

يسعل الطبيب الشرعي مرة أخرى، فألتفت إليه.

– «قيل لي إنك وجدت شيئًا؟»

– «داخل فمها، نعم.» قال بسرعة وكأنّنا أضعنا وقته. «ظننت أنك قد ترغب برؤيته قبل أن أُجري بعض الفحوص.»

يصدر مئزره صوت «ششش» وهو يتحرك. ينزع قفازيه الملطخين بالدماء بصوت مقزّز، يغسل يديه طويلًا، يجففهما، ويرتدي زوجًا

جديدًا. غريب الأطوار بشكل مبالغ فيه. يلتقط صينية معدنية صغيرة ويقف بجانبي كجرسون جنائزي يقدّم مقبّلًا مرعبًا.

أحدّق في الشيء الأحمر والأبيض.

— «ما هذا؟»

سؤالي كذبة. أعرف ما هو.

تقترب پريا.

— «إنه سوار صداقة. الفتيات يصنعنه من خيوط ملوّنة.»

— «وكان داخل فم الضحية؟» أسأل الطبيب متجاهلًا پريا.

يبتسم، وتظهر أسنانه البيضاء الكبيرة بشكل غير مريح.

— «لم يكن فقط داخل فمها.»

— «ماذا تعني؟»

— «كان السوار مربوطًا حول لسانها.»

t.me/wadistreambooks

-١٩-

حكايتها

الثلاثاء ١١:٣٠

أضم معطفي حول كتفيّ، وقد بدأ البرد يتسلل إليّ، ثم أشغّل المحرك. أنا على وشك التحرك حين أرى شاحنة بيضاء تتوقف خلفي. تنزل امرأة صغيرة الحجم، نحيلة، ترتدي قبعة بيسبول وثيابًا سوداء واسعة لا تناسب جسدها. تبدو شابة، لكن القلق يرسم خطوطًا مبكرة على وجهها.

أراقبها وهي تحمل صندوقًا كبيرًا نحو باب أمي، ثم تتركه على العتبة دون أن تطرق الباب... ودون حتى أن تغلق البوابة خلفها.

أنزل نافذتي حين تمرّ بجانبي.

— «مرحبًا، أنا——»

تنزلق الكلمات مني وكأنها خطأ، فتنظر إليّ المرأة نظرة غريبة وتتجنّب الرد، ثم تغادر قبل أن أسأل عن محتويات الصندوق. يشبه هذا ما حدث يوم عدت من المدرسة لأجد غرباء يدخلون ويخرجون من بوابة حديقتنا.

حينها، في ظهيرة اليوم الذي قالت فيه المديرة إن الرسوم لم تُدفع، خرجت من المدرسة دون كلمة. شعرت بأنّ الجميع يحدّق بي، ولم أتحمل ذلك. لم نكن أغنياء — بعيدين عن هذا، نعيش في بيتٍ قديم ورطب، نوافذه باردة ومسودّة — لكنّ والديَّ آمنا بأن التعليم يمكن أن

t.me/wadistreambooks

يتغلب على كل شيء. درست في مدرسة خاصة منذ الحادية عشرة، ولم يكن الوقت مناسبًا للتوقف قبل امتحاناتي.

أسرعتُ إلى المنزل آملة أن تجد أمي مالًا مخبوءًا.

لكنها لم تجد.

حين وصلت مبكرًا على غير العادة، كان رجال غرباء يخرجون من المنزل حاملين صناديق. وقفتُ في الحديقة أراقبهم، ولم أقلق إلا حين خرج اثنان منهم حاملين التلفاز. كان لدينا واحد فقط.

ركضتُ إلى الداخل لأجد أمي واقفة في غرفة فارغة.

قالت:

— «لماذا عدتِ؟ هل أنتِ مريضة؟»

— «لماذا يأخذون أغراضنا؟»

كنتُ بارعة في الردّ بالسؤال، وهذه مهارة تعلمتها في طفولتي وأفادتني لاحقًا في عملي الصحفي.

— «الأمور صعبة قليلًا... بعد أن... تركنا والدك. كثير من الأشياء اشتريتها ببطاقات ائتمان، ولا أستطيع سدادها وحدي.»

— «لأنك تعملين كمنظِّفة؟»

كرهتُ نفسي للطريقة التي قلت بها الجملة.

— «نعم... عملي لا يدفع مثلما كان عمل والدك يدفع.»

كنت أعلم أنها بدأت تنظيف بيوت الآخرين لأننا نحتاج المال. لم تكن مؤهلة لعمل آخر — لذلك أرادتني أن أكمل دراستي لأنها لم تفعل.

— «ألا يمكننا الاتصال بأبي وطلب المال؟»

— «لا.»

— «لماذا؟»

— «أنت تعرفين لماذا.»

t.me/wadistreambooks

– «كل ما أعرفه أنك قلتِ إنه رحل ولن يعود... والآن لا نستطيع حتى الاحتفاظ بتلفاز.»

– «سنشتري واحدًا جديدًا حين أوفّر المال، أعدك. بدأ اسمي ينتشر، وأحصل على عمل أكثر، لن يستغرق الأمر طويلًا.»

– «ومدرستي؟ سحبوني من الفصل لأن الرسوم لم تُدفع. الجميع حدّق بي.»

بدت وكأنها ستبكي، وهذا آخر ما أردت رؤيته. أردتها أن تطمئنني... لكنها لم تفعل.

همست:

– «أنا آسفة جدًا.» وتقدمت نحوي. فتراجعت.

– «حاولت كل شيء... لكن علينا أن نجد لك مدرسة جديدة.»

– «لكن كل أصدقائي هناك...»

لم ترد، ربما لأنها تعرف أنني لم أكن أملك أصدقاء أصلاً.

– «وماذا عن امتحاناتي؟»

– « آسفة لكن سنجد مكانًا جيدًا...»

– «آسفة آسفة آسفة! هذا كل ما تقولينه!»

اندفعتُ إلى غرفتي وصرخت قبل أن أغلق الباب:

– «أنتِ تدمّرين حياتي!»

سنوات طويلة مرّت قبل أن أدرك كم كنت مخطئة؛ كانت تحاول إنقاذ حياتي.

أعود بنظري إلى الصندوق على عتبة أمي. ألتقط هاتفي وأبحث عن اسم الشركة على جانبه. إنها وجبات رخيصة جاهزة. فكرة أن أمي – التي كانت تأكل نباتيًا فقط أو مما تزرعه بيديها – تأكل وجبات مُعلّبة . هذا يجعل دموعي تقترب... لكنني أمنعها.

t.me/wadistreambooks

وجود الهاتف بيدي يمنحني فكرة... أعرف أنها ليست فكرة جيدة، لكن الأفكار السيئة قد تنقذ ما لا ينقذه غيرها. جاك لم يخبرني بأن الضحية هي رايتشل هوپكنز ليتم بثّ الخبر، لكن إن أردت إنقاذ مسيرتي فعليّ أن أعود للظهور. أتصل بغرفة الأخبار... ثم بالمصوّر. يجيب ريتشارد بسرعة كأنه كان ينتظر مكالمتي.

بعد ساعات قليلة أنا مستعدة للبث المباشر في البرنامج الذي كنت أقدمه سابقًا. حسابات رايتشل على السوشيال ميديا كانت عامة، ومليئة بصورها. اخترت بعضها وأرسلتها للإعداد. صوّر ريتشارد منزلها، ثم أجرينا مقابلات قصيرة مع السكان — الذين لم يعرفوها، لكن تحدثوا وكأنهم يعرفونها جيدًا.

لطالما كنت بارعة في جعل الناس يتحدثون. قواعدي بسيطة:

القاعدة الأولى: الجميع يحب أن يشعر بأنه مهم.

الثانية: اكسب الثقة... كن ودودًا مهما شعرت.

الثالثة: ابدأ حوارًا يوحي بأن بينكما أشياء مشتركة.

الرابعة: اجعلهم يقولون ما تريد بسرعة قبل أن يفكروا كثيرًا.

تنجح دائمًا.

ثم سجلنا مقطعًا في الغابة حيث ماتت رايتشل، قرب الشريط الأصفر. مشهد «درامي» تمامًا. وبعد إضافة تصريح قصير من جاك في المؤتمر، أصبح لدينا تقرير مدته دقيقتان. ليس سيئًا.

وصلت عربة البث، والآن أقف في أفضل نقطة يمكن رؤية السماء منها... فالأشجار تعيق. وكذلك الأزواج السابقون.

أنا جاهزة، وعندما تبدأ المذيعة — التي تجلس على المقعد الذي كان مقعدي — بقراءة المقدمة، أرى جاك يصل بسيارته. لقد تأخّر... كثيرًا. يحدّق بي بنظرات قاتلة.

ثم يبدأ البث.

أنهي تقريري، كل شيء على ما يرام. جاك يقف قرب الكاميرا كأنه سيغلقها. لكن ريتشارد يحول دون ذلك.

بعد انتهاء البث، يقول جاك:

– «هل أُغلق البث؟»

– «الآن نعم.» يجيبه ريتشارد.

ثم يتركني وجاك وحدنا.

يقول:

– «ما الذي كنتِ تظنين نفسك فاعلة؟»

– «عملي.»

– «وماذا لو لم نكن قد أبلغنا ذويها بعد؟»

– «أخبرتني باسم الضحية... فأعلنتُ الخبر.»

– «أنت تعلمين تمامًا أنها لم تكن غاية إخباري لك.»

– «ولماذا أخبرتني إذن؟»

لا يجيب. ينظر خلفه نحو عربة البث، ثم يقترب مني هامسًا:

– «لماذا كنتِ هنا أمس؟»

– «ماذا؟»

– «تذكرة موقف السيارات بتاريخ الأمس. ما زلتِ لم تشرحي——»

– «يا سلام! تظن أنني...؟ تظن أنني قتلتها؟»

– «هل فعلتِ؟»

جاك اتهمني بأشياء كثيرة حين كنا متزوجين... وبعد طلاقنا... لكنّه لم يتهمني بالقتل. هذا يجعلني أتساءل إن كان دائمًا يراني بهذا السوء.

– «كنتُ أقدم نشرةً لملايين الناس أمس... لديّ آلاف الشهود لو أردت التأكد.»

– «وكيف تفسّرين التذكرة؟»

– «ربما الماكينة معطّلة؟»

– «طبعًا. تفسير رائع.»

يمشي نحو آلة الدفع، يبحث في جيبه عن عملة. لا أكتشف أنني أحبس أنفاسي إلا حين يفشل في إيجادها. يلتقط عملة من الأرض، ينظر إليّ، ثم يضعها ويضغط الزر. يرتفع نبض قلبي. أقاوم رغبة في الهرب.

تخرج التذكرة، ينظر إليها، ثم يقول أخيرًا:

– «تاريخ الأمس... الماكينة معطلة.»

– «وهل هذا اعتذار؟»

– «لا. على عكسك، ليس لدي ما أعتذر عنه. لا يجب أن تكوني هنا. أدركت منذ زمن أن عملك أهم عندك من الناس... من أمك... مني... ومن——»

– «تبًا لك.»

تنفجر دموعي. يا للسخرية... رغم كل شيء، أردتُ أن يحتضنني. أردتُ فقط أن يقول أحد إن الأمور ستكون بخير، حتى لو لم تكن كذلك.

يقول:

– «أنتِ قريبة جدًا من هذه القضية. لا ينبغي لك تغطيتها.»

أردّ:

– «ولا ينبغي لك التحقيق فيها.»

– «لماذا لا تعودين إلى لندن؟ إلى الاستوديو الذي لطالما حلمتِ به؟»

– «فقدت عملي...» لم أكن أنوي الاعتراف. لكنه خرج. وسرعان ما ندمت. أكره نظرة الشفقة في عينيه.

– «آسف لسماع ذلك. أعلم كم يعني لكِ.»

أسأل بمرارة:

– «وكيف حال زوي؟»

t.me/wadistreambooks

يتصلّب وجهه. زوي — المرأة التي يعيش معها الآن — كانت صديقة قديمة لي... مثل رايتشل. رأيت صورهم معًا... أتمنى لو لم أفعل. الفتاة الصغيرة بينهما تذكرني بما كنا... وما كان يمكن أن نكون.

قلت:

— «أتمنى أن تكونوا سعداء.»

ثم يضيف:

— «لماذا تتحدثين عن زوي كأنني تركتك من أجلها؟ إنها أختي يا آنا.»

— «إنها أنانية، كسولة، لعوب... سببت المشاكل قبل زواجنا وأثناءه وبعده.»

يفتح فمه بدهشة.

— «لم تتغيري. لا يمكنك الاستمرار في لوم الآخرين على ما حدث لنا. لو فكرتِ في علاقتنا كما تفكرين في عملك... وفي كل هذا... لما انتهى الأمر هكذا——»

أرفع يديّ بسرعة لأمنعه من قول اسم ابنتنا... لكنه يمسك معصمي ويتجمد.

— «ما هذا؟»

أنظر إلى سوار الصداقة الأحمر والأبيض. نسيت أنني أرتديه. أحاول إبعاد يدي لكنه يشدّها.

— «من أين حصلتِ عليه؟»

— «وما شأنك؟»

يترك يدي، يتراجع خطوة:

— «متى كانت آخر مرة رأيتِ فيها رايتشل؟»

— «لماذا؟ هل أصبحت مشتبهًا به مجددًا؟»

لا يجيب... وأنا لا أحب الطريقة التي ينظر بها إليّ.

أقول له:

— "لم أرَ *رايتشل* هوپكنز منذ أن غادرتُ المدرسة."

لكنها كذبة. لقد رأيتها منذ مدة أقرب بكثير من ذلك. رأيتها تهبط من قطار قبل أقل من أربعٍ وعشرين ساعة.

t.me/wadistreambooks

-٢٠-

حكايته

الثلاثاء – ١٤:٣٠

أنا أعلم أنّ *آنا* تكذب.

كانت العودة بالسيارة إلى مركز الشرطة ضبابية، وأنا أحاول جمع أجزاء اللغز التي لا تنسجم معًا. لم أتناول شيئًا اليوم. أظافر اليد المحشورة داخل علبة "تيك تاك"، إلى جانب زيارة المشرحة، كفيلان بأن يقطعا شهيتي عن الطعام إلى أجل غير مسمّى. أنا بالفعل في منتصف علبة سجائري، ورغم أنها تهدّئ أعصابي، فإنها لا تفعل شيئًا لتخفيف شعوري بالذنب.

لا أستطيع التوقف عن التفكير في سوار الصداقة حول معصم *آنا*، والتعبير الذي مرّ على وجهها حين سألتها عنه، والطريقة التي رفضت أن تشرح بها مصدره. كان مطابقًا تمامًا لذلك المربوط حول لسان *رايتشل*.

آنا تكذب بشأن شيء ما، أستطيع الشعور بذلك. لكنني أنا أيضًا أفعل الشيء نفسه.

عاد مصوّرها قبل أن نحظى بفرصة حقيقية للحديث. لا أستطيع تحديده بالضبط، لكن هناك أمرًا غير مريح بشأنه هو الآخر. لا يعجبني كيف ينظر إليها، مع أنني لم أعد أملك الحق في الشعور بهذا بعد الآن. من السهل التعرّف على أصحاب النوايا السيئة، حين تعرف كيف يكون الشعور بأن تكون واحدًا منهم.

t.me/wadistreambooks

أقضي معظم بعد الظهر في التعامل مع أسئلة الصحافة والبلاغات الكاذبة، بدلًا من أن يُسمح لي بمتابعة عملي. الصحافة تُضايق تقريبًا كل أفراد الفريق. يذكّرني الأمر بعودتي إلى لندن، وبأول مرة دفعت فيها آنا بميكروفونها في وجهي. هكذا التقينا: كانت تغطي تحقيقًا كنت أعمل عليه. كان الأمر "كراهية من النظرة الأولى"، لكنه تغيّر لاحقًا. لم تتذكرني من أيام المدرسة، أما أنا فلم أنسها قط.

أعمل حتى وقت متأخر، وأشعر بضيقٍ خفيف — وإن لم أكن متفاجئًا — حين تقرر **بريا** أن تبقى هي الأخرى، رغم أنني طلبت منها ألا تفعل. وبعد مغادرة بقية الفريق، تطلب بيتزا لنا. أستمع إليها عبر الهاتف وهي تنتقي الإضافات الجانبية التي أحبها، متساءلًا كيف تعرف ذلك. وحين ترفع نظرها في اتجاهي، أحدّق في شاشة الحاسوب. أما ما إن تدير وجهها، فأنا أراقبها.

ألاحظ أنها خلعت معطفها، ويبدو أنها فكّت الأزرار الثلاثة الأولى من قميصها؛ عظم الترقوة، وطرفٌ من صدرها أصبحا ظاهرين. ليس أن الأمر يهمني. وقد حررت شعرها من ربطة ذيل الحصان التي كنت أظنها دائمة. بدت مختلفة هكذا... أقلّ إزعاجًا.

نتناول الطعام في صمت. بالكاد تمسّ بريا قطعة من البيتزا، ولا يسعني التفكير أنها طلبتها من أجلي وحدي. تحضر لنا كوبين من مبرد المياه — دون أن تسأل رأيي — ثم تقف قرب مكتبي أكثر مما يلزم حين تضعه. أشم عطْرها الغريب على كتفي، ويدها الصغيرة تستقر عليه.

— "هل أنت بخير يا *جاك*؟" تسأل، متخلّية عن لقب "سيدي" أو "رئيسي".

إذا كان ما تقوله لغة جسدها صحيحًا، فأنا أشعر بالإطراء، لكن لا اهتمام لدي بزميلة مبتدئة لديها "مشكلات أبوية"، أو أيًّا كان هذا الذي يحدث. ثم إن كل ما يخطر لي الآن هو *آنا*، وكيف كانت حياتنا معًا قبل

أن تتحطم. لا أرغب في البقاء هنا، ولا أرغب في العودة إلى المنزل أيضًا، لمواجهة الأسئلة التي أعلم أنني لن أرغب في الإجابة عنها. لكن بما أن منتصف الليل يقترب، أعتقد أنه وقت مناسب للمغادرة.

أقول، واقفًا بتلعثم:

— "أنا مرهق، وأنتِ كذلك بالتأكيد."

لم يحالفني الحظ كثيرًا مع النساء، سواء في الصبا أو في شبابي. لم يبدأ اهتمام النساء بي إلا خلال السنوات الأخيرة. أنا رجل في منتصف العمر، بشعرٍ رمادي وحقيبةٍ من المتاع أكثر من مطار هيثرو؛ لا أفهم السر. ورغم أن فكرة أن تحاول امرأةٌ مغازلتي مُرضية — ومن لا يجد ذلك مُرضيًا — فإنني أرتدّ إلى مراهقي الخجول كلما حدث ذلك، ذلك الصبي الذي لا يعرف كيف يتحدث إلى الفتيات.

أضيف:

— "سأرحل الآن. ولتفعلي أنتِ الشيء نفسه. كلٌّ منّا بمفرده... لتجنب أي لبس."

تقطّب پريا حاجبيها، ويعلو وجنتيها احمرار خفيف، ثم تعود إلى مكتبها.

— "سأبقى قليلًا. ليلة سعيدة، سيدي."

في محاولة نزع فتيل الموقف، أخشى أنني زدتُه سوءًا.

أحيانًا أعتقد أن الناس يغيرون ملامحهم لمجرد أن يجدوا لوجوههم ما تفعله. الابتسامة لا تعني السعادة دائمًا، تمامًا كما أن الدموع لا تعني الحزن بالضرورة. وجوهنا تكذب بقدر ما تكذب كلماتنا.

في طريقي إلى المنزل، ألمح ضوءًا مشتعلًا في مدرسة *سانت هيلاريز*. إنها المدرسة التي درست فيها آنا ورايتشل في مراهقتهما. حيث التقيتا. إنه وقت متأخر، ولا أحد ينبغي أن يكون هناك الآن، لكن أحدًا ما واضح أنه في الداخل.

t.me/wadistreambooks

أدخل موقف السيارات، وأقرر أن أدخّن سيجارة قبل دخول المبنى. نصف سيجارة يكفيني، فأكسرها إلى شطرين. أحاول إشعال الولاعة، لكنها لا تعمل. أهزّها وأجرّب مجددًا، بلا جدوى. أفتّش زوايا السيارة. لا أرغب بفتح صندوق التابلوه مجددًا؛ لم أنسَ ما يوجد فيه.

أعثر على علبة كبريت قديمة في مسند الذراع. أشعل السيجارة، وأتنشّق بعمق، مستمتعًا بصدمة الرأس الفورية. ثم أقلب علبة الكبريت، فأرى أنها من الفندق الذي قضيت فيه أول ليلة مع *رايتشل*. مرّت شهور، لكنني أتذكر كل شيء: رائحة شعرها، نظرة وجهها، شكل عنقها. الطريقة التي كانت تتظاهر فيها بالعجز، وتتركني أظن أنني المتحكم. لم أكن كذلك. كُتبت كلمتان بخط يدها على ظهر العلبة: **اتصل بي**، ومعهما رقمها.

رؤية خط يدها تدفعني نحو حافةٍ كنت أتمايل عندها طوال اليوم. أدخّن الواحدة تلو الأخرى، وأنا أتوق في الوقت نفسه إلى شراب. لم يعد يهمني من الشخص الموجود داخل المدرسة. بعد أن أنهيت سيجارتي الثالثة كاملة حتى الفلتر، أرفع رأسي نحو المبنى؛ غارق في الظلام. ربما تخيلت الضوء والظل في النافذة.

تلمع علبة الكبريت مجددًا، بخط رايتشل. فكرة سماع صوتها، للمرة الأخيرة، تحمل عزاءً غريبًا. أتصل برقمها. أسمع رنين الهاتف، لكنه ليس في الطرف الآخر... بل في سيارتي.

أستدير بسرعة تكاد تصيبني بآلام الرقبة، لكن المقعد الخلفي فارغ تمامًا. أخرج من السيارة والهاتف في أذني، وأمشي نحو مؤخرة الـ٤x٤. مصدر الصوت من الصندوق الخلفي.

أنظر حولي؛ موقف السيارات خالٍ تمامًا — كما هو متوقع في هذا الوقت — فأفتح الصندوق. تقع عيناي فورًا على الهاتف. ضوءه الأخضر

الباهت يكشف عن شيئين آخرين لم أتوقعهما. أقترب قليلًا... إنهما حذاءا رايتشل المفقودان: حذاءان غاليان، مغطّيان بالطين.

لا أفهم ما أراه. أشعر بدوار، وغثيان، ورغبة في القيء. لكن الهاتف يتحول إلى البريد الصوتي، وصوتها يملأ أذني:

— "مرحبًا، هنا رايتشل. لن يجيب أحد على المكالمات الآن، فأرسل رسالة نصية."

أغلق المكالمة، وأصفق الصندوق بعنف.

تبدأ يداي في الارتجاف، وأتذكر كل المكالمات الفائتة منها الليلة الماضية، والرسائل التي تركتها على هاتفي ومسحتُها لاحقًا. يجب ألا يعرف أحد. إن عرفوا، سيستحيل نفي وجودي معها... أو ما حدث. أنا حقًا لا أعلم كيف وصل هاتف رايتشل وحذاؤها إلى سيارتي، لكنني متأكد أنني لم أضعهما. لعلّي كنت سأذكر لو فعلت.

أتذكر وجوه أبطال المسرحية المأساوية التي صنعتها. إنها مليئة بالدروس... تعليمية، ترفيهية، تمامًا كما كانت الـBBC، قبل أن ينسى من يديرها ما كانوا مكلفين به. لدي عادة ألا أنسى شيئًا... ولا أحدًا، خصوصًا من أساء إليّ. ما أفتقر إليه في التسامح أقابله بصبرٍ طويل. وأولي اهتمامًا بالتفاصيل الصغيرة، فهي غالبًا أدلّ دليل على حقيقة الشخص. نادرًا ما يرى البشر أنفسهم كما يراهم الآخرون؛ كلنا نحمل مرايا مكسورة.

هناك عدة شخصيات في هذه الحكاية، لكلٍّ منها نظرته الخاصة لما جرى. لا يمكنني سوى سرد منظوري، وتخمين منظوراتهم. وككل القصص... ستصل هذه إلى نهايتها. لدي خطة الآن، وأعتزم تنفيذها، وهي تسير جيدًا حتى اللحظة. لا أحد يعلم أنه أنا. وحتى لو اشتبه أحد، أنا واثقة بدرجة معقولة أنهم لن يستطيعوا إثبات شيء.

كان لي صديقٌ وهمي في طفولتي، مثل كثير من الأطفال الوحيدين. كان اسمه *هاري*. كنت أتظاهر بالحديث معه، وأقلّد صوتًا مضحكًا لردوده. عائلتي كانت تجد الأمر طريفًا، أما بالنسبة لي، فقد كان هاري حقيقيًّا... كأنني أنا وهو شيء واحد. وكلما اقترفت خطأً، ألقيت باللوم على هاري. أحيانًا أصرّ على أنه مذنب لوقت طويل، حتى أصدّق أنا نفسي.

لقد كدتُ أقنع نفسي عدة مرات بأنني لم أقتل رايتشل... بأن شخصًا آخر فعل، أو أنني تخيّلت الأمر. لكنني قتلتها... وأنا مسرورة بذلك. لم يكن فيها شيء جيّد، لا شيء حقيقي على أية حال. كانت أفعًى في جلد حمل، وكان ينبغي أن أعلم أفضل. من يلاعب الأفاعي... لا بد أن يُلدغ.

t.me/wadistreambooks

لم تكن المشكلة أنها لا تعرف الفرق بين الصواب والخطأ؛ كانت تُعيد تعريفهما بما يلائم رغباتها. كان ارتكاب الخطأ هو ما يجعلها تشعر بأنها على ما يرام.

ليس كل البوصلات الأخلاقية التالفة ميؤوس منها. بعضها يعود للعمل بهزّة أخلاقية من شخص آخر. نسافر فرادى في رؤوسنا، لكن يمكن – أحيانًا – توجيه نوايا شخص آخر نحو شمال الخير وجنوب الخطأ. الناس يمكن أن تتغير... لكنها غالبًا تختار ألا تفعل.

قرأت أن بعض القتلة يريدون أن يُقبض عليهم ليريحوا ضميرهم، لكنني لست واحدة منهم. لا متعة في اللعبة إن انتهت. ورغم أنني خسرت الكثير، لدي ما أخسره أكثر. كل ما أريده هو أن يحصل الناس على ما يستحقون. لا أعتبر نفسي قاتلًا حقًا؛ أنا مجرد شخص قرر أن يؤدي خدمة عامة لصالح الآخرين. قوة الشرطة الرسمية محدودة ومخيّبة، وكان الأفضل أن أتولى الأمر بيدي.

استغرقني الأمر طويلًا، لكنني أدركت الآن أين، ومتى، ولماذا تدهورت حياتي. كل شيء يعود إلى هذا المكان... وإلى أولئك الذين فعلوا ما لم يكن ينبغي لهم فعله. حان الوقت لأمضي قدمًا... وأُنهي ما بدأت.

-٢١-

حكايتها

الثلاثاء – ٢٢:٣٠

لا أعتقد أنني تجاوزت رحيل *جاك* يومًا ما.

كنت أنا من طلب الطلاق، لكنه انسحب من زواجنا قبل ذلك بوقت طويل. بالنسبة لي، فوائد الوحدة تفوق ألمها. ثم إنني أستحق ذلك، كما أظن. وخزُ الوحدة يشبه وخز القراص... مؤلم، لكنه عابر. ما دمت لا تحكّ جرح العزلة، سيعود كل شيء ليبدو طبيعيًا. لكنني ما زلت أفكر فيه... فينا... وفيها. هناك ذكريات ترفض أن تُنسى.

أفكر في جاك طوال النهار والليل، رغم سيل اللقاءات المباشرة التي أجريها عبر قنوات الـBBC: قناة الأخبار، راديو ٤، فايف لايف، نشرة السادسة... من BBC لندن إلى BBC العالمية. وحين أنهي مداخلتي الأخيرة في نشرة العاشرة، لم نعد نحن وحدنا في الغابة. سكاي، آي تي إن، وسي إن إن قد وصلوا، مع فرقهم وشاحنات البث. قد يملكون الخبر الآن... لكنني أنا من كشفه أولًا. كنت أعرف هوية الضحية قبل أي أحد... وإن لم يعرف أحد كيف.

وبما أن الوقت تأخر، وصباح الغد يفرض علينا بثًا مبكرًا لصالح BBC Breakfast، يعرض رئيس تحرير النوبة الليلية أن يدفع تكاليف الفندق لي ولريتشارد. المهندسون سيعودون إلى لندن، ليستلم الفريق الصباحي غدًا، لكن وجودنا هنا منطقي أكثر من العودة ثم الرجوع بعد

ساعات. سنحصل على مزيد من النوم، ونبقى قريبين في حال جد جديد. ريتشارد يوافق.

لم أكن بحاجة للسؤال عن الفندق... فليس في القرية سوى واحد، وأنا أعرفه جيدًا. **ذا وايت هارت**... هو بالأحرى حانة، مع غرف في الطابق العلوي. أما البدائل فهي بيتان صغيران للمبيت والفطور... أو غرفتي القديمة في بيت أمي. وهذا آخر مكان أريد الذهاب إليه.

فات وقت الطعام — المطعم أغلق منذ زمن — لكن ريتشارد يقترح أن نأخذ شرابًا قبل الإغلاق. أوافق، خلافًا لما يمليه حدسي. بعد زجاجة "مالبِك" وكيسين من رقائق الملح والخل، تبدأ عضلاتي بالاسترخاء، وأشعر بالامتنان. فالزملاء أحيانًا كالأصدقاء القدامى... يمكن أن تنقطع عنهم شهورًا، ثم تلتقي لتكملوا الحديث من حيث توقفتم.

أسأله:

— "هل تريد كأسًا أخرى؟" وأنا أتناول حقيبتي.

يبتسم ريتشارد. نكاته وحواراته السهلة جعلتني أشعر بالشباب، كأنني شخص ممتع مرة أخرى. من المؤسف أنه يرتدي تلك الملابس القديمة، ويرفض قص شعره. أعتقد أن بداخل هذا الشاب رجلًا يختبئ.

— "مغرٍ"، يقول. "لكن علينا الاستيقاظ مبكرًا جدًا... ثم إن البار قد أغلق."

ألتفت خلفي، وأجده محقًا. معظم الأضواء خُفتت، ويبدو أن العاملين تركونا.

— "يا للأسف"، أقول، وأسحب يدي فوق الطاولة حتى تكاد تلامس يده. "يمكننا دائمًا تفقد الميني بار في غرفتي."

يسحب يده، ويرفعها ليشير إلى الخاتم في إصبعه.

— "متزوج، تذكرين؟"

ترتجّ داخلي لسعة الرفض، وأقول شيئًا أعلم أنني سأندم عليه:

– "لم يكن هذا يزعجك من قبل."

يمتدّ وجهه في ابتسامة مهذّبةٍ مُعتذرة، مما يزيدني سوءًا.

– "كان الوضع مختلفًا. لدينا أطفال الآن... وهذا يغيّر كل شيء. يغيّرنا."

أعرف كم هو مُهين أن تُنصح في أمر تعرفه مسبقًا. إنجاب طفل غيّر حياتي أيضًا... قبل أن أفقد طفلتي. لا أتحدث عن ذلك في العمل... ولا مع أحد.

كنت ضمن فريق الفن والترفيه حين حملت – ذلك القسم في أعلى مبنى الـBBC – لذا لم يكن كثيرون يرونني. وإن فعلوا، فربما ظنوا أنني ازددت وزنًا. تعقيدات الحمل أجبرتني على البقاء في الفراش أشهرًا. لذلك لم يعرف كثيرون أنني كنت حاملًا... ولا أن ابنتي توفيت بعد ثلاثة أشهر من ولادتها.

أتساءل إن كان ريتشارد يعرف. أستنتج أنه لا يعلم، حين يلتقط هاتفه ويعرض صورًا لا تنتهي لابنتين شقراوين جميلتين. يبدو متحمسًا ليُريني ما ينعم به... وما أفتقده.

أقول:

– "إنهما رائعتان." وأنا أعني ذلك.

يبتسم أكثر:

– "هما نسخة من والدتهما في الجمال."

أشعر بصفعة داخلية. لا أذكره وهو يذكر زوجته من قبل، رغم أنني أعلم بوجودها. وليس في الأمر عيب أن يحب رجل زوجته وبناته... لكن في هذه اللحظة، يبدو كل هذا تذكيرًا بما حرمت منه.

أقف، وأقول:

– "حسنًا... تصبح على خير. وعلى فكرة، كل ما عرضته كان كأسًا... لا أكثر."

أبتسم، ويبتسم هو أيضًا. لا يجوز أن تبقى الأمور محرجة مع زميل... خصوصًا من يتحكم في كيف أبدو أمام ملايين المشاهدين.

أعود إلى غرفتي، وأفرغ ما تبقى في الميني بار وحدي. الخيارات ليست كثيرة، لكنها تكفي. ثم أجلس على السرير، أتناول قطع الشوكولاتة الصغيرة وأحتسي الزجاجات المصغرة، وأنا أتساءل كيف وصلت إلى هنا. قبل ثمانٍ وأربعين ساعة، كنت مذيعة أخبار في الـBBC. حياتي الخاصة في خراب، نعم... لكن مسيرتي كانت سليمة. والآن... عدت حرفيًا إلى نقطة البداية، إلى القرية التي كبرت فيها، لأغطي مقتل فتاة عرفتها أيام المدرسة. فتاة آذتني... ثم صارت امرأة حاولت إيذائي مجددًا، بعد سنوات من تلك الليلة التي أنهت صداقتنا الهشة إلى الأبد.

اتصلت بي رايتشل فجأة منذ وقت قريب. لا أفهم حتى الآن كيف حصلت على رقمي. قالت إن جمعيتها الخيرية في ورطة، وطلبت أن أقدم حفلًا لصالحها. قلت لا — لأنني كنت أظن أن مشكلات الجمعية على الأغلب سببها إدارتها لها — فظهرت في مبنى الـBBC. جلست في الاستقبال الرئيسي تنتظرني، ثم لمّحت أنها تملك شيئًا قد يدمّر مسيرتي إن ظهر.

ومع ذلك... قلت لا.

أنهض لأجلب شرابًا آخر، لكن الميني بار صار فارغًا، فأقرر أن أستعد للنوم. عليّ الظهور على الهواء بعد ساعات قليلة؛ من الأفضل أن أحاول النوم.

أستحم. ففي قصص كهذه، يبدو كأن رائحة الموت تلتصق بجلدك وشعرك. عليّ غسل كل ذلك، بماءٍ ساخن يحرق. لا أعلم كم مكثت في الحمام، لكن حين خرجت، كانت الزجاجات الفارغة وأغلفة الشوكولاتة قد رميت في سلة المهملات، والفراش مُهّد كأن شخصًا أعدّه لي.

أمرٌ غريب، فأنا لا أذكر أنني فعلت ذلك. وهذا ليس فندقًا يقدم خدمة ترتيب الأسِرّة ليلًا.

يبدو أنني كنت أكثر سُكرًا مما تصوّرت.

أتسلل تحت الغطاء، وأطفئ الأنوار... وأغيب عن الوعي في اللحظة التي يلمس فيها رأسي الوسادة.

t.me/wadistreambooks

-٢٢-

حكايته

الثلاثاء – الساعة ٢٣:٥٥

كان البيت غارقًا في الظلام حين أوقفت سيارتي في الممر، وشعرت ببعض الارتياح؛ فآخر ما أحتاجه بعد يوم كهذا هو مواجهة تحقيق فور وصولي إلى المنزل. فتحت الباب الأمامي بهدوء بالغ، حريصًا على ألا أوقظ أحدًا، ثم سرعان ما أدركت أن كل هذا الحرص لم يكن له داعٍ. الأضواء مطفأة، صحيح، لكن التلفاز يعمل، وحين دخلت غرفة الجلوس وجدت **زوي** تشاهد زوجتي السابقة على نشرة الأخبار. كنت قد مررت بها في طريقي للمنزل، ورأيت وسائل الإعلام تجمع أغراضها وترحل ليلًا، لذا أعلم أن البث ليس مباشرًا؛ إنها إعادة لتقريرها السابق، لكن ظلّ الأمر غريبًا... رؤية **آنا** في بيتي.

قالت زوي دون أن ترفع عينيها:

"ما الذي يحدث بحق الجحيم؟"

كانت قد أمطرتني رسائل واتصالات طوال اليوم، لكن لم يكن لدي وقت ولا رغبة للرد.

قلت وأنا أحاول منع نفسي من التنهّد:

"إن كنتِ تشاهدين هذا، فأظن أنك تعرفين كل شيء."

قالت:

"واحدة من أعز صديقاتي تُقتل، ولم تفكّر حتى في إخباري؟"

"أنتِ لم تكوني صديقة لـ**رايتشل هوكينز** منذ أن تركتِ المدرسة. مرت عشرون سنة على آخر مرة كلمتِها فيها." التوت ملامح وجه زوي بغضبٍ وجرحٍ قبيحين، لكنني لم أكن في مزاج لتحمّل واحدة من نوبات غضبها الليلة.

"ليس كل شيء يدور حولكِ يا زوي. قضيت يومًا طويلًا جدًا، وأنتِ تعلمين أنني لا أستطيع التحدّث عن عملي، فلا تسألي."

لم أرد يومًا أن ألوّث عالمها بمشكلاتي.

قالت:

"أنت مخطئ. تحدثتُ مع رايتشل مؤخرًا." ثم أطفأت التلفاز، وحدّقت في وجهي من أعلى لأسفل وكأنها تجري تقييمًا رسميًا وانتهت لنتيجة سلبية. "لماذا زوجتك السابقة هنا، تُغطّي مقتل آخر عشيقاتك؟"

عجزت عن الرد فورًا، فالصدمة عقدت لساني؛ لم أكن أعرف أنها على علم بعلاقتي مع رايتشل. كنت أظن ألا أحد يعرف. فكّرت في احتمال أنها لا تعرف بالتأكد.

قلت:

"لا أعرف ماذا تقصدين——"

قاطعتني:

"كفى كذبًا يا جاك. أعلم أنك كنتَ تضاجعها في الشهرين الأخيرين. لا أعرف لماذا اخترتها بالذات من بين كل الناس! هل كنتَ معها الليلة الماضية؟"

لم أجب.

قالت بصوت مرتفع:

"هل كنت معها؟"

"أنت لستِ زوجتي يا زوي. ولستِ أمي."

"لا، أنا أختك. وأسألك الآن: هل كنت مع رايتشل الليلة الماضية؟"

t.me/wadistreambooks

قلت:
"هل تسألينني إن كان لي يدٌ في مقتلها؟"

هزّت رأسها، وبدأت تعيد ترتيب وسائد الفرو المزيّفة على الأريكة، عادة تلجأ إليها حين يبلغ بها الانزعاج ذروته. هي تصنع الأغلفة بنفسها وتبيعها عبر الإنترنت. بعيد جدًا عن حلمها بالعمل في تصميم الأزياء حين كنا صغارًا.

لاحظت أنها صبغت شعرها أحمر فاقعًا مرة أخرى، على الأرجح إحدى عبوات الصبغة الرخيصة التي تفضّلها. وفاتَها خصلة شقراء خلف رأسها، لون الشهر الماضي. بيجامتها الوردية تبدو أنسب لابنة أختي ذات السنتين أكثر من مناسبةٍ لأم في السادسة والثلاثين... لكن احتفظت برأيي لنفسي.

قالت دون أن تنظر إليّ:
"حين قلتُ إن بإمكانك الإقامة معنا لبعض الوقت بعد الطلاق، قصدتُ أسبوعين، لا سنتين..."

"وكيف كنتِ ستسددين الرهن العقاري إذًا؟"

انتقلت للعيش مع أختي حين غادرتُ شقتي في لندن التي كنت أعيش فيها مع آنا. هذا البيت كان ملكًا لوالدينا قبل وفاتهما، وأشعر أن لي الحق فيه مثلها تمامًا. أولًا، لم تكن تعلم شيئًا عن ضريبة الميراث، مما اضطرّنا لإعادة رهن البيت للاحتفاظ به. ثانيًا، رحل والدانا فجأة. ولخيبتنا معًا، لم يتركا وصية. رغم أنهما كانا منظّمَين طوال حياتهما، إلا أن موتهما لم يكن مخططًا له مطلقًا... ليس من طرفهما على الأقل.

السبب الوحيد الذي جعلني أسمح لزوي بالتصرف في المنزل وكأنه ملك لها، هو أنها تملك طفلة. كانتا تحتاجان إلى مكان تسميانه "بيتهما" أكثر مما كنت أحتاج أنا، ثم إنني لم أرغب يومًا في العودة لهذه البلدة. مثل زوجتي السابقة، كنت أفضل أن يبقى الماضي حيث يجب أن يبقى.

اندفعت زوي بقربي وخرجت من الغرفة. لا يبدو أنها اغتسلت أو ارتدت شيئًا لائقًا اليوم. مرة أخرى. زوي لا تملك وظيفة حقيقية. تقول إنها لا تجد واحدة، ربما لأنها لم تبحث في العشر سنوات الماضية. تعتمد في رزقها على أغلفة الوسائد، والإعانات، وبيع أغراض والدينا المرحومين على إيباي——وتظن أنني لا أعلم——وتصر على أن الأمومة وظيفة بدوام كامل، رغم أنها تتصرف كأم بدوام جزئي.

تبعتها إلى المطبخ. راقبتها وهي تغسل كوبًا واحدًا ببطء مبالغ فيه. كان كل شيء نظيفًا بطريقة غير معتادة بالنسبة لها، كل شيء في مكانه... باستثناء سكينة واحدة مفقودة من طقم السكاكين الفولاذية على الرخام. لاحظت غيابها هذا الصباح أيضًا.

قلت:

"كيف عرفتِ بأمر رايتشل؟"

ما زالت تقف وظهرها إليّ، تشطف كأس النبيذ الآن، كأن حياتها معلقة به. أخذت كأسًا نظيفًا وسكبت لنفسي شيئًا من زجاجة النبيذ الرخيص المفتوحة على الطاولة. للأسف، ذوق أختي في النبيذ لا يختلف عن ذوقها في الرجال؛ رخيص، صغير، ويسبب الصداع.

قالت أخيرًا:

"كيف عرفت أنها ماتت؟ أم كيف عرفت أنك كنت تنام معها؟"

لم أستطع النظر في عينيها، فاكتفيت بهزة خفيفة وأنا أرتشف جرعتي.

"أنا أختك. أعرفك. كنت تقول إنك تعمل لوقت متأخر، لكن بلاكداون ليست مركزًا للجريمة. أو... لم تكن. ثم رأيتها في السوبرماركت الأسبوع الماضي، وبدأت الحديث. كما قلتَ، لم تكلمني منذ عشرين سنة، لذا..."

قلت بحدة:

"فاستنتجتِ فورًا أنها تضاجع أخاك؟"

رفعت حاجبًا مرسومًا بعناية. زوي تضع مكياجًا كاملًا كل يوم، حتى لو لم تغتسل أو تغادر المنزل.

قالت:

"ليس فورًا. لكنها كانت تضع عطرًا مميزًا جدًا، وعُدتَ للبيت برائحته تلك الليلة، بعد "العمل المتأخر"، لذا..."

ثم رفعت أصابعها تصنع علامتي اقتباس في الهواء، عادة مزعجة لازمتها منذ الصغر.

قلت:

"ولماذا لم تقولي شيئًا؟"

"لأنه ليس من شأني. أنا لا أخبرك بمن أنام معه."

لا حاجة لها؛ جدران هذا البيت رقيقة.

قلت بسخرية:

"أأنتِ تنامين مع أحد؟" لكنها تجاهلتني. لم أقصد السؤال بجدية. زوي دائمًا مع أحد. ولها موقف مستهتر تجاه العلاقات. لم تخبرني قط من والد طفلها، وأشك أنها تعرف.

قالت:

"ظننتُ أنك ستخبرني بنفسك حين تكون مستعدًا. ولم أتأكد إلا البارحة."

"لماذا البارحة؟"

"لأنها اتصلت هنا."

كاد كأس النبيذ يسقط من يدي.

قلت بذهول:

"ماذا قلتِ؟"

t.me/wadistreambooks

قالت:

"رايتشل هوكينز اتصلت بالبيت ليلًا."

امتلأ رأسي بالأصوات، أعلى حتى مما كان. لم أكن أعلم أن رايتشل تملك هذا الرقم، لكنه لم يتغير قط. إنه الرقم الذي كانت تتصل به حين كانتا صديقتين في المدرسة. شعرت بالرعب من السؤال، لكن اضطررت لطرحه:

"هل كلمتِها؟"

"لا. لم أسمع الهاتف أصلًا. تركت رسالة قرب منتصف الليل. لم أستمع إليها إلا هذا الصباح حين رأيت الجهاز يومض."

ذهبت إلى الآلة القديمة التي كانت لوالدينا. كثير من أغراضهما ما زالت هنا—الأشياء التي لم تبعها زوي بعد—حتى أنني أنسى أحيانًا أنهما رحلا. ثم أتذكر، ويعود الحزن يسحقني من جديد. لا أعلم إن كان هذا طبيعيًا.

اختلّ الزمن داخل رأسي منذ موتهما. الأحداث السيئة انهالت تباعًا: وفاة ابنتي، الطلاق، ثم كل مستقبل كنت أتخيله لنفسي بدأ يتفكك... والآن يحدث ثانية.

تحركت زوي ببطء مؤلم. أردت أن أصرخ فيها: لا تضغطي "تشغيل". لا أعرف إن كنت أريد سماع صوت رايتشل مرة أخرى. ربما الأفضل أن أتذكرها كما كانت... قبل أن...

ضغطت زر التشغيل.

جاء صوت رايتشل، واضحًا كأنها تقف بيننا:

"جاك، أنا. آسفة لاتصال بالهاتف الأرضي، لكنك لا ترد على موبايلك. هل أنت في الطريق؟ الوقت تأخر، وأنا مرهقة جدًا. أعلم أنني يجب أن أعرف كيف أبدّل إطارًا بنفسي. لا أعرف ما الذي حدث، الأمر أشبه بأن

أحدهم مزّقه عمدًا. لحظة... أظنني أرى أضواء سيارتك تدخل مواقف السيارات الآن. فارسي المغوار!"

ضحكت رايتشل... وانتهت الرسالة.

حدقت في الجهاز كأنه شبح.

كانت زوي تحدّق في كأنني غريب.

قالت:

"ما هذا الخَدْش؟"

مددت أصابعي إلى الندبة الحمراء على خدي دون أن أشعر. لاحظت **پريا** ذلك اليوم، لكنها كانت مهذبة بما يكفي لئلا تذكره.

قلت:

"جرحت نفسي وأنا أحلق."

قطّبت زوي حاجبيها، وتذكرتُ أن لحيتي لم تُمس منذ يومين.

ثم قالت بصوت خافت بالكاد سمعتُه:

"هل كنت أنت؟"

ليتني لم أسمع.

تدفقت صور طفولتنا في رأسي، صامتة كالسينما: أنا طفل أدفع أرجوحة أختي الصغيرة، حفلات عيد الميلاد، وكل أعياد الميلاد التي جمعَتنا. حتى الأسبوع الماضي كنت أدفع ابنتها على الأرجوحة نفسها المعلقة في فناء البيت. كان في هذا البيت الكثير من الحب. لا أعرف متى اختفى.

قلت بجروح عميقة:

"كيف تسألينني ذلك؟"

رفضت أن تتلاقى عيناها بعيني. شعرت بقلبي يتخبط داخل صدري؛ خفقات غير منتظمة من الحزن، لا الغضب. كنت أظن أن أختي ستقف

بجانبي في أسوأ الظروف. واكتشاف عكس ذلك... لم يكن صفعة، بل دهسًا متكررًا.

قالت هامسة:

"هناك طفلة نائمة بالطابق العلوي. كان عليّ أن أسأل."

"لا، لم يكن عليك."

حدقنا في بعضنا طويلًا، في حوار صامت لا يجيده إلا الأشقاء. كنت أعرف أن عليّ أن أتكلم، لكن ترتيب الكلمات احتاج وقتًا.

قلت:

"نعم، رأيت رايتشل البارحة."

"في الغابة؟"

"نعم." ارتسمت على وجهها علامة لم أشأ تفسيرها. "لكنني غادرت بعد ذلك. لم أعلم بوجود مشكلة إلا حين رأيت مكالماتها الفائتة. عدت لأساعد، لكن سيارتها كانت اختفت... وهي أيضًا. اتصلت بهاتفها لكنها لم ترد. فظننت أنها أصلحت الأمر ورحلت."

"هل يعرف أحد أنك كنت هناك؟"

"لا."

"لم تخبر زملاءك الشرطة؟"

هززت رأسي.

"لا."

سألت بعد صمت طويل:

"لماذا لم تخبرهم؟"

"لأنهم سينظرون إليّ كما تنظرين الآن."

قالت أخيرًا:

"أنا آسفة. كان عليّ أن أسأل... لكنني أصدقك."

قلت:

"حسنًا." رغم أن الأمر ليس حسنًا... ولا أنا بخير.

قالت:

"أعلم أننا لا نقولها، لكنني أحبك."

"وأنا أحبكِ أيضًا."

وحين غادرت الغرفة... بكيت للمرة الأولى منذ وفاة ابنتي.

خسارة من تحب بصدق دائمًا تشبه خسارة جزء من نفسك. لا أقصد رايتشل——ذلك كان شهوة فقط——بل **زوي**. لم نكن مقربين دائمًا؛ لم يعجبها اختياري لزوجتي، ولم يعجبني أي شيء تختاره هي أصلًا... لكنني كنت أظن أنها ستكون أول من يسحب القابس حين تسوء الأمور حقًا. يبدو أنني كنت مخطئًا. شيء انكسر بيننا الليلة... شيء لن يُصلَح.

جلست وحدي في شبه الظلام، أنهي النبيذ الذي تركته أختي عمداً، عارفة أنني سأحتاجه. وحين فرغت الزجاجة وعاد البيت إلى الصمت، عدت إلى جهاز الرد الآلي... وحذفت الرسالة.

أحيانًا أشعر أنني لم أعد أعرف نفسي.

t.me/wadistreambooks

-٢٣-

حكايتها

الأربعاء – الساعة ٠٤:٣٠

استيقظت غارقة بالعرق، لا أعرف أين أنا ولا في أي زمن.

أول ما يطفو على السطح... هي. طفلتي الصغيرة. دائمًا تبدأ الذكريات بها.

ثم تذكرت الفندق، والمشروبات—قبل وبعد لقائي المهين بـ**ريتشارد**—فأغمضت عيني بقوة، كأن الإصرار على إغلاقهما قد يمحو ذاكرتي بالكامل.

كنت أحلم قبل أن أستيقظ.

كنت أركض داخل الغابة، خائفة من شيء أو شخص يطاردني. سقطت، وحين كنت ممددة على التراب ظهر شخص فوقي، واقفًا، يحمل سكينًا. كنت أصرخ في الحلم... وحلقي يؤلمني الآن، كأنني كنت أصرخ فعلاً.

ربما هو الجفاف. أتوق لعلبة مشروب غازي. أشعلت الضوء، ففوجئت بزجاجة مياه معدنية إلى جانب السرير. لا أذكر أنني وضعتها، لكن شكرت نفسي الماضية على لطفها. فتحتها وشربت جرعات طويلة من الماء البارد، بارد كأنه خارج لتوه من الثلاجة.

t.me/wadistreambooks

تفقدت هاتفي؛ رسالة من **جاك** هي التي أيقظتني. لسبب ما، يريحني أن أعلم أنه لا ينام أيضًا. رسالته ليست لطيفة، لكنها قصيرة... أربع كلمات يفضل ترتيبها دائمًا بهذا الشكل:

نحتاج لأن نتحدث.

ليس في الرابعة صباحًا بالتأكيد.

نهضت ببطء، وتوجهت نحو الميني بار بحثًا عمّا يساعدني على العودة للنوم. خشيت أن أكون قد أفرغته قبل أن أغيب عن الوعي، لكن شهقت حين رأيته ممتلئًا. سحبت سلة المهملات... وكانت فارغة أيضًا. كنت متأكدة أنني التهمت وجبات خفيفة وشربت وحدي على السرير الليلة الماضية... لكن يبدو أن ذلك أيضًا كان حلمًا.

فتحت زجاجة ويسكي صغيرة، وشربتها دفعة واحدة. حين خفضت رأسي، لفتت صورتي الموجودة على المكتب نظري؛ الصورة التي وجدتها أمس في صندوق المجوهرات في بيت أمي. كلنا فيها. خمس فتيات مراهقات قبل الليلة التي غيّرت حياتنا. قضيت سنوات أحاول نسيانهن... وها همّ يعودون ليطغوا على كل تفكيري. تذكرت يوم التقينا.

مدرستنا الثانوية كانت فكرة أمي. كنت أذكى آنذاك—قبل أن يغرق الكحول خلايا دماغي—أذكى من الحد اللازم، كانت تقول. بعد رحيل أبي، لم يكن هناك مال لمدرسة خاصة. وكان لا بد أن أكمل تعليمي في مكان ما. فاختارت **سانت هيلاري**.

لم تكن مناسبة.

كانت تبعد عشرين دقيقة مشيًا. لكن أمي أصرت على توصيلي في أول يوم—لتتأكد أنني أدخل فعلًا—وتوقفت بسيارتها البيضاء القديمة تمامًا أمام البوابة. كانت قد بدأت شركة التنظيف الخاصة بها، وكتبت اسمها على السيارة:

" النحلات العاملة ـ لخدمات التنظيف "

وقد كانت السيارة فعلاً أشبه بعلبة معدنية على عجلات. شعرت بعيون الطالبات تتفحصها كأنها أثر قديم.

لم أشأ النزول. ولا دخول المدرسة. لكن لم أشأ خذلان أمي. نجحت في أن تحصل لي على مكان وسط الفصل الدراسي. كانت تنظف بيت المديرة، كما تنظف نصف بيوت القرية على ما يبدو.

نظرت إلى المبنى، بدا كأنه مصحّة فيكتورية، مع عبارة محفورة فوق الباب:

مدرسة سانت هيلاري الثانوية للبنات.

قالت أمي بتشجيع فاشل:

"أن تكوني الفتاة الجديدة أمر صعب دائمًا. كوني نفسك فقط."

كان هذا أسوأ نصيحة آنذاك... وما زال. أريد أن يحبني الناس؛ لذا لا مجال لأكون نفسي.

ثم ظهرت فتاة عند نافذة السيارة، بابتسامة واسعة. لها شعر مضاء بخصل ذهبية، وملامح لامعة. كانت **رايتشل هوكينز**. قالت أمي بحرارة:

"أهلًا يا رايتشل."

ثم التفتت إليّ رايتشل:

"أنتِ آنا، صحيح؟ أول يوم؟"

أومأت.

"تعالي معي، سأعرّفك على الجميع."

رافقتها، ممتنّة فقط ألا أدخل وحيدة.

قادَتني إلى فصلٍ مليء بالضجيج. صمت الطالبات حين دخلنا، ثم عاد الهمس. لم أعرف إن كان الصمت من أجلها أم أجلي. مشت بثقة نحو مجموعة من الفتيات. قدّمتني إليهن بجرأة:

"هذه آنا أندروز، صديقتكم الجديدة. أنا رايتشل هوكينز، صديقتكِ المقرّبة. هذه **هيلين وانغ**——الذكية، تعمل على صحيفة المدرسة. وهذه

زوي هاربر—المضحكة، تصنع ملابسها وتُغضب والديها بثقوب في جسدها."

رفعت زوي قميصها قليلًا لتُظهر ثقب السرة. كانت خياطة موهوبة؛ نصف المدرسة تطلب منها تعديل التنانير.

أما هيلين—بشَعرها الأسود وملامحها الحادة—فعادت لعملها: كبس صحف وردية اللون. صوت الدبّاسة كان كالرصاص... يرهق أعصابي.

أخرجت رايتشل كاميرا ***كوداك*** من شنطتها. لم أرَ مثلها من قبل. التقطت لي صورة:

كليك ـ تي ـ كليك.

ثم لفت الفيلم.

كليك ـ تي ـ كليك. كليك ـ تي ـ كليك. كليك ـ تي ـ كليك .

ثم أخرى.

قالت وهي تضمني:

"صورة قبل وبعد."

لم أسأل: بعد ماذا؟

ثم أشارت إلى فتاة وحيدة على المكتب:

"تلك **كاثرين كيلي**. غريبة قدر الإمكان. تجنبيها."

كانت فتاة شاحبة، شعرها وحاجباها شبه بيض، أسنانها مليئة بالأسلاك، تأكل شوكولاتة على الفطور. ملابسها متسخة. كأنها تفتقر لأي حماية. لم يكن تجنبها صعبًا... كان الاقتراب منها هو الكارثة. لكنني لم أعرف ذلك بعد.

لطالما رغبت في الهرب من بلاكداون وعدم العودة. والآن، وأنا أنظر لغرفة الفندق، لا أفهم كيف عدت إليها. قلبت الصورة لأخفي وجوههن... ثم ذهبت لغسل يديّ وكأن الذكريات لوثت جلدي.

وحين عدت...
كانت الصورة مقلوبة للأعلى.
لم أكن أنا من فعل ذلك.
وعلى وجه **رايتشل**...
وُضِعَت علامة × سوداء بالقلم.

t.me/wadistreambooks

-٢٤-

حكايته

الأربعاء – ٥:٥٥ دقيقة صباحًا

هزم رنين الهاتف السباق إلى النوم، بدلاً من صوت المنبّه.

كانت **بريا** على الخطّ مجددًا، واضطررتُ إلى مطالبتها بأن تُبطئ كلامها. رأسي كان يطنّ من أثر النبيذ الأحمر الرخيص، وكانت تتحدث بسرعة لا يستطيع مخّي استيعابها. نمتُ بملابسي فوق الفراش في الغرفة التي كانت لي حين كنتُ صبيًا. كنتُ لفرط البرد عاجزًا عن الإمساك بالهاتف جيدًا. لم أفهم شيئًا في البداية، ثم أدركتُ أن النافذة ما زالت مفتوحة منذ دخّنتُ سيجارة في وقت متأخر من الليل. لو علمت **زوي** بأنني دخّنت داخل المنزل – وابنة أختي نائمة في الغرفة المجاورة – لقتلتني.

أتذكر جيدًا كيف كان شعور تلك اللحظة... ليس فقط نشوة النيكوتين، بل النشوة الطبيعية لارتكاب أمر خاطئ والظنّ بأنني أفلتُّ منه. كما أتذكر كيف اختفى ذلك الشعور فور إحساسي بوجود من يراقبني من الشارع أسفل البيت. كان الظلام دامسًا، بحيث يمكن لأي شخص أن يقف في الظلال وينظر إليّ دون أن أدرك. أحاول نسيان ما حدث تلك الليلة، لكن رأسي يزداد ألمًا حين أعتدل جالسًا، وأعرف أنني بحاجة إلى قهوة.

t.me/wadistreambooks

طلبتُ من پريا أن تُعيد آخر ما قالته، لأتأكد من أنني فهمته، فقالته مرة أخرى:

«لقد عُثر على جثة ثانية في بلاكداون.»

حاولتُ صياغة ردّ ما، لكن شيئًا لم يخرج من فمي.

قالت:

«هل سمعتني يا سيدي؟» أدركتُ حينها أنني لم أنطق بكلمة.

«أين عُثر على الجثة؟»

كان صوتي غريبًا، وكأنني نسيتُ كيف أتحدث.

«في *سانت هيلاري*... مدرسة البنات الثانوية.»

وقفتُ لحظة أستجمع عقلي. كنتُ أودّ أن أشعل سيجارة، لكن لم يبق معي سوى واحدة بعد ليلة الأمس، وأشعر بأن عليّ الاحتفاظ بها لوقت الحاجة.

«هل قلتِ مدرسة البنات؟»

«نعم، سيدي.»

تسارعت أفكاري. جريمتا قتل خلال يومين في المكان نفسه تعني أننا قد نواجه قاتلاً متسلسلاً. وسيتهافت الرؤساء على التحقيق كما يتهافت الذباب على اللحم الطازج.

«سأصل حالًا.»

اغتسلتُ سريعًا، وحاولت النزول دون إحداث أي ضجيج، بلا فائدة. كانت **زوي** مستيقظة بالفعل، وفي المطبخ، وبكامل ملابسها — أمر نادر. كانت تشاهد برنامج "إفطار بي بي سي".

سألت:

«تريد قهوة؟» ودَفعت نحوي الإبريق دون أن تُبعد نظرها عن التلفاز.

«لا، يجب أن أذهب.»

«سؤال عشوائي قبل أن تفعل... هل رأيت مقصّ الأظافر؟ اختفى من الحمّام وأحتاجه.»

قفز ذهني مباشرة إلى علبة *تيك تاك*. أحدّق فيها بلا جواب.

«ماذا؟» سألتني.

«لا شيء. لم أره. وعلى ذكر الأشياء المفقودة، هل رأيتِ حذائي *التيمبرلاند*؟»

«نعم. كان بجوار الباب الخلفي أمس... مُغطّى بالطين.»

شعرتُ بالدم يبرد في عروقي.

«حسنًا... لم يعد هناك الآن.»

«ولستُ أمّك كي أبحث لك. لماذا هذه العجلة؟»

«عمل.»

«لأنهم وجدوا جثة أخرى؟»

نظرتُ إليها... ملابسها، حمرة وجنتيها كأنها عادت من جريٍ مبكر، ومفاتيح سيارتها على الطاولة كمن عاد لتوّه. السادسة صباحًا... ولا مكان في بلاكداون يفتح في هذا الوقت.

«كيف عرفتِ أن هناك جثة ثانية؟»

«لأنني أنا القاتلة.»

لم تبتسم، ولم أبتسم. لطالما كان لزوي حسّ فكاهي مشوّه، لكن شيئًا بدا غير مريح في الأمر... جزء صغير في داخلي تساءل إن كان هذا مزاحًا فعلًا. لم أعرف يومًا السبب الحقيقي وراء خلافها مع رايتشل أو الفتيات الأخريات.

ثم ارتفع جانب شفتيها قليلًا، وأومأت نحو التلفاز.

«زوجتك السابقة أخبرتني.»

لم يكن هذا الرد أفضل من الأول، حتى رأيت **آنا** تظهر على الشاشة. كانت واقفة أمام المدرسة، تُغطي خبر الجثة الثانية قبل وصولي إلى

مسرح الجريمة أصلاً. لم تُصدر الشرطة أي بيان بعد؛ الأشخاص الذين يُفترض أن يعرفوا بوجود جريمة ثانية يمكن عدّهم على أصابع اليد.

«عليّ أن أذهب.» قلتها وأنا أسحب معطفي من على الدرابزين. انتزعتُ وشاح *هاري بوتر*، ثم عدلتُ عن ارتدائه.

نادَتْ زوي:

«جاك، انتظر.»

اتّبعتني. «كن حذرًا اليوم، حسنًا؟ مجرد أنك كنت متزوجًا منها لا يعني أنها جديرة بالثقة.»

«ماذا تقصدين؟»

«هي صحافية قبل أن تكون زوجة... فانتبه لما تقوله. ولا... تفقد أعصابك.»

«ولِمَ أفعل؟»

هزّت كتفيها.

وقبل أن أغادر قالت شيئًا آخر:

«رجاءً... لا تُدخّن داخل المنزل.»

خرجتُ وأنا أشعر كطفل تعرّض للتوبيخ. قدتُ نحو المدرسة التي كنتُ قد مررت بها الليلة الماضية، وإذا بقوات شرطة بلدة ساري بأكملها قد وصلت قبل وصولي مرة أخرى.

كان هناك عربة بث تلفزيوني واحدة — الخاصة بآنا — دون أثر لها أو لفريق البي بي سي. يبدو أنهم في استراحة. كنتُ قد بحثتُ عن سجلّ المصوّر ليلة الأمس. كان تصرفًا غير مهني، لكنه أثبت شكوكي. للرجل سجلّ إجرامي... شيء أظن أن آنا لا تعرفه.

استقبلتني **بريا في** الاستقبال، وقدّمت لي قهوة وكرواسان. شعرها مرفوع، لكن وجهها بدا مختلفًا.

قالت:
«لا أرتدي نظارتي اليوم.»
«كنتِ تستطيعين إخباري أنك لا تريدين رؤية جثة أخرى بهذه السرعة.»
«أرى جيدًا. أردتُ فقط تجربة العدسات.»
وقت غريب لتجربة شيء كهذا... لكن النساء دائمًا لغز بالنسبة لي.
«تبدين... حسناً.» خرجت الكلمة قبل أن أعدّها. وسرعان ما ندمت، خوفًا من أن يُعدّ هذا تحرشًا في زمن كهذا، فسحبتها بسرعة: «أعني القهوة جيدة.» وارتشفتُ منها.
اختفى ابتسامها، وشعرت بأنني أحمق. فغيّرتُ الموضوع.
سألتها عن مكان حصولها على قهوة جيدة في هذا الوقت، فأجابت:
«من كولومبيا.»
قلت:
«بعيد جدًا.»
ابتسمت:
«أعددتها في منزلي قبل أن أخرج. فكرتُ أنك ستحتاجها. لديّ ترمس كامل في السيارة، لكنني أعرف أنك تحبها في كوب ورقي — رغم أنه ليس صديقًا للبيئة — لذا طلبتُ مجموعة عبر الإنترنت.»
عرفتُ أنها واقعة في غرامي. ورغم أنني في منتصف العمر... ما زلت أمتلك بعض السحر. لكن لن يحدث شيء. سأدعها تهبط برفق عندما يحين الوقت.
رنّ الهاتف. كان رئيسي. تأخرتُ في الرد أكثر من اللازم.
«صباح الخير يا سيدي.»
استمعتُ إليه وهو يعدد أخطائي، وأعضّ على لساني مرارًا. لو قالها وجهًا لوجه... لكنه لن يفعل. صعب عليه النظر إليّ من الأساس، فأنا

أطول بكثير. الرجل قصير القامة وقصير الذكاء معًا. انتظرتُ حتى انتهى، ثم قلت ما يريد سماعه.

«نعم، سيدي. بالطبع.»

أنهى المكالمة. بدت پريا خيبة أمل في وجهها.

«ماذا؟» سألتها.

لم تُجب. لكنها بالتأكيد سمعت عبارته:

"هذا خطأ فادح من فريق الجرائم الكبرى... في عهدك."

عملنا جميعًا ثماني عشرة ساعة متواصلة... ولكن كلماته أصابتني في مكان ما.

سرتُ خلف پريا عبر ممرات المدرسة. كنتُ أعرف المكان جيدًا من أيام مسرحيات زوي المدرسية. وكنتُ أعرف – أكثر من أي شخص هنا – أنّني كنتُ في هذا المبنى ليلة الأمس. وإن كان تصرّفي مختلفًا... لما حدث هذا الآن.

دخلنا المكتب... فبدت الصدمة على الجميع. كانت الأنوار كضوء استوديو، والجثة في المركز.

قلت:

«غطّوا النوافذ قبل أن يتسرب شيء للصحافة.»

وبدت الوجوه مصدومة. وكانت *الطب الشرعي* قد وصل. المشهد كان فوضويًا، لكن يمكنني رؤية كل شيء بوضوح.

كانت **هيلين وانغ** جالسة خلف مكتبها... حلقها مفتوح، وفمها مشدود في صرخة صامتة. داخل فمها... *سوار صداقة* أحمر وأبيض ملفوف حول لسانها. تمامًا كما حدث مع رايتشل.

رأسها مائل، وشعرها الأسود القصير يكشف شيئًا من الشيب. رغم أن نصف وجهها مخفي... عرفتُها فورًا. الكل يعرفها. **هيلين** هي مديرة المدرسة... محترمة ومخيفة في آن.

كانت صديقة لرايتشل. وربما كانت تعرف عن علاقتنا. وإن كانت تعرف... فلن تخبر أحدًا الآن.

قميصها مفكوك حتى الخصر، وعلى صدرها كلمة LIAR "كاذبة" مكتوبة بالدبابيس. مئة دبوس معدني صغير مغروس في جلدها بنمط يشبه الغُرز.

شعرت بالعجز. جريمة قتل واحدة نادرة هنا... أما جريمتان خلال يومين؟ أمر غير مسبوق. حتى في لندن لم أعمل في قضية قاتل متسلسل إلا مرة واحدة.

اقتربتُ فرأيت مسحة مسحوق أبيض على طرف أنفها.

«أمعقول أن المديرة كانت تتعاطى الكوكايين؟»

«جاري فحصه.» قالت پريا.

بعد تفقدي الأولي خرجتُ إلى الملعب. كانت يداي ترتجفان. بحثتُ في جيبي عن سيجارتي الأخيرة... وأشعلتها. كنتُ هنا ليلة الحادث. لا مهرب من تلك الحقيقة.

حين انتهيتُ وعدتُ، اصطدمت بپريا واقفة خلف الباب، وكأنها تراقبني. أردت أن أسأل لماذا... لكن أجراس المدرسة دوّت.

«ما هذا؟» سألت بعد توقف الجرس.

«جرس المدرسة، سيدي.»

«أعرف ذلك... لماذا يرنّ؟ المدرسة مغلقة، أليس كذلك؟»

«أظن ذلك، سيدي. من المفروض أن يعرف الناس من الأخبار.»

«تظنين؟ ألم أقل أمس...»

انكمشت نظرتها. شعرتُ بالأسف، لكن لم أستطع تجاهل الأمر.

«حسنًا. اذهبي لإبلاغ الأمانة بعدم حضور أحد اليوم. وضعي شرطيين على البوابة. وإن رأيتِ فريق البي بي سي... اطرديهم من أرض المدرسة. لستُ أدري كيف وصلوا بسرعة كهذه.»

t.me/wadistreambooks

«سيدي، يجب أن——»

«الرجاء تنفيذ ما طلبت.»

ابتعدت. خرجتُ للهواء قليلاً... حتى سمعت خطوات خلفي.

ظننتها پريا.

«هل أنجزتِ ما طلب——؟»

لكنني التفتّ... فكانت **آنا**.

«ماذا تفعلين هنا؟»

«مساعدتك أرسلتني إليك.»

«بريا؟ لماذا؟ وكيف وصلتِ إلى هنا بهذه السرعة؟ لم نُصدر شيئًا للصحافة.»

لم تجب. نظرتُ خلفي لأتأكد أننا وحدنا.

«لماذا كنتِ ترتدين سوار الصداقة أمس؟» همستُ.

كان يبدو أنها على وشك الضحك.

«لماذا تسأل عنه دومًا؟»

«من أين حصلتِ عليه؟»

«ليس من شأنك——»

«أقول لك هذا لأنني ما زلتُ...» *أحبك*. كان ذلك ما سيخرج، لكنه لم يخرج. أحيانًا يكون كتمان الحب هو الحب. فقلت: «ما زلتُ أقلق عليك فقط.» ابتسمت، لكن أعصابي كانت مشتعلة.

«أنا جاد يا آنا.»

«أنت دائمًا جاد... وهذا واحد من عيوبك.»

«إن أخبرتِ أحدًا بما سأقوله، أو فكرتِ بنشره——»

«حسنًا... تكلم.»

«كلا المرأتين كان في أفواههن أساور صداقة... تمامًا مثل الذي كنتِ ترتدينه.»

t.me/wadistreambooks

شحب وجهها... ارتحتُ لذلك، فلو لم تتأثر لقلقتُ أكثر. وكأنني تزوجتُ شخصًا لم أعرفه حقًا.

سألتني : «فلماذا كان لديكِ واحد؟»

«لم يعد لدي... فقدته.» بدا كذبًا، لكنه بدا صادقًا أيضًا. «أرسلتَ لي رسالة ليلًا... هل كان هذا السبب؟»

كنتُ قد نسيت أنني راسلتها وأنا ثمِل.

«كانت فجرًا لا ليلًا... وليس وقت الحديث عن هذا. لم تُجيبي عن أي سؤال——»

«لماذا راسلتني إذن؟»

نظرتُ إلى باب المدرسة... عقلها يعمل لصالح القصة، كالعادة.

«ليس لدي وقت لهذا. أردتُ فقط القول ألا تثقي كثيرًا بمصوّرك.»

شهقت.

«لتفهم الأمر... أنت تتعامل مع جريمة مزدوجة، وكل ما يشغلك هو فراشي؟»

«لا يعنيني من تنامين معه... لكنه ذو سجلّ عنف.»

«ليس من حقك البحث عنه في النظام! وإن كنتُ أنام معه — ولستُ كذلك — فلا يهمني لو كان لديه مخالفة سرعة أو أي تفاهة——»

«ليست تفاهة. لقد أدين بالضرب المبرح.»

«هو...؟»

«نعم. والآن... عليك المغادرة.»

دخلت پريا عبر الباب، قاطعة الطريق.

«المدرسة مغلقة رسميًا.»

«جميل. وهل من الحكمة السماح لصحافية بالتجول هنا؟»

نظرت إليّ ثم إلى آنا... وفي وجهها ارتباك عميق.

«اعتقدتُ أنك سترغب برؤيتها.»

t.me/wadistreambooks

«ولماذا؟»

«لأن الآنسة أندروز... هي مَن عثرت على الجثة.»

t.me/wadistreambooks

مثل كل شيء أخر في الحياة، يصبح أسهل حين نكرره. وقواعد القتل لا تختلف. الجريمة الثانية كانت أسهل كثيرًا من الأولى. كل ما احتجته هو الصبر... وصبرت.

كانت **هيلين وانغ** تحب السلطة أكثر من البشر، وكان ذلك سبب سقوطها. امرأة ذكية جدًا... ووحيدة جدًا، تعمل لوقت متأخر بعدما يغادر الجميع. تسللتُ إلى مكتبها حين خرجت للحظات، اختبأتُ خلف الستائر، وقدماي بارزتان قليلاً... لكنها لم ترهما. البعض يضع "فلترًا" للحياة كما يفعل للصور؛ لا يرون إلا ما يريدون.

وحين عادت وجلست تنظر إلى الشاشة كما لو كانت تنظر إلى عشيق... ظننتُ أنها تعمل. لكنني رأيت فوق كتفها أنها تكتب... رواية.

بعد أن شققتُ حلقها، قرأت الفصل الأول وأنا أمسّد شعرها... لكن الكلمات لم تكن مشجعة. كتابة هيلين كانت ضعيفة، فمسحتُ كل شيء... واستبدلته بسطور كتبتها أنا:

هيلين يجب ألا تكذب.

هيلين يجب ألا تكذب.

هيلين يجب ألا تكذب.

استخدمتُ مناديل مضادة للبكتيريا لمسح لوحة المفاتيح بعدها. ثم وضعتُ المخدّرات في أنفها ودرجها، كي لا يغفل أحد عن حقيقتها.
أردتهم أن يعرفوا: المديرة "الفاضلة" ليست قدوة... بل مدمنة سلطة ومخدرات وأسرار.

كان بدلتها أنيقة، لكن خيبة الأمل جاءت من ملابسها الداخلية الرخيصة. مسدس الدبابيس لم يكن جزءًا من الخطة... لكنني رأيته على مكتبها، وكان مغريًا جدًا. الدبابيس لم تتناسق تمامًا كما أردت، لكن الكلمة ظاهرة: "LIAR".

ربطتُ سوار الصداقة حول لسانها... ثم وقفتُ أتأمل عملي. كان مذهلًا بالفعل. استعرتُ قلمًا من الكوب على المكتب، وكتبتُ على ظهر يدي ملاحظة صغيرة... تذكير بأن عليّ إجراء مكالمة سريعة.

t.me/wadistreambooks

-٢٥-

حكايتها

الأربعاء – ٦:٥٥ دقيقة صباحًا

قالت المحققة الشابة:

«ضعي الهاتف جانبًا.»

حدّقتْ في كأنني ارتكبت للتو جريمة شنيعة. أظن أنّه ناداها **باتيل**، ولم تكن لطيفة معي كما كانت في أول لقاء لنا. كان من السهل جدًا كسب ودّها في الغابة أمس. لم أكن مهتمة فعلًا بأغطية الأحذية التي طلبت استعارتها، كنت فقط أحتاج ذريعة لأتحدث إليها. من المدهش كمية المعلومات التي استطعت استخراجها منها. ربما كررت بعض ما قالته، وهذا – على ما أظن – سبب انزعاجها الآن.

أقسم أنها رأتني أمدّ يدي نحو الهاتف الأرضي على المكتب قبل أن تنطق بكلمة. لم أكن لأرفعه أصلًا لو أنها قالت لي لا، لكنني أعدته مكانه دون نقاش. لم أكن بارعة يومًا في عصيان أصحاب السلطة، حتى لو كانت سلطتهم صغيرة. نحن الاثنتان محاصرتان داخل مكتب سكرتيرة المدرسة، لأسباب لا تبدو منطقية بالنسبة لي.

قلت:

«من المفترض أن أظهر على الهواء بعد عشر دقائق. رئيسك أخذ هاتفي المحمول، وأحتاج للاتصال بشخص ما ليعرف أين أنا الآن.»

قالت:

«المفتش **هاربر** أخذ هاتفك لأنك قلتِ إن أحدهم اتصل بك عليه وأخبرك عن جريمة القتل الأخيرة. أعتقد أنّك تتفهمين أسباب حاجتنا للتحقق من ذلك الاتصال ومن المتصل.»

ندمت على إعطاء **جاك** هاتفي، لكنني لم أشأ أن أبدو غير متعاونة.

«حسنًا، لكن لابد أن أخبر غرفة الأخبار بمكاني.»

«تمّ الاهتمام بالأمر.»

«ماذا يعني ذلك؟»

«مصورك على علم بأنّك تأخرتِ.»

«تأخرت أم مُحتجَزة؟ هل أنا معتقلة؟»

«لا. كما شرحتُ لكِ من قبل: أنتِ حرّة في المغادرة في أي وقت. لقد طلبنا منك البقاء هنا لحمايتك، ولتساعدينا في التحقيق.»

حدّقتُ فيها، ولم تُحوّل نظرها عني. تبدو صغيرة وشابة، لكنها واثقة بشكل يثير الدهشة. ليس مستغربًا أن **جاك** يحبها. أستطيع أن أشعر بنفسي أقع في الكُره. إنه يشبه الوقوع في الحب، لكنه يحدث أسرع وأقسى ويستمر أطول بكثير.

خرجت من الغرفة، وتركت الباب مفتوحًا. كان بإمكاني سماعها تتحدث مع شخص ما في طرف الممر، فمددت يدي داخل حقيبتي، فتحت زجاجة صغيرة من البراندي وابتلعتها. ثم تناولت حبة نعناع من العلبة. وحين رفعت رأسي، كانت المحققة تقف في باب الغرفة تحدّق بي. لا أعرف منذ متى هي واقفة هناك، ولا ما الذي رأته.

قلتُ وأنا أرجّ علبة النعناع باتجاهها:

«حبة نعناع؟»

«لا، شكرًا.»

«تعرفين أنّني زوجة **جاك** السابقة، أليس كذلك؟»

بدا ابتسامها كما لو أنها نسيت كيف تُستخدم.

«نعم، آنسة آندروز. أعرف تمامًا من أنتِ.»

لا أعلم ما الذي أقلقني أكثر: كلماتها أم نظرتها الغريبة. أخبرتهما معًا كم كنت خائفة حين جاءني الاتصال هذا الصباح، لكنهما يتصرفان وكأنهما لا يصدقانني. وحتى حقيقة أنّني اتصلتُ بغرفة الأخبار قبل الشرطة لم يُعجب أحدًا. أنا صحافية، وبالطبع تابعت التلميح الذي جاءني وتوجّهت إلى المدرسة. صحيح أنني الآن أدرك أن الأمر بدا متهورًا، وربما خطيرًا، لكن بعض القصص إدمانية كالنجاح. جرائم القتل الفردية لا تصنع ولا تنقذ مسيرات مهنية، لكن قصة عن قاتل متسلسل قد تُبقيني على الشاشة لأسابيع.

لن أنسى ما حييت رؤية جسد **هيلين** الميت. الفتاة التي درست معي أصبحت امرأة بالكاد عرفتها، لكن بالطبع كنت أعرف أنها هي. الشعر نفسه، الوجنتان نفسهما، وربما — من يدري — الدباسة ذاتها التي كانت تستعملها في صحيفة المدرسة، راقدة على مكتبها. إنها صورة لا تُمحى، ورؤية ذلك الكم من الدماء في الصباح كفيلة بجعل أي شخص يريد شرابًا قويًا.

استمرت المحققة الشابة في التحديق بي، وكأن عينيها البنيتين الكبيرتين نسيتا كيف تطرفان. صرفتُ بصري أولًا، وتظاهرت بالاهتمام بالصور على الجدران. أعادتني تلك الصور إلى ذكريات استدعائي إلى هذا المكتب حين كنت مراهقة. لم أكن أواجه مشاكل في مدرستي الأولى، لكن حين انتقلت إلى **سانت هيلاري** تغيّر كل شيء. ولم يكن ذلك ذنبي. كان بسبب **رايتشل هوبكنز** أو **هيلين وانغ** — كلاهما الآن ميتتان.

تبنّتني **رايتشل** يوم وصلت إلى المدرسة، وكنت ممتنة لها. كانت الفتاة الأكثر شعبية، وهذا منطقي لأنها كانت جميلة وذكية ولطيفة... أو هكذا ظننت. دائمًا تقوم بأعمال خيرية — جري لجمع التبرعات، بيع

كعك، حملات دعم للأطفال المحتاجين. في البداية لم أشك، لكن بعد أسابيع بدأت أتساءل: هل تراني مشروعًا آخر من مشاريعها؟

دعتني إلى منزلها، وأعارتني ملابسها، وعلّمتني وضع المكياج. لم أكن أضع أي شيء قبلها. كانت تطلي أظافري كل مرة نلتقي، بلون مختلف، وأحيانًا ترسم أحرفًا على كل ظفر لتشكيل كلمات: "لطيفة"، "جميلة"، "رقيقة". دائمًا كانت تناديني "لطيفة". وما زال الناس يستخدمون الكلمة نفسها لوصفي حتى اليوم. أصبحت أكرهها. تحوّلت تلك الحروف الأربعة في أذني من مديح إلى إهانة. كأن اللطف ضعف. ربما هو كذلك. ربما أنا كذلك.

كانت **رايتشل** تشتري لي هدايا صغيرة طوال الوقت — ملمّع شفاه، أربطة شعر، وأحيانًا قمصانًا ضيقة قليلًا بهدف دفعِي لإنقاص وزني — وحتى أخذتني لمصفف شعرها حتّى أحصل على خصلات شقراء مثلها. كانت تعلم أنني لا أستطيع دفع التكلفة، وأصرّت أن تدفع هي. لم أسأل يومًا عن مصدر المال. وكانت تجعلني أجلس معها ومع صديقاتها في الغداء، وهذا أسعدني. لم أكن أريد أن أكون وحدي مثل بعض البنات.

كاثرين كيلي بدت لطيفة أيضًا. دائمًا تأكل شوكولاتة أو رقائق بطاطس، وكانت تبدو غريبة قليلًا — شعرها الأشقر الفاتح، جهاز الأسنان، والزي المدرسي غير مهندم — لكنها لم تكن تؤذي أحدًا. بالكاد كانت تتحدث. تجلس وتقرأ. أغلب الوقت روايات رعب. وسمعت أن أسرتها تعيش في مكان غريب في الغابة على أطراف البلدة. البعض قال إنه بيت مسكون، لكنني لم أؤمن بالأشباح. شعرت بالأسى لأنها بلا أصدقاء.

سألتُ يومًا وأنا آكل طبق اللّزانيا البائس:

«هل ندعو كاثرين لتجلس معنا؟»

حدّقت بنا البقية وكأنني تفوهت بإهانة.

قالت **رايتشل**:

«لا.»

أما **هيلين** فقالت وهي تحدّق في طبقي:

«هل ستأكلين كل هذا؟ هل تعرفين كم سعرًا حراريًا يحتويه هذا الطعام المقزّز؟»

لم أكن أعرف. لم أكن أفكّر بهذه الأشياء.

قلت: «أحب اللّزانيا.»

هزّت رأسها، وأخرجت قنينة صغيرة ووضعتها أمامي.

«خذي هذه. اعتبريها هدية عيد ميلاد مبكرة.»

«ما هي؟»

«حبوب حمية. نحن جميعًا نأخذها. ستبقين نحيفة دون أن تشعري بالجوع. ضعيها في حقيبتك، لا نريد المدرسة كلها تعرف أسرارنا.»

ثم قالت **رايتشل**:

«ولماذا تريدين دعوة كاثرين كيلي ذات الرائحة الكريهة؟»

ضحكت الأخريات.

قلتُ: «هي فقط تبدو وحيدة...»

قاطعتني: «وأردتِ أن تكوني لطيفة، أليس كذلك؟»

أومأت.

«تعرفين... أن تكوني لطيفة جدًا يعني أن تكوني ضعيفة.»

وقفت بعنف، وخرجت. وعاد الهدوء. وعندما حاولت النظر إليهن، انشغلن بطبق السلطة.

عادت بعد دقائق، وابتسامتها مرسومة من جديد. وضعت علبة الكولا على الطاولة، وبدأت تأكل. وقلّدتها البقية.

قالت:

«حسنًا، هيا، ادعيها.»

t.me/wadistreambooks

ترددت قليلًا ثم تجاهلت شعوري الغريب. بدا لي أنها تعود إلى لطفها. كنت ساذجة.

ذهبت عبر الصفوف إلى تلك الزاوية الحزينة حيث تجلس **كاثرين** وحدها. شعرها الأشقر بدا وكأنه لم يلمس مشطًا منذ فترة. أعادت خصلة خلف أذنها البارزتين، واحمر وجهها حين ناداها الآخرون "**دمبو**". ورغم كل ما تأكله، كانت نحيلة. قميصها واسع عند الياقة بسبب زر مفقود، وربطة عنقها ملطّخة. وشاهدتُ أن سترتها مليئة بالطباشير. ورأيت عن قرب أن حاجبيها شبه خاليين من الشعر بسبب نتفهما بأصابعها. كانت تفعل ذلك دائمًا في الصفّ، ثم تنفخ الشعر المتجمع كأنه أُمنية.

حين دعوتها إلينا، ظننت أنني أمزح. حدّقت في الفتيات — اللواتي كنّ يضحكن على شيء همست به **رايتشل** — لكنّهن حين رأين نظرتها لَحنَّ وابتسمن ولوّحن لها. شعرتُ بالفخر حين حملت صينيّتها وجاءت وجلست معنا.

حتى وجدت الورقة الصغيرة تحت طبقي.

ألقت **رايتشل** خطابًا صغيرًا:

«أردت فقط أن أقول آسفة إن جَرحتُ مشاعرك يومًا يا كاثرين. صديقات؟»

مدّت كاثرين يدها. كانت أظافرها مقضومة، والجلد حولها متورمًا أحمر. ورأيت قطعة لزانيا عالقة في جهاز أسنانها.

احمرّ وجهها، وانسكب مشروبها. لكن **هيلين** أخرجت مناديل بسرعة، وكأنها توقعت الأمر.

قالت **رايتشل**:

«آسفة، أنا حمقاء. خذي مشروبي بدلًا من هذا.»

أجابت كاثرين:

«أنا بخير... لست عطشى.»

t.me/wadistreambooks

«لا، أصرّ.»

دفعت **رايتشل** العلبة إليها، وتغير الحديث.

أما أنا فظللت أحدّق في الورقة. مكتوب فيها:

تبولتُ في علبة الكولا. إن أخبرتها قبل أن تشربها، فستجلسين وحدك غدًا.

كنت أعرف ما يجب فعله، لكنني لم أفعله. جلست فقط أحدّق في طعامي.

بعد خمس دقائق مؤلمة، تناولت كاثرين العلبة. حافظت **رايتشل** على وجه جامد، بينما بدت **هيلين** أكثر من سعيدة، و**زوي** بدأت تضحك. أتمنى لو أنها أخذت رشفة خفيفة، لكنها رفعت رأسها وشربت عدة جرعات قبل أن تدرك أن هناك خطبًا.

قالت **رايتشل** بابتسامة:

«لقد شربتِ بولي!»

وانفجر الجميع ضحكًا، وانتشر الخبر في القاعة، والكل يضحك على **كاثرين كيلي**.

لم تقل كلمة.

حدّقت بي فقط.

ثم وقفت وغادرت دون أن تنظر خلفها.

t.me/wadistreambooks

-٢٦-

حكايته

الأربعاء – ٧:٤٦ دقيقة صباحًا

«أحتاج أن تعودي معي.»

التفتت **آنا** و**پريا** إليّ، لكنّ كلامي موجّه لزوجتي السابقة.

قلتُ لـ پريا:

«أرجوكِ، قولي لي إنها لم تلمس شيئًا هنا؟»

بدت محرجة وقالت:

«فقط الهاتف.»

أغمضت عيني. كنت أعرف أنها ستقول ذلك. كانت فكرتي أن تنتظر **آنا** في مكتب السكرتيرة، ولا يمكنني الآن لوم أحد غيري. التفتُّ إليها لأرى ردّها.

قلت:

«الاتصال الذي جاء لهاتفك المحمول – التلميح عن جريمة القتل الثانية – جاء من هاتف هذا المكتب.»

حدّقت **آنا** في الهاتف القديم.

قالت:

«يمكنكم رفع بصمات الأصابع، أليس كذلك؟»

«أتوقع أن البصمات الوحيدة الآن ستكون بصماتك، ولن نعرف إن كانت موجودة من قبل.»

«بالطبع لم تكن بصماتي على الهاتف قبل الآن!»

تقدمت پريا:

«سيدي، أنا آسفة...»

قاطعتها **آنا**:

«هل تقول إنني اتصلت بنفسي؟»

«لا أقول شيئًا بعد. ما زلنا نجمع الأدلة. تعالي معي. پريا، ابقي هنا وانتظري الفريق. دعيهم يفتشون كل زاوية في المكتب. من قتل **هيلين وانغ** كان هنا.»

فتحت لها الباب – كالـ"رجل المهذب" – فأهدتني نظرة غير معجبة. اعتدت تلك النظرات في آخر أشهر زواجنا. سرنا عبر الممر دون كلام، لكنها لم تحتج إلى الحديث لكي أعرف أنها غاضبة. الأزواج يطورون لغة صامتة مشتركة، ولا ينسونها حتى بعد الانفصال.

سألت بعد قليل:

«إلى أين نذهب الآن؟»

«أرافقك إلى الخارج.»

قالت:

«سأغطي القصة مهما حدث.»

«هذا شأنك.»

«تظنّ أنه يجب ألا أفعل؟»

«منذ متى تهتمين برأيي؟»

توقفت، وتعبت أنا من القتال حول كل شيء ما عدا الشيء الوحيد الذي دمّرنا، الشيء الذي لم نتحدث عنه أبدًا كما يجب.

قالت:

«هل تصدقني؟»

t.me/wadistreambooks

تحوّل وجه المرأة ذات الستة والثلاثين عامًا أمامي إلى وجه الفتاة الخجولة الخائفة التي عرفتها قبل عشرين عامًا. تلك التي كانت أختي **ورايتشل هوبكنز** صديقتيها — لسبب لم أفهمه يومًا. لم تكن تشبههما. لم أفهم البنات آنذاك... وما زلت لا أفهم النساء الآن.

قلت:

«تقولين إن الاتصال جاءك الخامسة تمامًا.»

«نعم.»

«وأنك لم تعرفي الصوت، ولم تعرفي إن كان المتصل رجلًا أو امرأة؟»

«صحيح. أظن أنهم استخدموا مبدل صوت.»

رفعت حاجبي.

«حسنًا... لماذا تظنين أن أحدهم أراد أن يبلغك أنتِ بالقتل؟»

هزّت كتفيها.

«ربما شاهدني أغطي الجريمة الأولى على التلفاز؟»

قلت:

«ألا تخشين أن يكون الأمر شخصيًا؟»

بدت وكأنها تريد قول شيء، لكنها تراجعت. لا وقت لدي لألعابها.

وصلنا ساحة السيارات. بدا المكان خاليًا تقريبًا. لم أخبر أحدًا أنني كنت هنا ليلة أمس، لأنني أعلم كيف سيبدو. سيارات الشرطة والصحافيون أمام المدرسة، وهذا ما سأذهب بـ **آنا** إليه.

قلت:

«أين فريقك؟»

«لم يعرفوا كم سأبقى "محتجَزة"، فذهبوا على الأرجح للفطور.»

قلت وأنا ألمح سيارتها:

«سأوصلك إلى سيارتك.»

t.me/wadistreambooks

قالت:

«حقًا تريدني أن أغادر.»

لم أجب. واصلنا السير بصمت ثقيل. لم تر شظايا الزجاج حتى أشرتُ إليها.

النافذة محطمة.

قالت:

«رائع... ممتاز...» واقتربت لترى.

قلت:

«لا تلمسي شيئًا.»

اتصلت بـ **بريا** وأخبرتها أن ترسل أحدًا.

ثم سألت:

«شيء مفقود؟»

«نعم. حقيبة ملابسي. كانت على المقعد الخلفي.»

قلت:

«ما زلت تظنين أنّ الأمر لا علاقة له بك؟ أحدهم — ولديّ شعور أنه القاتل — اتصل ليبلغك بالجريمة الثانية، والآن حطّم نافذة سيارتك وسرق حقيبتك. أنت تعرفين الضحيتين. ألا تظنين أنها رسالة؟»

قالت:

«وأنت؟»

كان وجهها شاحبًا، مرعوبًا. لم أعرف أأضمّها أم أكرهها. لكنها تخفي شيئًا.

قالت:

«لقد كذبت.»

اشتدّ نبضي.

«كذبتِ بشأن ماذا؟»

«أنا خائفة فعلًا أن يكون لهذا علاقة بي، لكن أقسم أنني لست متورطة. تعرف ذلك.»

قلت:

«حسنًا.»

سأقول لها ما تريد لأسمع ما أريد.

قالت:

«البارحة... شعرتُ أن أحدًا يراقبني. وأعلم أن هذا سيبدو سخيفًا، لكنني أظن أن أحدًا دخل غرفتي في الفندق. وجدّتُ بعض الأشياء في غير مكانها. ظننت أنني أهذي لأنني مرهقة و...»

لم تحتج أن تعترف بأنها كانت تشرب. أستطيع تخمين ذلك. أستطيع شمّه الآن.

قلت:

«هل كان مصورك في الفندق نفسه؟»

قالت:

«ليس ريتشارد.»

«وكيف تعرفين؟»

«لماذا يفعل ذلك؟ هذا كله يبدو مرتبطًا بـ "بلاكداون"... أحد من الماضي ربما.»

قلت:

«لماذا تقولين ذلك؟»

سألت:

«إلى أي حد كنت تعرف **رايتشل**؟ هل رأيتها منذ عدت إلى هنا؟»

رأيتها، وبأشكال كثيرة...

قلت:

«أظن أن الجميع رأوها. كانت امرأة تلفت الأنظار.»

t.me/wadistreambooks

بان الامتعاض على وجه **آنا**، كما توقعته. لكن جوابي كان أفضل ما أستطيع دون كذب. كانت تعرف كذبي دائمًا.

قالت:

«لكن... إلى أي حد كنت تعرفها؟»

شعرت بالعرق يتشكل، لكنها تابعت دون انتظار رد:

«الناس اعتقدوا أنها لطيفة حين كنا أطفالًا... لكنها كانت تملك جانبًا مظلمًا. تخفيه جيدًا، لكنه موجود.»

قلت:

«وما علاقة هذا بك؟»

«كانت تبتزني.»

«ماذا؟»

«بسبب شيء حدث في المدرسة. تواصلت معي مؤخرًا. أرادت مني فعل شيء. وحين رفضت... ربما كانت تبتز آخرين؟»

قلت:

«ما الذي حدث في المدرسة؟»

«لا يهم.»

«يهم. وإلا لما ذكرتِه.»

قالت:

«الزواج لا يعني أنك تعرف كل شيء عن الآخر يا جاك.»

وأبعدت نظرها.

فجأة شهقت.

«يا إلهي...»

قلت:

«ماذا؟»

قالت:

t.me/wadistreambooks

«كنتَ تسأل عن سوار الصداقة الذي كنت أرتديه أمس. ظننت أنني فقدته، أو أن أحدًا أخذه من غرفتي. أقسم أنّني لم أر هذا في سيارتي من قبل.»

انحنيت أنظر عبر الزجاج المحطم.

كان هناك معطّر هواء أصفر على شكل وجه مبتسم، يتأرجح معلّقًا على مرآة السيارة... مربوطًا بسوار صداقة أحمر وأبيض.

t.me/wadistreambooks

-٢٧-

حكايتها

الأربعاء – الساعة الثامنة صباحًا

أراقب فريقًا من الغرباء يبدأون فحص سيارتي، ويجتاحني شعور بالغثيان. سيستغرق الأمر زمنًا طويلًا لأعيد تنظيفها بعد أن ينتهوا. يتقدّم **جاك** نحوي، وفي يده كيس بلاستيكي شفاف يحوي شيئًا لا أستطيع تمييزه تمامًا.

قال:

«لديكِ جهاز لقياس الكحول في الدم داخل صندوق التابلوه؟»

قالها بصوت عالٍ يسمعه الفريق كلّه، فاستداروا جميعًا يحدّقون بي.

قلت:

«ليس جريمة... أليس كذلك؟»

ابتسم.

«لا، فقط... مضحك.»

«سعيدة لأنني أضحكتك. هل يمكنني استعادة هاتفي الآن؟»

حدّق بي طويلًا قبل أن يُدخل يده في جيبه.

«بالتأكيد... لكن إن وصلتك أي اتصالات أو رسائل أخرى، أريد أن تخبريني فورًا. لا غرفة الأخبار اللعينة، مفهوم؟»

أكرهه أكثر ما أكرهه حين يكلمني كما لو كنتُ طفلة. كان يفعل ذلك كثيرًا أثناء علاقتنا، وكأنه يظنّ دائمًا أنه يعرف الأفضل. لم يكن

يعرف حينها... ولا يعرف الآن. لم يتعلم جاك يومًا الفرق بين لحظات صدقي، ولحظات قولي ما يريد سماعه.

ما أريده الآن كأس من الشراب... لكنني أقف بدلًا من ذلك عند طرف موقف السيارات، أراقب وأنتظر. ثم إن كل ما تبقّى لي من كحول كان في حقيبة المبيت. ما أحمله الآن مجرد مجموعة من القوارير الصغيرة الفارغة.

لا أستطيع التوقف عن التفكير في وجه جاك وهو يصف كيف رُبطت أساور الصداقة حول ألسنة الضحيتين. شعرتُ حينها وكأنني أغادر جسدي. تعابيره كانت مختلفة حين تحدث عن **رايتشل**. يظن أنني لا أعرف أنه كان معجبًا بها... خطأ ساذج. الزوجات دائمًا يعرفن.

لم أتحدث مع رايتشل، أو مع هيلين، أو مع زوي، لعدة أيام بعد "حادثة علبة الكوكاكولا". كنت أجلس وحدي في الفصل وفي الغداء، أتجاهل ضحكاتهن التي كانت تبدو كأنها تملأ كل زاوية في المدرسة. كنت أفتقد رايتشل بشدة... لكن لم أستطع مسامحتها على ما فعلته بـ **كاثرين كيلي**. كانت المسكينة أكثر هدوءًا من أي وقت مضى، بعينين حمراوين دائمًا. ذلك، مع شعرها الأبيض المنفوش، جعلها تبدو كأنها حيوان خضع لتجربة قاسية. حتى أنّ البعض بدأ يمزح بأنها تستحق قفصًا.

لاحظت أمي مزاجي السيئ. سرعان ما أدركت أنني عدت آتي إلى البيت مباشرة بعد المدرسة بدلًا من تمضية الوقت مع صديقاتي الجديدات. راحت تُلحّ عليّ أن أدعو رايتشل إلى منزلنا. لم أستطع إخبارها بما حدث—خشيت أن تنظر إليّ نظرة مختلفة—فاكتفيتُ بتقديم الأعذار.

t.me/wadistreambooks

تخيل دهشتي بعد أسبوع، حين عادت أمي من تنظيف بيت رايتشل، وبرفقتها رايتشل نفسها في السيارة. وقفت في الباب، لا أعرف كيف أفكر أو ماذا أقول، بينما أنتظر نزولهما.

قالت رايتشل، وهي تركض عبر الحديقة حاملة حقيبة المبيت: «ظننت أن نقيم سهرة المبيت... أمّانا وافقتا!»

ابتسمت وعانقتني كما لو أنّ حادثة الكوكاكولا لم تحدث قط. كأننا صديقتان مجددًا.

لم أعرف كيف أشعر، كنت مشوَّشة وسعيدة في آن. كأنك تجد شيئًا ثمينًا ظننته ضاع منك إلى الأبد.

بدت غريبة في منزلنا المتواضع. لم تأتِ إلينا من قبل، كنت أنا من أذهب إلى بيتها دائمًا. أمي لم تكن تسمح لأحد بدخول بيتنا منذ تركنا أبي. ورايتشل... لم تبدُ كأنها تنتمي إلى مكان مثل هذا. كانت من نوع الفتيات اللواتي يبدو لهن عالمٌ من اللمعان والكمال. منزلنا كان دافئًا ومريحًا، لكن أثاثه خليط من المستعمل، وستائره وأغطية وسائده من صنع أمي. مكتبتنا كانت مكتظة بكتبٍ من متاجر التوفير، وكل شيء نظيف... لكنه قديم ومتعب. أما رايتشل... فكانت جديدة دائمًا، لامعة دائمًا، مليئة بالحياة. فتاة يولد الضوء معها أينما ذهبت.

لم يكن حديثنا متكلّفًا، فهي ممثلة بارعة. حتى عندما كنت أتراجع عن أداء "دوري"، كانت تمضي بكل بساطة. أمي—التي لم تدرك أبدًا أننا تشاجرنا—أعدت "فطيرة الخضار المنزلية"، من خضار زرعتها بيديها. كانت تفخر بذلك. "الوجبات السريعة ستكون نهاية البشرية" كان من شعاراتها المفضلة. لم أشاركها خوفها من المواد الحافظة. الوجبات الجاهزة كانت متعة نادرة في ظل حرمانها الطويل.

كنت أجد الأمر محرجًا قليلًا—أننا لا نأكل من السوبرماركت مثل "الناس"—لكن رايتشل مدحت الطبق بطريقة جعلت أمي تضيء. مجددًا

أدهشتني قدرتها على سحر الناس. بدا من المستحيل ألا تحبها... مهما كنت تعرف عنها.

قالت أمي وهي ترفع الصحون:

«هل تردن مثلّجات الشوكولاتة مع الصوص السحري الذي يتجمّد؟»

كان لدينا حلوى دائمًا.

«لا شكرًا، السيدة أندروز، أنا ممتلئة.» قالت رايتشل بلطف.

«حسنًا يا حبيبتي. وأنتِ يا آنا؟»

نظرت إليّ رايتشل. قلت "لا" أيضًا. ابتسمت حين غادرت أمي. كانت قد أمضت أسابيع تقنعني بأن أغيّر عادتي الغذائية، وتقول إنني بحاجة للأكل أقل والحركة أكثر لأخسر الوزن. بدأت آخذ الحبوب التي أعطتني إياها **هيلين**، وكان الميزان يقول إنها تعمل. لم أكن أصلًا بدينة. لكن شعور الرضا في عيني رايتشل... كان يكفي. الامتناع عن المثلجات، وابتلاع بعض الحبوب... بدا ثمنًا مناسبًا لرضاها.

لم يكن في بيتنا غرف إضافية. المكان كله مستغلّ. لذلك نامت رايتشل معي... في غرفتي... وفي سريري. غسلنا أسناننا معًا في الحمام، نبصق معًا في اللحظة نفسها، ونتناوب على استخدام المرحاض.

بقيت أمي في الأسفل تشاهد نشرة الأخبار الليلية. كانت قد ادخرت ما يكفي من عمل التنظيف لتشتري تلفازًا جديدًا. أخبرتني مرّة أنني سميت على اسم "آنا فورد"، مذيعة الأخبار... وأظنها كانت جادة.

قالت رايتشل، وهي تبدأ خلع ملابسها:

«الليلة حارة... أليس كذلك؟»

راقبتها وهي تفك أزرار قميصها، ثم تدعه يسقط على الأرض، قبل أن تصل إلى حمالة صدرها وتفكّها. كانت دائمًا ترتدي تلك الملابس الداخلية "الناضجة". أما أنا فشيء آخر تمامًا. لم أشعر قط بالارتياح في جسدي، حتى حين كان—كما أدرك الآن—لا عيب فيه. ربما الحبوب

جعلتني أكثر وسواسًا. لبست بيجامتي بسرعة حتى لا تراني عارية. نصف ملابس فقط كانت قد خُلعت حين طلبت أن تلتقط لي صورة. كانت في وسط الغرفة، لا ترتدي سوى سروالها الداخلي، تمسك كاميرا "فورية".

سألتها:

«لماذا تريدين صورة؟»

«لأنك جميلة... وأريد شيئًا يذكرني بكِ هكذا.»

كان من الغريب أن أشتكي من كشف ساقيّ بينما هي تكاد تكون عارية تمامًا... فسمحت لها بالتقاط الصورة. التقطت عدة صور ثم أعادت الكاميرا. لم تكن تشبهني في شيء من حيث القلق على الجسد. نزعت ما تبقى من ملابسها، وراحت تتجول في غرفتي عارية بالكامل. تقرأ الملصقات، تتفحص الكتب... وضوء النار يرقص على جلدها. بقيت ممددة في السرير أحدّق بها. حتى صعدت في النهاية إلى جانبي، وما تزال عارية، ثم أطفأت الضوء.

بقينا صامتتين في الظلام. أنفاسي كانت سريعة على نحو غريب، وخشيت أن تسمعني وتظنّ بي سوءًا. كلما حاولت ضبط نفسي، ازدادت سرعتي... حتى ظننت أن نوبة ربو ستصيبني. ثم دسّت رايتشل يدها داخل بنطالي... وكدت أنسى كيف أتنفس.

قالت:

«شش...»

ثم قبّلتني على خدي.

لم أتحرك، ولم أقل شيئًا. تركتها تلمس مكانًا لم يسبق أن لمسه أحد. وحين انتهت، مررت أصابعها المبللة على بطني، ولفّت ذراعها حول خصري، وضغطتني كدمية مفضلة... ثم همست شيئًا في أذني ونامت. كان شخيرها الهادئ أغرب تهويدة سمعتها.

لم أنم مطلقًا.

t.me/wadistreambooks

ظللت أتساءل عمّا حدث... ولماذا... وأسمع كلماتها تتردد في رأسي طوال الليل:

«كان لطيفًا... أليس كذلك؟»

t.me/wadistreambooks

-٢٨-

حكايته

الأربعاء – الثامنة صباحًا

لم يكن لطيفًا أن أرى **آنا** بهذا القدر من الانزعاج... لكني حاولت تهدئتها قدر استطاعتي.

اهتزّ هاتف داخل جيب معطفي الداخلي. أعرف أنه ليس هاتفي—فأنا أمسك به الآن—فتقدمت مبتعدًا عن الفريق المجتمع حول سيارة آنا الصغيرة، وأخرجت هاتف **رايتشل**. كنت في حالة إنكار منذ وجدته في صندوق سيارتي الخلفي... لكن الرسالة على الشاشة جعلت الإنكار أصعب:

اشتقتني... يا حبيبي؟

رايتشل ميتة بلا شك، وأنا لا أؤمن بالأشباح. إذن ليس أمامي سوى استنتاج واحد: هناك شخص ما... يعلم شيئًا لا ينبغي أن يعلمه.

أعدت الهاتف إلى جيبي، ونظرت حولي. إن كان من أرسل الرسالة يراقبني الآن، وينتظر رد فعلي... فلن أمنحه شيئًا. مسحت بعيني موقف السيارات، فرأيت آنا في الزاوية البعيدة. كانت بمفردها، تحدّق في هاتفها. ثم رفعت رأسها فجأة نحوي، كأنها شعرت بنظراتي.

قالت پريا، وقد ظهرت فجأة حتى جعلتني أقفز:

«ظننت أنك قد تحتاج هذا يا سيدي.»

t.me/wadistreambooks

كادت أن تثير عصبيتي لولا أنني رأيت ما في يدها: علبة جديدة تمامًا من سجائري المفضلة.

«لماذا لديك هذه؟»

هزّت كتفيها دون جواب.

كانت نظرتها وهي ترفع وجهها نحوي تزيد انزعاجي أكثر من تلقي رسالة من امرأة ميتة. مهما بدا ذلك سخيفًا.

«شكرًا لك.» قلت وأنا آخذ العلبة.

فتحتها فورًا، وضعت سيجارة في فمي، أشعلتها، وسحبت نفسًا طويلًا.

كانت المتعة فورية... ولو أنها اختنقت قليلًا بوجود پريا.

«اسمعي... لطفٌ منك، لكنك لست مضطرة لشراء الأشياء لي أو أن تكوني... لطيفة. الأمر يتعلق بالعمل. القضايا. فقط قومي بعملك... وسنتفاهم جيدًا.»

«على الرحب، يا سيدي.» قالت، وكأنها لم تسمع خطابي. «وأعتقد أن لدي تحديثًا قد يسرّك.»

«تفضلي.»

«لم يُعثر على هاتف رايتشل هوبكنز مطلقًا... لذلك طلبتُ من فريق التقنية تتبّعه.»

سحبتُ نفسًا أقوى مما ينبغي... وبدأت أسعل.

«لا أذكر أنني طلبتُ منكِ ذلك؟»

استمريت في التدخين بيد، وفي اليد الأخرى كنت أتحسس هاتفي أحاول إغلاق هاتف رايتشل دون أن تلاحظ.

«لم تفعل يا سيدي. لكنك طلبت مني إظهار المزيد من المبادرة. الهاتف تلقّى رسالة قبل دقائق... وشخص ما قرأها. هناك أحد بحوزته

t.me/wadistreambooks

هاتف رايتشل... وهو بالقرب من هنا. الفريق يحاول تحديد موقع الإشارة. إن بقي الهاتف يعمل... سيعثرون على مكان قريب جدًا.»

نظرت إلى آنا.

سألتها:

«تظنين أن آنا تملك هاتف رايتشل؟ أنها متورطة؟»

هزت پريا كتفيها:

«الا تظن ذلك؟»

فسّرت صمتي على أنه دعوة للمتابعة. كنت أحاول إخفاء ذعري بينما أضغط ثانية على الهاتف في جيبي.

«نعرف أن أحدًا اتصل بهاتف آنا من هاتف مكتب المدرسة عند الخامسة صباحًا. لكن لا نعرف أين كان هاتفها وقتها. ربما كانت تقف بجانبه وتتصل بنفسها.»

وأخيرًا وجدت الزر وأطفأت الهاتف. ضحكت... وصوتي بدا زائفًا كما شعرت به.

«كدتِ تخدعينني! عمل ممتاز على تتبع الهاتف... ونكتة جيدة عن أن زوجتي السابقة هي القاتلة.»

كنت أعلم أنها لم تكن تمزح.

نظرت إليّ نظرة غريبة، ثم عادت إلى الفريق قرب السيارة. كانت ذيل شعرها يتأرجح مع خطواتها. شخص ما أرسل الرسالة لتوّه... وأنا متأكد أنني مراقَب. بحثت عن آنا... فلم أجدها.

t.me/wadistreambooks

كان مؤسفًا أن أحطم زجاج نافذة سيارة نوعها ميني... لكن كان عليّ فعل ذلك. يمكن إصلاح الزجاج... وستعود السيارة كما كانت. أنا... لن أعود بسهولة. لكن البشر أصعب إصلاحًا بكثير من الأشياء.

نجاح خطتي يعتمد اعتمادًا كاملًا على *الإلهاء*. كان التخريب ضروريًا. ولن يشك أحد بي. هذه السلوكيات لا تشبه الصورة التي يظن الناس أنها "أنا". لكنني لست ما يظنون. مثل الجميع... أنا أكثر بكثير من مجرد مهنتي.

مشاهدة الأحداث وهي تتكشف... والناس وهم ينهارون... كانت لذيذة. أفضل من أي شيء شاهدته على التلفاز. لأنها كانت حقيقية. ولأنني مؤلفها. استمتعت بثمار عملي وأنا أراقب طاقم التمثيل المختار بعناية. ترك ذلك في نفسي مذاقًا حلوًا ومُرًّا معًا.

لطالما كنت بارعة في الاستفادة من الأشياء... ربما لأنني اضطررت لذلك. مثل محوّل *الصوت* المتروك في صندوق المضبوطات في مكتب المدرسة. استخدامه كان بسيطًا وممتعًا... حتى احتفظت به. "قمامة أحدهم كنز لآخر" كما كانت تقول أمي.

أخذت أيضًا كأس المسرح من مكتب المديرة، واستخدمته لتحطيم نافذة السيارة. بدا الأمر مناسبًا نوعا ما. لم يرني أحد؛ كان الموقف خاليًا. وبعد الانتهاء... اجتاحتني نشوة الهروب. شعرت أنني لا أُقهر... وغير مرئية في الوقت نفسه. واحتفظت بالكأس. مهاراتي في التمثيل تستحق جائزة.

قضيت عمري أجرّب "جلودًا" مختلفة... أبحث عن النسخة الأنسب مني. أرمي تلك التي لا تلائم. معظم الناس لا يدركون أن الشخصية يمكن تغييرها... حتى يجد المرء "المقاس الكامل". لم أعرف من أكون وأنا صغيرة... أو كنت أتظاهر بعدم المعرفة. الناس يرون ما يريدون... لا ما هو موجود فعلاً.

أما الحقيبة... فلم آخذها إلا لما أردت أن تبدو عليه الأمور.

كلنا نحاول شراء وقت إضافي... لكنه بلا ثمن. نحصل على ما يُعطى لنا، لا ما نستطيع دفعه. الوقت باب سري نسقط من خلاله دون أن ندرك إلى أي مدى وصلنا.

نقف أمام جمهور من مخاوفنا... الذي يطلب المزيد كلما حاولنا التوقف عن الخوف.

الجدران التي نبنيها... لا فقط لحماية أنفسنا من الآخرين، بل لحبس حقيقتنا في الداخل. وأنا أزيد سماكتها... لبنة انتقام بعد أخرى.

كلٌّ منا يختبئ خلف النسخة التي يسمح للعالم برؤيتها.

t.me/wadistreambooks

-٢٩-

حكايتها

الأربعاء ٠٨:١٥

أستطيع أن أرى ما لا يراه هو.

المحققة الصغيرة الجميلة تبدو وكأنها واقعة في غرام جاك، وبرغم أننا لم نعد زوجين، فإن رؤيتهما معًا ما تزال تجربة غريبة للغاية بالنسبة لي؛ مؤلمة قليلًا، ومربكة. لستُ ساذجة. أعلم تمامًا أنه لا بد أن حياته مضت في اتجاهات عديدة منذ توقفنا عن العيش تحت سقف واحد، لكن أن أرى امرأة أخرى تنظر إليه بذلك الشكل يجعلني — رغم كل شيء — أرغب في نزع عينيها بأظافري. وحين لا يكون أحد منتبهًا، أنسلّ مبتعدة إلى الغابة. أتجه نحو المكان نفسه الذي كنت أهرب إليه مع **رايتشل** أحيانًا بدل حضور الحصص.

كنت أدرك أن الفتاتين الأخريين في شلّتنا الصغيرة — **هيلين وانغ وزوي هاربر** — صارتا تشعران بالغيرة من الوقت الذي بدأتُ أقضيه مع رايتشل. لم تُحسِنَا إخفاء ذلك، ولا كنتُ أبالي. لم يسبق أن قبّلني فتى — ولا فتاة — من قبل، وللمرة الأولى في حياتي شعرتُ أنني جميلة.

بعد بضعة أشهر، بدأتُ أتراجع في دراستي. قضينا ليالي كثيرة في منزل كلٍّ منا، أو نتسوّق — ثيابًا لا تستطيع سوى رايتشل شراءها — أو نختبئ معًا في الغابة خلف المدرسة وقت الحصص. كنت مستعدّة لفعل أي شيء كي أحظى برضاها، خوفًا دائمًا من أن تتوقف عن محبتي. ثم

اكتشفت أمي أنني حصلت على درجة «F» في الإنجليزية لأنني لم أسلّم المقال المطلوب.

كنت دائمًا طالبة من الأوائل. غضبت أمي أكثر مما رأيتها تغضب يومًا، ومنعتني من الخروج أسبوعين. كانت قد وعدتني بحفلة صغيرة لعيد ميلادي السادس عشر — بضعة فتيات في بيتنا — وهذا يعني أنها ستُلغيها. لم أتقبل الخبر بسهولة.

أصرّت رايتشل على أنها قادرة على إصلاح الأمر، وأن **هيلين** ستساعد. في الصباح التالي، قبل الطابور، تقدّمت نحوها بثقة:

قالت رايتشل:

«نحتاج أن تكتبي لنا مقاليْ اللغة الإنجليزية ليوم الإثنين، بالإضافة لمقالك. أنت دائمًا تحصلين على الدرجة النهائية، ونحن بحاجة إليها، وإلا فلن يُسمح لـ **آنا** بإقامة حفلة عيد ميلادها الأسبوع القادم».

وهي تقول ذلك، مرّرت خصلة من شعر هيلين الأسود اللامع خلف أذنها، وشعرتُ بوخزة غيرة غريبة.

أجابت هيلين دون أن ترفع رأسها عن كتاب الرياضيات:

«لا أستطيع. أنا مشغولة».

عقدت رايتشل ذراعيها، وأمالت رأسها بالأسلوب الذي تلجأ إليه كلما لم تحصل على ما تريد، ثم أغلقت كتاب هيلين.

قالت:

«إذًا غيّري خططك».

كررت هيلين:

«قلتُ لا».

كانت قد أصبحت عصبية منذ بدأتُ الدراسة في **سانت هيلاريز**. صارت تقضي وقتًا أطول في الدراسة أو الكتابة لصحيفة المدرسة،

t.me/wadistreambooks

وخسرت الكثير من وزنها. بدا أن حبوب الحمية فعّالة حقًّا، كما أنني بالكاد كنت أراها تأكل.

قالت رايتشل بابتسامة عريضة:

«فكّري بالأمر قليلًا».

ولدهشتي، في صباح الإثنين، سلّمتنا هيلين مقاليْن متقنيْن بوضوح، أفضل مما كنّا سنكتبه بأنفسنا. وكانا مكتوبين بخطين مختلفين، كل منهما يشبه خط إحدانا.

سألتها:

«هل أنتِ واثقة أن هذا مقبول؟»

قالت بهدوء:

«واثقة أنكما ستحصلان على الدرجة التي تستحقانها».

ثم ابتعدت في الممر دون كلمة أخرى.

كنت دائمًا أكتب واجباتي بنفسي، وكان هذا جديدًا عليّ.

سألت رايتشل:

«هل ينبغي أن نراجع المقالين؟»

فاكتفت بالابتسام.

قالت:

«ما الداعي؟ هيلين تعرف جيدًا ما يريده المعلمون. أتوقع أنها ستصبح معلمة حين تكبر. "الآنسة وانغ". أستطيع تخيّلها جالسة على مقعد المديرة في طابور الصباح! ألَا تستطيعين؟»

كان ذلك صحيحًا. كانت هيلين ذكية بشكل استثنائي، لكنّها كانت كاذبة أيضًا.

سلّمنا المقالين للأستاذ **ريتشاردسون** في نهاية حصّة الإنجليزية. كان رجلاً نحيلًا، يضع نظارة، قصير الشعر والصبر. يعرف الجميع أنه يحلم بأن يصبح كاتبًا يومًا، لا معلّمًا. يشتهر بجمع الطبعات الأولى من الكتب،

والقشرة البيضاء على كتفيه، وأعدائه من المراهقات. كانت كل الفتيات يكرهْنه، ويرشِقْنه بالحبر من أقلامهن حين يكتب على اللوح. الطريقة التي نظر بها إلى رايتشل عندما سلّمته مقالها جعلتني أشعر بالاشمئزاز، كأنه كلب عجوز أعرج يحدّق في قطعة لحم في واجهة محل.

عندما رنّ جرس الغداء، اتجه الجميع نحو المطعم، لكن رايتشل سحبتني في الاتجاه الآخر.

قالت:

«تعالي، أحضرتُ لك هدية صغيرة، لكن عليك فتحها على انفراد».

أمسكت بيدي، تشبك أصابعها بأصابعي. كانت الكثير من الفتيات يفعلن ذلك، لكن عندما تفعلها رايتشل كنتُ أشعر أنها تختارني.

قادَتني إلى الحمّامات، وهناك صادفنا **كاثرين كيلي**. كان شعرها الأشقر الطويل فوضى من عُقَد متشابكة، وبشرتها شاحبة أكثر من المعتاد، وذقنها مليء بحبوب حمراء غاضبة. حاجباها كانا شبه خاليين — كانت تنتزع أجزاء من نفسها وترمي بها. استطعت أن أفهم لماذا لم تكن رايتشل تحبّها؛ كانتا نقيضين تمامًا.

قالت رايتشل لكاثرين بحدة:

«قِفي عند الباب، يا قذرة، وتأكدي ألا يدخل أحد. وإن لم تفعلي، فسأجبرك على شيء أسوأ بكثير من شرب البول من علبة كولا».

كانت تلك هي الصفة الوحيدة التي أكرهها في رايتشل — معاملتها لكاثرين — لكني أقنعت نفسي بأنه لا بد أن لديها سببًا وجيهًا، حتى لو لم أعرفه.

سحبتني إلى إحدى الكبائن وأغلقت الباب.

قالت:

«اخلعي قميصك».

«ماذا؟»

كنت أعلم أن كاثرين تستطيع أن تسمع كل شيء.

قالت رايتشل:

«لا تقلقي، صاحبة الأذنين الكبيرتين لن تجرؤ على الاستماع إذا طلبتُ منها ذلك. هيا، اخلعيه».

«لماذا؟»

«لأنني قلت لكِ».

سبق أن عبثنا سويًا في غرف النوم وفي الغابة، لكن كان الظلام يغطي كل شيء. رأيت رايتشل عارية مرات لا تحصى، ومع ذلك كنت ما أزال خجولة من أن تراني بالكامل. وحين لم أتحرك، ابتسمت وبدأت تفك أزرار قميصي بنفسها، وتركتها، كما تركتُها تفعل كل ما تريد — حتى لو آلمني.

بمجرد أن سقط قميصي، مدّت يدها خلف ظهري وفكّت حمّالي. حاولت تغطية صدري، لكنها أبعدت أصابعي، وأخرجت من حقيبتها حمّالة صدر سوداء دانتيل. لم ألبس شيئًا كهذا من قبل — كانت أمي تشتري كل ملابسي الداخلية: قطنية، بيضاء، من «ماركس آند سبنسر». أما هذه، فكانت شيئًا ترتديه امرأة.

قالت رايتشل وهي تساعدني على ارتدائها:

«إنه من نوع وندر برا! لم أعد أرتدي غيره. ستعجبك».

ثم — لرعبي — التقطت صورة لصدري بالكاميرا ذات الاستخدام الواحد، قبل أن تفتح الباب وتدفعني للخارج. كانت كاثرين تحدّق في الأرض، بينما نظرتُ إلى نفسي في المرآة. كأنما أنظر إلى شخص آخر.

قالت رايتشل:

«انظري كم أصبحت أكبر!»

ثم قطّبت حاجبيها.

سألتها:

«ماذا؟»

قالت:

«شفاهك متشققة. هذا غير جيّد».

أخرجت من حقيبتها علبة صغيرة من مرطّب الشفاه بنكهة الفراولة، ودلّكت شفتيّ بطرف إصبعها.

سألت:

«هل تحسنت؟»

فأومأت.

قالت:

«دعيني أرى». ثم قبّلتني.

كانت تقف بظهرها لكاثرين، لكني كنت أراها. ولم يَخفَ عني الطريقة التي كانت تحدّق بها نحونا طوال الوقت الذي انطبقت فيه شفتا رايتشل على شفتيّ. وقفت ثابتة مثل تمثال بينما دفعتْ لسانها في فمي، وصوت المراقِبة يحوم حولي.

قالت رايتشل:

«لا تهتمي بها. لن تخبر أحدًا، أليس كذلك، يا قذرة؟»

هزّت كاثرين رأسها، وحين قبّلتني رايتشل مرة أخرى، أغمضتُ عينيّ وأعدتُ لها القبلة.

-٣٠-

حكايته

الأربعاء ٠٨:٤٥

قلت بمجرد أن وجدتها في الغابة:

«عليكِ أن تعودي».

لم يكن الأمر صعبًا. ثمة مكان عند قاع الوادي، قريب من المدرسة، كانت الفتيات «المشاغبات» يتسللن إليه بعد الحصص، وأحيانًا خلالها. كان مكانًا للتدخين والشرب وأشياء أخرى. كل شلة من «الفتيان الكوول» يظن المكان سرًا خاصًا به، لكن الجميع يعرفه —— حتى أمثالي —— وينتقل وصفه من جيل لآخر. فسحة صغيرة وسط الأشجار، فيها ثلاثة جذوع ضخمة كوّنت مقاعد مثلثية حولها. آثار نار حديثة ما تزال في المنتصف.

نظرت إليّ **آنا** وكأنها رأت شبحًا.

سألت:

«كيف عرفتُ أنني هنا؟»

قلت:

«أذكر أنك حدثتِني عن هذا المكان».

«هل فعلتُ؟»

لم تفعل.

t.me/wadistreambooks

قلت:

«كيف كنت سأعرف إذن؟»

بدت مرتبكة. ملامح وجهها تحمل تعبيرًا مستعملًا، كأنها ورثته عن أمها. كدت أشعر بالذنب لأنني لم أعترف بأن **رايتشل** — لا آنا — هي من أخبرتني بالمكان.

قلت لها:

«تشبهينها قليلًا، تعلمين؟»

«من؟»

«أمكِ».

«شكرًا».

استطعت أن أرى المقارنة تتشكل في رأسها بينها وبين المرأة المنسية في الكوخ أعلى التل، لكنني لم أقصد ذلك. الجميع في القرية يتذكر كم كانت والدة آنا جميلة قبل عشرين عامًا. كنت أراها مثل «أودري هيبورن» بنسخة الضواحي. أظنني كنت معجبًا بحماتي المستقبلية حين كنت مراهقًا. شعرها الرمادي الجامح كان طويلًا لامعًا، وكانت أنيقة رغم عملها في التنظيف. الحياة سرقت جمالها. مضحك كيف يكون العمر رحيمًا ببعض الناس وقاسيًا مع آخرين.

قلت:

«أقصد حين كانت شابة. إنها مجاملة».

لكن آنا لم تُجِب.

سألتها:

«هل أنتِ بخير؟»

مع أن السؤال غبي.

هزّت رأسها:

«لم أعد أعرف».

كان موضوع والدتها دائمًا حساسًا، وكان عليّ أن أعرف أفضل.

قلت:

«أنا آسف لأنكِ تظنين أنني تدخلتُ في شؤونها. أنتِ على حق، كان يجب أن أخبرك أنها تتدهور. حاولتُ... وكل ما أردته هو المساعدة».

قالت:

«أعلم. لكنّها لم تكن تريد مغادرة ذلك البيت. أشعر أنني خذلتها——»

اقتربتُ منها خطوة.

قلت:

«لم تخذلي أحدًا. أفهم لماذا ابتعدتِ، وما يفعله بكِ وجودك هنا. ربما ينبغي أن تعودي إلى لندن؟»

تبدّل جسدها فجأة، كأن الكلمات صفعتها.

«تحب ذلك، أليس كذلك يا جاك؟»

قلت:

«ماذا تعنين؟»

«كم عمر المحققة باتيل؟ سبعة وعشرون؟ ثمانية وعشرون؟»

لم أرَ آنا تغار من قبل.

قلت:

«إنها في الثلاثينيات» —— رأيت سجلّها بنفسي —— «وهي ممتازة في عملها، وليست من نوعي».

سألت:

«وما نوعك الآن بعد أن لم أعد أنا؟»

لم أعرف إن كان علي أن أضحك أو أقبّلها، وكلاهما بدا غير مناسب.

قلت:

«ستظلين دائمًا من نوعي».

وحاولت إخفاء الابتسامة.

قالت:

«سأتذكر ذلك إن احتجتَ يومًا إلى متبرعة دم».

ضحكت. نسيت أن زوجتي — طليقتي — يمكن أن تكون مضحكة.

انقضَّ غراب عقعق على الممر خلفنا، ورفعت آنا يدها بالتحية — خرافة تعلمتها من أمها.

قلت:

«هيا، سيكون كل شيء على ما يرام»، ومددت يدي.

فوجئت حين أمسكت بها. كنت أحب دائمًا كيف تتلاءم أصابعها بين أصابعي. وجدت نفسي أجذبها نحوي دون قصد، وسمحت لي. كان العناق صدئًا، كعناق شخص لم يمارسه منذ زمن. بدأت آنا تبكي، وعدتُ — دفعة واحدة — إلى تلك الليلة في بيت والدتها، حين اكتشفنا موت ابنتنا. وخيِّل لي أن الذكرى باغتتها هي الأخرى، لأنها ابتعدت عني.

أخرجت منديلاً نظيفًا من جيبي، ومسحت به دموعها وآثار الماسكارا.

قلت:

«سيتساءل الناس أين اختفينا».

قالت:

«آسفة، كنت بحاجة إلى لحظة وحدي».

قلت:

«أعرف. وأنا كذلك. لا بأس».

t.me/wadistreambooks

وعندما عدنا نسير نحو موقف السيارات، وقع بصري على العقعق الذي هبط قبل قليل. لم يهرب، ولم يبدُ مشتتًا لحظة. وحين اقتربنا، رأيت ما كان يفعله. كان العقعق الحي ينقر لحم عقعق ميت. وبرغم مهنتي، انقبضت معدتي. رأته آنا أيضًا، ولم أستطع منع نفسي من التفكير: هل سيُعَدّ هذا —— في عرفها الخرافي —— «اثنين للفرح[٤]»؟

[٤] مثل أمريكي شهير نصه الكامل **"One for sorrow, two for joy"** – شخص واحد للحزن أما اثنين للفرح

-٣١-

حكايتها

الأربعاء – التاسعة صباحاً

لا أستطيع طرد تلك الصورة من رأسي... العقعق الذي كان يأكل الآخر. ولا أكفّ عن التفكير في كلام جاك حين قال إنني أشبه أمي. لا أرى هذا الشبه بنفسي، وحتى لو كنتُ أشبهها، فنحن لسنا واحداً. قد تكون مقولة *«التفاحة لا تسقط بعيداً عن الشجرة»* صحيحة، لكن التفاحة أحياناً تتدحرج على منحدر بعيد... بعيد جداً عمّا كانت عليه.

وجودي في هذا الركن من الغابة يجعلني أفكّر دائماً في **رايتشل**. لم أظن أن شيئاً قادراً على إفساد تلك السعادة التي كانت تتوهّج داخلي، بعد أن قبَّلتني في حمّامات المدرسة. كانت شمبانيا الصديقات، وكنتُ واثقة أنني لن أجد صداقة تماثلها أبداً. ظللنا نبتسم طوال اليوم، إلى أن طلب الأستاذ **ريتشاردسون** – معلّم الإنجليزية المقزّز – أن يرانا معاً في مكتبه. سُحبنا من حصة الرياضة وذهبنا إليه بملابس الهوكي فقط.

كنتُ الأولى التي استُدعيت. جلستُ على حافة الكرسي المقابل لمكتبه، وحين أخبرني أنهم ضبطوني أغشّ، وأنه سيضطر لكتابة تقرير إلى أمي، بكيت. أخاف أن دموعي فضحت ذنبي قبل أن تتاح لكلماتي أي فرصة للدفاع عني.

قال إن رايتشل وأنا سلّمنا البحث نفسه حرفياً، وأن إحدى الاثنتين نسخت عمل الأخرى، وإلا سيعاقبنا كلتينا. كانت يده اليمنى مخفية تحت

المكتب، كأنه يحكّ شيئاً ما، وابتسامته الملتوية دلّت على أنه يستمتع برؤية دموعي. ومع ذلك لم أستطع التوقّف، ففكرة أن أمي ستكتشف ما فعلت كانت تمزّقني.

أخيراً قال إن بوسعي الانصراف، وطلب مني أن أرسل إليه رايتشل. كانت تعرف من وجهي المبلل بالدموع أن الأمر خطير. همستُ في أذنها ونحن نمرّ ببعضنا، رغبة مني في تحذيرها على الأقل:

"هيلين خدعتنا. كتبت البحث نفسه مرتين."

لدهشتي، بقيت رايتشل هادئة كعادتها.

همست لي:

"لا تقلقي... أعدك أن كل شيء سيكون بخير. اذهبي لانتظاري في مكاننا السري، وسآتي إليك."

كانت الغابة مظلمة وباردة، وملابس الهوكي لا تمنح أي دفء. الجوارب الطويلة لا تفعل شيئاً تقريباً. بدت نصيحتها بعدم القلق مثيرة للسخرية، خاصة حين أشعر أن العالم ينهار فوق رأسي. لكنها كانت معتادة على الحصول على ما تريد مهما كانت الظروف. وبعد عشر دقائق ظهرت في الفراغ الصغير بين الأشجار بابتسامة عريضة.

"ما عندكِ حلوي نعناع أو علكة؟"

هززت رأسي بالنفي.

"لا بأس، سأحصل على بعضٍ لاحقاً. ويبدو أنني أحتاج إلى تفريش أسناني أيضاً."

"لماذا؟"

قالت: "لا تهتمّي"، ثم عانقتني. "الأمور صارت بخير من جديد. سنحصل على درجة A في البحث، رغم أننا لم نكتبه، ولن يعرف أهلنا شيئاً. وبما أنك حصلت على A، أتمنى أن تسمح لك أمك بإقامة حفلة عيد ميلاد الأسبوع القادم."

حاولت أن أبتعد قليلاً لأرى وجهها، لكنها شدّتني أكثر.

قلت:

"لا أفهم. كيف جعلتِ الأستاذ ريتشاردسون يغيّر رأيه؟"

همست:

"لا يهمّ." ثم مدّت يدها تحت تنورتي القصيرة.

دفعت ملابسي الداخلية جانباً، وواصلت احتضاني بيدها الأخرى. وحين بدأت ركبتاي ترتجفان، تركتني أتمدّد على الأرض، و— كعادتي — تركتُها تفعل ما تشاء.

بعد أن انتهت سألتني: "هل تشعرين بتحسن؟"

ثم نهضت قبل أن أجيب، نظّفت يديها وركبتيها من التراب، وساعدتني على النهوض.

"عليّ التحدث مع **هيلين** قبل أن تغادر اليوم. يجب أن نعود إلى غرفة تبديل الملابس. لديك علكة في حقيبتك؟"

***

"هل تريدين واحدة؟" يقول **جاك** وهو يعرض عليّ سيجارة.

انتشلني صوته بجفاء من ذكرى يومٍ أغضبت فيه **هيلين وانغ** رايتشل هوپكنز ونجت بأعجوبة. مجرّد استحضار ما كنّا نفعله يجعل وجنتيّ تحمران.

قلت: "سأتركها... كما تعرف، التدخين ليس إدماني المفضل."

لم نتحدث يوماً عن مشكلتي مع الشراب. كان جاك يفهم لماذا بدأت، ولماذا لا أستطيع التوقف؛ فلكلٍّ عكازه. النظرة الجديدة في وجهه تبدو كأنها شفقة. لا أريدها، فأردّها إليه.

قلت:

"آسفة أنّ هذا الكابوس يحدث أمام بيتك. لستَ من توقّع هذا عندما... هربتَ للريف."

t.me/wadistreambooks

"لم أهرب... لقد دُفعتُ خارجاً."

هذا طريق لا يريد أيٌّ منا أن يسلكه من جديد، فغيّرتُ الموضوع.

"أظنني لن أستطيع استخدام سيارتي قريباً، أليس كذلك؟"

"للأسف لا. هل تحتاجين توصيلة؟"

"لا، لا بأس. أرسلت رسالة لـ **ريتشارد**."

هزّ رأسه:

"بعد كل ما أخبرتكِ عنه؟"

"مهما فعل سابقاً... لا بد أن له أسبابه."

قال:

"ربما أنا قديم الطراز، لكن الإدانة بجريمة إحداث أذى جسيم مسألة لا يمكن تجاهلها. قلتِ إنكِ شعرتِ بوجود أحد في غرفتكِ الليلة الماضية، أليس كان هو أيضاً يقيم في فندق ذا وايت هارت؟"

"تعرف أنه كان هناك. لا يوجد سوى فندق واحد في هذه البلدة... لكنه لم يكن هو."

"ما الذي جعلكِ تظنين أن هناك أحداً أصلاً؟"

ترددت قليلاً، غير متأكدة مما يجب أن أقوله.

"ستظنّ أنني مجنونة..."

قال مبتسماً:

"أنا بالفعل أعرف أنكِ مجنونة. كنا متزوجين عشر سنوات، تذكّري؟"

ابتسمنا معاً، وقررت أن أمنحه ثقتي، كما كنت أفعل قديماً.

"كان لديّ صورة قديمة لي مع بعض البنات من المدرسة. وجدتها عند أمي، ونظرت إليها في غرفتي بالفندق أمس... بعد ما حدث لـ **رايتشل**."

حدّق في وجهي ينتظر المزيد.

"وماذا؟"

t.me/wadistreambooks

هززت رأسي بقلق:

"كانت صورة جماعية..."

"حسناً؟"

"تركت الغرفة دقائق قليلة، وحين عدت وجدتُ صليباً أسود مرسوماً فوق وجه رايتشل."

قطّب حاجبيه وصمت طويلاً.

قال: "هل يمكنني رؤيتها؟"

"لا. كانت في حقيبتي... الحقيبة التي سُرقت من السيارة."

"من أيضاً كان في الصورة؟"

هنا ترددت أكثر... أخاف أن يظن أنني كنتُ سكرى، أو أنني فعلتُ ذلك بنفسي ثم أضعت الصورة. احتمالٌ خطر ببالي فعلاً. اقترب خطوة... خطوة أكثر مما ينبغي.

"آنا، إن كانت نساء أخريات ربما في خطر، يجب أن أعرف."

"إنها مجرد صورة عمرها عشرون سنة... ربما لا تعني شيئاً. لكن... فيها أنا، ورايتشل هوپكنز، وهيلين وانغ، وفتاة لن تتذكرها، و..."

"ومن أيضاً؟"

تنفست بعمق:

"أختك."

t.me/wadistreambooks

-٣٢-

حكايته

الأربعاء – التاسعة والنصف صباحاً

اتصلتُ بـ **زوي** فور مغادرة آنا. شاهدتُ طليقتي وهي تُنقل في سيارة المصوّر، وشعرت بقلق لا أعرف تفسيره. بدت أكثر هشاشة مما كانت منذ زمن. أنسى أحياناً حقيقتها خلف تلك القشرة القاسية التي تظهر بها أمام العالم.

بدت زوي مسرورة بقلق أخيها الأكبر المفاجئ على سلامتها. لم أشرح لها السبب، ولا ذكرت الصورة. اكتفيت بالإنصات لصوتها المألوف وهي تؤكد للمرة الثالثة أنها بخير، وأن المنزل مؤمّن تماماً. طلبتُ منها تشغيل جهاز الإنذار القديم – نحن وحدنا نعرف رمزه – ثم حاولت العودة إلى عملي.

كنت دائماً أخشى أن ماضي زوي قد يلاحقها يوماً. اختلطت بالرفاق الخطأ لفترة حين كنا صغاراً... وأنا أيضاً.

كان صباحاً مملاً وطويلاً آخر: زيارة ثانية للطبيب الشرعي، تقارير جديدة يجب أن أكتبها، اجتماعات متعبة مع فريق قليل الخبرة، أسئلة بلا إجابات، وأخرى عليّ الإجابة عنها. ثم الجزء الأسوأ من عملي: إبلاغ أحد الوالدين بأن طفله قد مات. العمر لا يخفف وقع هذا الخبر مطلقاً. فكل شخص هو طفلٌ في عين أحدهم مهما بلغ سنّه.

سألتني والدة **هيلين وانغ**، بصوت مرتجف:

"من فعل هذا؟"

كأنها تظن أنني أعرف.

جلست في غرفة معيشتها، لم أشرب الشاي الذي أصرت على إعداده، ولم ألمس علبة البسكويت المفتوحة. كانت تشبه ابنتها: شعر رمادي بقَصة كليوباترا، وملابس أنيقة أصغر من عمرها. تعيش وحدها منذ وفاة السيد وانغ، في منزل مرتب لكنه بلا ملامح. بدأت تبكي فور وصولنا، وكانت قد شعرت في داخلها بأن شيئاً فظيعاً وقع.

وفّرت عليها أغلب التفاصيل عن كيفية العثور على ابنتها في المدرسة، لكن الصحافة لن توفرها. ستعرف لاحقاً بشأن المخدرات أيضاً. أستطيع تخيّل العناوين: *مديرةٌ مدمنة*.

عادة أترك للمحققين الصغار مهمة إبلاغ أهل الضحايا، كما فعلتُ حين كنت في بداية مسيرتي. لكنني فوّتُ معلومة مهمة بخصوص زوج رايتشل حين أرسلت **بريا** سابقاً... ولن أكرر الخطأ.

طُلب مني أن أقدم بياناً إعلامياً جديداً. إعداد ذلك استهلك جزءاً كبيراً من وقتي. قررت أن يكون أمام مقر شرطة بلدة ساري، حتى أبعد الصحفيين عن المدرسة. رأيت آنا بين الحشود، لكنها لم تطرح سؤالاً واحداً. وعندما عدت إلى المكتب كان التلفاز مفتوحاً – لمشاهدة البث على قناة BBC – فرأيت زوجتي السابقة على الشاشة. بدا كأنها تنظر إلي مباشرة.

لم أعرف ماذا أقول عندما دعتني بريا لتناول شراب بعد الدوام.

قلت: "لا أظن المكان مناسباً... هنا يتنصّت الجميع."

قالت:

"فكرتُ في ذلك يا سيدي... ممكن في منزلي، سيكون الأمر أكثر خصوصية."

لم أعرف أيّ ملامح ارتسمت على وجهي، لكن ردّ فعلها أكد لي أنها لم تكن جيدة. قالت قبل أن أجيب:

"لم أدعُك لأجلك... مع أنك تبدو بحاجة إلى شراب... بل لأجلي أنا. هذا كله جديد عليّ، ولا أعرف أحداً هنا. أعيش وحدي، ولا أحد لأحادثه عندما أعود إلى البيت. لم أرغب فقط في دخول المنزل وحيدة بعد رؤيتي امرأتين مقتولتين بوحشية."

نظرت إلى أظافرها القصيرة، ربما لتشغل نفسها عن القلق. النساء يربكنني كل يوم. ومع ذلك شعرتُ بقليل من الذنب. بريا وحدها في بلدة لا ترحب بالغرباء. وأنا أيضاً لا أحد ينتظرني في البيت.

فكّرت قليلاً، ثم اخترت أن مساعدتها أولويّتي. رغم الصوت الذي يخبرني أن عليّ تفقد زوي... لكن صوتاً أعلى يقول إنها تعرف كيف تحمي نفسها. ثم إننا، حين نكون معاً، لا نفعل سوى الشجار على المال أو جهاز التحكم. كل ما يتغير هو ما نتشاجر عليه. أظنها ستفضّل أن تبقى وحدها. الذهاب إلى پريا ليس إلا شراباً مع زميلة... أمر عادي وبريء... وصحيح.

بعد ساعة وعلبتَي بيرة، كانت پريا تطهو برغر منزلياً وبطاطا حلوة. منزلها يقع في طرف البلدة. بناء حديث، من تلك البيوت المتماثلة المتلاصقة، لكنه جميل. مستأجر، مجهز بأثاث أنيق، مطلي بألوان حيادية. كل شيء نظيف ومضبوط، دون أي فوضى أو صور عائلية. توقعت شيئاً آخر تماماً... ربما أثاثاً بسيطاً، لكنه لم يكن كذلك.

الشيء الوحيد غير المتناسق كان سترتي الرثّة حين علّقتها على علاقة المعاطف، وحذائي — نزعتُه عند المدخل — وأخشى أنها لاحظت أنه مقاس عشرة.

قالت وهي تناولي بيرة:

"خرجت لأشتري شيئاً نسيته. تصرّف على راحتك، سأعود حالاً."

جملة "حالاً" لا تعني وقتاً محدداً، لكنها غابت أكثر من نصف ساعة. ولم تعد بشيء. لكنني تعلمت من أمي وزوي وآنا أن المرأة لا ترغب غالباً في أن تُسأل. كان الوقت متأخراً والتعب يغمرنا، فتجاهلت فضولي.

وضعت الطعام أمامي. بدا لذيذاً حقاً. قلت:

"لم أتوقع هذا."

ابتسمت ساخرة:

"أتوقّعتُ أنني سأطبخ كاري؟"

"لا، أقصد أنّ..."

"ماذا؟ لم تظن أنني أجيد الطبخ؟"

أدركت من ابتسامتها أنها تمزح، وإن كانت لا تفهم السخرية دائماً. يبدو أن البيرة جعلتنا أكثر ارتياحاً. جلست بجانبي... ربما قريباً أكثر مما ينبغي.

قالت:

"الوصفة لنجيلا."

قلت مبتسماً:

"وأنا أرى أن نجيلا مميزة جداً."

ابتسمت ابتسامة صغيرة... ربما ضايقها شيء.

ظلت النساء سرا غامضاً بالنسبة لي. شعرت أنني قلت شيئاً خاطئاً مرة أخرى. ربما لا يحبّ أحد الاعتراف بأنه منجذب لشخص مشهور.

بدت **پريا** أكثر نضجاً في منزلها. مريحة، واثقة من نفسها، بعكس توترها في العمل. ربما لهذا أرتاح بصحبتها اليوم... وربما أكثر من اللازم.

سألتها في النهاية:

"إلى أين ذهبتِ قبل قليل؟"

اتسعت عيناها وكأنني اتهمتها.

t.me/wadistreambooks

همست:

"أنا آسفة..."

"على ماذا؟"

"نسيت... ثم تذكرت... ثم نسيت مجدداً."

وقفت وتركت طعامها ثم عادت تحمل زجاجة كاتشب.

قالت بارتباك:

"أعرف كم تحب أن تغمر بطاطسك به... ولم يكن عندي. خرجت لأجلب لك بعضاً... أردتُ أن تستمتع بالوجبة... ثم نسيت..."

بدت على وشك البكاء. استنتجت أن النساء في الحقيقة كائنات من كوكب آخر.

قلت بلطف:

"بريا... الطعام لذيذ. لم يكن عليك فعل هذا."

قالت بصوت خافت:

"أردتُ أن يكون كل شيء مثالياً."

ابتسمت:

"هو بالفعل كذلك."

بدأ التوتر يتلاشى. أحضرت بيرة أخرى، دون أن تسأل. ربما مجرد حسن ضيافة... أو ربما شيء آخر. شعرها مفرود الآن، فتحة قميصها مفتوحة أكثر، وأشمّ رائحة عطر جديد. خرجتُ عن حيادي وقلت لنفسي إن علي أخذ زمام المبادرة.

قلت:

"بريا، هذا كله رائع... لكن لا أريد أن تسيئي الفهم."

ارتبكت:

"هل فعلتُ شيئاً خطأ، سيدي؟"

t.me/wadistreambooks

"لا. ولا داعي لأن تناديني سيدي خارج العمل. كان يفترض بي إحضار شيء... هذا وقح مني."

قالت بهدوء:

"لا بأس يا... جاك."

سماع اسمي منها بدا غريباً. أدركت أنني شربت أكثر من اللازم. يجب أن أضع حدوداً الآن.

قلت:

"أنا... أحب العمل معكِ كثيراً." تهلّل وجهها، فأغمضت عيني لحظة. "لكن..."

تعثرت كلماتي. نظرتُ إلى الأرض كي أتمكن من مواصلة الكلام.

"نحن نعمل معاً. أنا أكبر منك كثيراً. ومع أنكِ امرأة رائعة وجذابة جداً..."

يا إلهي، هذه الجملة يمكن أن تعتبر تحرشاً لفظياً.

"... فإنني لا أراكِ بتلك الطريقة."

ابتسمت بانكسار:

"تظنني قبيحة إذن؟"

"لا! هل هذا ما قلتُه؟"

ابتسمت. لم أفهم شيئاً.

قالت:

"لا تقلق، سيدي. أنا آسفة إن أعطيتك انطباعاً خاطئاً. كنت أطهو لك في العمل لأنني أحب الطبخ للآخرين... وأشتري لك السجائر لأنني ظننتك تحتاجها... وأصغي إليك لأنك رائع في عملك وأريد أن أتعلم منك... هذا كل شيء."

لم أفهم شيئاً... النساء دائماً يفعلن ذلك بي. ربما كان في وجهها مسحة شفقة. شعرت بأنني رجل مسنّ أحمق. ربما أنا كذلك.

نهضت، وانتبهتُ لقدميها الصغيرتين الجميلتين، وبشرتها السمراء الناعمة وأظافرها الحمراء. أحضرت كأسين وزجاجة ويسكي — النوع ذاته الذي كنت أشربه مع آنا.

جلست أقرب من السابق.

وقالت:

"أقترح نخباً: لنشرب لصداقتنا المهنية البحتة... علاقة محترمة وأفلاطونية تماماً. في صحتك."

قلت:

"في صحتك."

وشربنا.

ثم... قبّلتُها.

t.me/wadistreambooks

-٣٣-

حكايتها

الأربعاء ٢١:٠٠

يا للمصيبة... أحتاج إلى شراب. لا أذكر آخر مرة قضيت فيها كل هذا الوقت بلا قطرة واحدة.

بعد يوم بثٍّ لا ينتهي — مداخلات لا حصر لها خارج المدرسة، ثم أمام مركز الشرطة، إلى جانب التصوير والتجهيز لقنوات مختلفة — لم أعد أريد سوى سريري. أتصل لأعرف في أي وقت يريدوننا على الهواء في نشرات الصباح الباكر، ثم أدوّن الطلبات بقلم فلوماستر أسود وجدته في حقيبتي. لا أتذكر من أين حصلت عليه، لكنه أثبت فائدته أكثر من مرة اليوم.

أنا باردة، وقدماي تؤلمانني من الوقوف الطويل. يبدو أنني اعتدت كثيرًا على تقديم نشرة الظهيرة، جالسة خلف مكتب في استوديو دافئ. لا أفهم أين ذهب اليوم — ساعة تنقلب على أخرى، كأنها سلسلة من الإعادات الصغيرة المخيطة معًا. بعض الأيام تبدو كعجلة فأر، لا يمكن أن نترجل عنها إلا إذا عرفنا متى نتوقف عن الركض.

الزمن تغيّر أيضًا، وصار شيئًا لا يمكنني قياسه. بدأ ذلك في الليلة التي ماتت فيها ابنتي. ما إن غادرت *شارلوت* — كانت نائمة في سريرها الصغير بمنزل والدتي — حتى شعرت بأنني مفصولة عنها منذ ساعات، لا دقائق. لم أرد تركها هناك أبدًا، لكن *جاك* أصرّ أن نخرج للاحتفال بعيد

ميلادي. لم يفهم أنه بعد ما حدث في يوم عيد ميلادي السادس عشر، صار الاحتفال بعيد ميلاد شيئًا لم أرد فعله مجددًا.

ظل يلحّ عليّ بالخروج من البيت، وهو ما لم أعد أفعله كثيرًا منذ ولادة شارلوت. لا تأتي الأمومة بكتاب إرشادات، وكانت صدمة حقيقية عندما عدنا بطفلتنا من المستشفى. قرأت كل الكتب التي يجب أن تُقرأ، وحضرت الدروس، لكن حمل مسؤولية إنسان آخر كان عبئًا ثقيلًا لم أكن مستعدة له. الشخص الذي ظننت أنني إياه اختفى في ليلة، وحلّت محله امرأة لا أعرفها: لا تنام، لا تنظر في المرآة، تقلق على طفلتها دون توقف. صارت حياتي كلها حياتها. كنت خائفة من أن يحدث لها مكروه إذا تركتها وحدها، ولو لدقيقة. وكنت محقة.

منذ موتها، الزمن يتمدد ويتقلص بطرق لا أفهمها. أشعر وكأن لديّ منه أقل، وكأن العالم يدور بسرعة مبالغ فيها، والأيام تنهار فوق بعضها في ضباب مرهق. لم أكن أمًا بالفطرة، لكنني حاولت أن أكون أفضل ما أستطيع. حاولت حقًا. قالت أمي إن الشهور الأولى دائمًا الأصعب... لكنها كانت كل ما حظيت به.

القلوب المكسورة... عبارة يكررها الناس حتى فقدت معناها. لكن قلبي، في اللحظة التي فقدت فيها ابنتي، بدا وكأنه تحطّم فعلًا إلى ألف شظية، ومنذ ذلك الحين لم أعد أشعر أو أكترث بأي شيء. لم يُكسَر قلبي فقط، بل انكسرتُ أنا معه، ولم أعد الشخص نفسه. أصبحتُ شخصًا آخر. شخصًا لا يعرف كيف يشعر، ولا كيف يبادل المودة. استعارة الحب أسهل بكثير من سداده.

اضطر *ريتشارد* لإيصالي طوال اليوم، لأن الشرطة لا تزال تحتفظ بسيارتي. ورغم أنّه من الطبيعي أن يمضي المراسل والمصور الكثير من الوقت معًا، إلا أنني لم أحب ذلك. ثمة شيء غريب بيننا. شيء غير مريح. لا أعرف إن كان سببه ما أخبرني به جاك عن سجله الجنائي، أم شيء آخر.

حظيت ببعض الوقت الحر بعد الظهيرة، عندما أصرّ الفنيون على الحصول على استراحة طعام *لائقة* أخرى — وتحدثوا عن النقابة ما إن رفعت حاجبي — لكن الحقيقة أنني لم أمانع تفويت مداخلة. لم تحدث تطورات جديدة في القصة منذ صباح اليوم. وكان بمقدور القناة الإخبارية إعادة بثّ مداخلتي من الساعة الماضية، مانحةً إياي ما يقارب الساعتين لنفسي.

سررت سرًا عندما انطلق الفريق للبحث عن طعام. كنا نقف في الغابة منذ ساعات، وكنت أحتاج وقتًا بمفردي. قلت لهم إنني أريد المشي. عرض ريتشارد أن يرافقني، لكنني لم أرد أن أكون وحدي معه في ركن منعزل من الغابة... ولا في أي مكان آخر. أخيرًا فهم وألحق نفسه بهم.

بمجرد رحيلهم، سلكت ممرًا مألوفًا بين الأشجار نحو الشارع الرئيسي. كل الطرق والمسارات في *بلاكداون* تتفرع من هناك، كعروق ورقة ملتوية، والشارع الرئيسي هو الساق. تبدو البلدة كلها وكأنها تعيش تحت مظلة من أوراق الشجر والأكاذيب غير المنطوقة؛ كأن أشجار السنديان والصنوبر التي تحيط بالغابة تشق طريقها خارج حدودها ليلًا، تزحف نحو البيوت، وتضرب جذورها أمام كل منزل لترقب ساكنيه.

وجدت نفسي واقفة خلف البيت الذي يعيش فيه جاك الآن مع *زوي*. لم أحب شقيقة زوجي يومًا، ولم يعرف زوجي السبب الحقيقي. فهو لا يعرفها كما أعرفها. العائلات ترسم صورها بألوان لا يستطيع الآخرون رؤيتها. زوي كانت مظلمة وخطيرة في مراهقتها، وأغلب الظن أنها ما زالت كذلك. وُلدت والفتيل منزوع.

عندما التقيت بجاك مجددًا كبالغين في لندن، كنت مراسلة مبتدئة، أحاول الحصول على مساحة بث حول جريمة قتل كان يحقق فيها. لم أتذكره في البداية، لكنه عرفني فورًا. وهدد بتقديم شكوى رسمية لهيئة الإذاعة البريطانية إن لم أوافق على مشاركته شرابًا. لم أعرف هل أعتبر

t.me/wadistreambooks

ذلك إطراءً أم إهانة. كنت أراه جذابًا — وكذلك معظم المراسلات — لكن الرجال كانوا في المرتبة الثانية بعد عملي.

في النهاية وافقت على موعد واحد — على أمل أن أحصل على معلومة داخلية — لكنني استيقظت في الصباح مع صداع فظيع... ومحقق في سريري. ومع معرفتي بمن تكون شقيقته وما هي قادرة عليه، كدت أترك الأمر. لكن الليلة الواحدة قادت إلى موعد آخر، ثم عطلة نهاية أسبوع في باريس. أنسى أحيانًا أن جاك كان يومًا عفويًا ورومانسيًا. الوجود معه جعلني سعيدة، وحبه جعلني أكره نفسي أقل.

لم تكن زوي تجيد إخفاء مشاعرها تجاه علاقتنا. تتجنب النظر إليّ في التجمعات العائلية، وكانت آخر من بارك لنا عند خطوبتنا. لم تحضر زفافنا. أرسلت لجاك رسالة بأنها مصابة بعدوى *نوروفيروس* قبلها بيوم، ثم نشرت صورها في إيبيزا بعدها بيوم. وعندما وُلدت ابنتنا أرسلت لنا زنابق، رمزًا معروفًا للموت. قال جاك إنها مجرد خطأ بريء، لكن لا شيء بريء فيما تفعله أخته.

حدقت في بيت جاك وزوي، مغتاظة من المرأة التي بداخله. ثم لاحظت أن باب المطبخ موارب قليلًا.

بعد قليل، وقد عدت إلى طريقي وقد ضاع بعض الوقت، مررت بالمحال القديمة والمباني التي تمنح بلاكداون تميزها. أسرع الخطى في ما يوصف بأنه أحد أجمل شوارع التسوق في المملكة المتحدة، مدركة أن الوقت ينفد للحصول على ما أحتاجه.

دخلت متجر الملابس الرخيص الذي كان هنا منذ ولادتي. وبسبب حقيبتي المفقودة، احتجت ما أرتديه غدًا. أخذت قميصًا أبيض بسيطًا وملابس داخلية غير عصرية، ودون قياس دفعت الثمن. لم تكن الملابس النظيفة وحدها ما نفد...

بعد زيارة بيت زوي، كنت أحتاج الشراب أكثر من أي وقت.

انفتحت أبواب السوبرماركت وكأن المكان كان ينتظر ابتلاعي. الممرات المكيفة ليست وحدها ما جعلني أرتجف. أشعر وكأنني أسير في طرق مألوفة، وقسم الكحوليات كما كان دائمًا. للأسف لا توجد قوارير صغيرة، لكن هناك زجاجات نبيذ وويسكي صغيرة. أقيسها على حقيبتي لأعرف كم واحدة يمكنني إدخالها دون أن أعجز عن إغلاق السحاب.

أضفت صندوقًا صغيرًا من النعناع لعربة التسوق. وعندما نظرت عند الدفع، رعبت قليلًا... الموظفة تعرفني. رأيت في وجهها حكمًا لا أحتمله.

الناس منشغلون بخرافة الحقيقة.

حياتنا اليوم تحتاج إلى طبقة طلاء ذهبية؛ سلسلة من الحقائق المصقولة بغرض تحسين مظهرنا. غرباء يشاهدوننا عبر الشاشات — سواء التلفاز أو مواقع التواصل — يظنون أنهم يعرفوننا. لا أحد يريد الواقع الآن؛ لا يريدون "الإعجاب" به أو "مشاركته" أو "متابعته". أفهم ذلك، لكن العيش داخل حياة متخيلة أمر خطر. ما لا نراه قد يؤذينا. في المستقبل، سيشتاق الناس لخمس عشرة دقيقة من الخصوصية، أكثر من خمس عشرة دقيقة من الشهرة.

قلتُ للموظفة:

— "هدية صغيرة للمصور والفنيين بعد يوم عمل طويل."

ثم وضعت مشترياتي في حقيبتي فور أن مررتها على جهاز المسح.

كانت أكبر مني قليلًا، امرأة تشبه حبة بطاطس، بوجه مرهق وعينين مشاغبتين، عينا من تريك نظرة واحدة كم تكرهك. ابتسمت ابتسامة باهتة، فلاحظت الفجوة الواسعة بين أسنانها الأمامية.

— "هل رأيتِ أمكِ مؤخرًا؟" سألت. حاولت كتم تنهيدة. في هذه البلدة، الجميع يعرف كل شيء عن الجميع... أو يظنون ذلك.

لم تنتظر ردي.

— "وُجدت أمك تتجول ليلًا عدة مرات... تائهة، تبكي، لا تعرف من هي

ولا أين هي، مرتدية قميص نوم فقط. زوجكِ رجل طيب لأنه يهتم بها. كان ينبغي أن تكون في دار رعاية، إن سألتِني."

— "لم أسألْكِ." قلت وأنا أقدم بطاقتي.

لطالما كنت حسّاسة تجاه تقصيري كابنة، أكثر من حساسيتي تجاه ضعفي أمام الشراب. التفتُّ لأتأكد أن أحدًا لم يسمع كلامها، وارتحت حين رأيت الجميع منشغلين بأنفسهم. يا ليت الجميع يفعل ذلك. ما زلت أذكر أول مرة اشتريت فيها كحولًا من هذا السوبرماركت، منذ سنوات بعيدة.

قالت *رايتشل* إنني لا أستطيع إقامة حفلة عيد ميلاد بلا مشروبات. استغربت أنها ما زالت تظن أننا يجب أن ندعو *هيلين*، رغم المشاكل التي سببتها لنا. لكن ذلك أسعدني. ظننت أن قرارها بمسامحتها مثال آخر على طيبتها. وهذا ما جعلني أدعو شخصًا آخر؛ كانت حفلة عيد ميلادي بعد كل شيء، وأردت أن أكون طيبة بدوري. ولهذا صنعت أساور صداقة للجميع.

ضحكت رايتشل حين رأتها.

— "أأنتِ من صنعها؟"

هززت رأسي، فضحكت ثانية.

— "هذا لطيف... لكننا في السادسة عشرة، لا العاشرة."

وضعت يدها على كتفي، ثم رمت الأساور في جيبها كأنها قمامة. استغرق صنعها وقتًا طويلاً، ولم أستطع إخفاء جرحي، ولاحظت ذلك.

— "آسفة... أحبها، حقًا... سنرتديها لاحقًا. لكننا أولًا بحاجة لشراء مشروبات، ولأجل ذلك نحتاج مالًا. ألا يمكنك سرقة خزانة من أمك؟"

كانت مصدومة من اقتراحها، وبدت وكأنها فكرت ثانية. كنا في منزلها، ففتحت خزانتها الضخمة، وأخرجت صندوق "تبرعات للأطفال"

الأصفر. قلبته فوق سريرها.

— "اثنان وأربعون جنيهًا... وثمانية وثمانون بنسًا."

— "لكن هذا مال خير!"

— "وأنتِ حالة خيرية، فما المشكلة؟ من أين تظنين أني كنت أشتري الهدايا الصغيرة لكِ ؟"

لم أجب. كنت مصدومة من أنها تعترف بسرقة مال أطفال يحتاجونه.

— "هيا." قالت وهي تمسك يدي. كان ذلك أول مرة لا أحب لمس يدها.

— "توقفي عن العبوس، تبدين أقل جمالًا حين تفعلين." همست، ثم قبّلت وجنتي. "سنمر بالسوبرماركت لشراء المشروبات، وستتحسنين."

سرنا بصمت.

راقبت رايتشل تضع زجاجات الصودا والتكيلا والخمر الرخيص في السلة، وتساءلت كيف سنشتريها ونحن قاصرتان. شعرت بألم في معدتي، مجرد فكرة أن والدتي قد تعرف كانت تكفيني لأشعر بالمرض.

ثم رأيت هيلين وانغ. كانت قد بلغت السادسة عشرة، وتعمل في السوبرماركت يوم السبت. مررت المشروبات دون أن تطلب مديرًا. خبأتها رايتشل في حقيبتها. لا بطاقة هوية مطلوبة. سعدت أننا ما زلنا صديقات، رغم قصة الواجبات.

— "ما الذي أصاب وجهك؟" سألتها، ورأيت كدمة حاولت إخفاءها بالمكياج.

نظرت إلى رايتشل قبل أن تجيب:

— "تعثرتُ."

عرفت أنها تكذب. رأيت ما يكفي من كدمات أمي عندما كان أبي في حياتنا. لكنني تعلمت ألا أسأل. ظننت أن لديها حبيبًا سرّيًا... سيئًا.

– "سنراك لاحقًا. تعالي لمنزل آنا بعد العمل." قالت رايتشل، وسحبتني للخارج.

وافقت أمي على الخروج مساءً، لكنها كانت لا تزال بالبيت حين وصلنا. لم أحتج للكلام لتعرف أنني غاضبة.

– "حسنًا حسنًا... ذاهبة." قالت وهي ترانا نخبئ أكياس المشروبات. "أحضرت لك مفاجأة صغيرة لعيد ميلادك، وأردت أن أريك إياها قبل أن أذهب."

– "ما هي؟" سألت، خائفة مما قد تكون أهدتني.

– "في غرفة الشمس، اذهبي لتري."

ذهبت وأنا أتهيأ للأسوأ... ثم رأيت كرة صغيرة رمادية من الفراء، جالسة على كرسي أمي المفضل.

– "قطة!" صرخت رايتشل بحماس أكبر من حماسي.

– "إحدى السيدات اللائي أنظف لهن لديهن قطة جميلة من نوع *Russian Blue*... وعندما رأيت الهررة لم أستطع المقاومة." قالت أمي. "هيا، احمليها. إنها لك."

كنت أريد قطة منذ زمن، لكن أمي قالت إننا لا نستطيع تحمل تكلفتها. ثم هناك حكايات اختفاء القطط في بلاكداون... ملصقات "مفقود" في كل مكان. كانت تخشى أن قلبي لا يحتمل ذلك. لكنني حملت الهرّة بحذر شديد، أخشى أن أكسرها.

– "يجب أن تختاري لها اسمًا."

– "كيت كات." همست.

ضحكت رايتشل.

– "مثل الشوكولاتة؟"

– "أراه مناسبًا." قالت أمي.

أخبرتنا أن نلعب معها قليلًا، ثم نعيدها إلى صندوقها لتعتاد المكان. وقالت إنها تعرف أننا سنشرب – فاحمرّ وجهي – وطلبت منا أن نكون بخير وأن نعتني ببعضنا وبالقطة.

بعد رحيلها، قالت رايتشل:

– "لننطلق!"

بدأت تبحث في أسطوانات أمي القديمة. وضعت أسطوانة *The Carpenters*، وغنت مع *Rainy Days and Mondays*. كنت ممسكة بكيت كات، وأراقبها تقطع ليمونة وتُخرج الملح والسكين. لم أرَ تكيلا في حياتي... وأعجبني الطعم. وبحلول وقت وصول الآخرين، كنت شبه سكرى.

– "أحضرتِ مفاجآت الحفلة؟" سألت رايتشل هيلين.

– "ما هي؟" سألت أنا.

ابتسمت رايتشل:

– "مفاجأة لطيفة."

كانت زوي التالية. بدا عليها البؤس. بجوارها كان يقف فتى أكبر سنًا بقليل.

– "ما هذا؟" سألت وهي ترى القطة.

– "اسمها كيت كات. هدية عيد ميلاد."

– "أكره القطط." قالت باشمئزاز.

– "أنا جاك." قال الفتى وهو يبتسم. "أمي طلبت أن أوصل زوي وأتفقد الأوضاع... بعد ما حدث المرة الماضية."

لم أعرف ما يعنيه. كنت جديدة بينهم.

كان جاك أكبر منا ببضع سنوات، لكن في ذلك العمر، عامان يصنعان فارقًا كبيرًا. مال برأسه لداخل البيت، ومسك مفاتيحه. لا أعرف هل كان

السبب شعره المنسدل أم ابتسامته، لكنني أعجبت به فورًا. ولم أكن وحدي.

– "مرحبًا جاك، ما رأيك في مشروب؟" قالت رايتشل.

– "لا، أقود السيارة."

– "واحد فقط؟"

نظرت إليهما وكرهت الطريقة التي تبادلا بها النظرات.

– "ربما كوكاكولا." قال أخيرًا.

امتلأ بيتنا الصغير بالناس. شعرت بأنه ضيق جدًا. حتى دقّ الجرس مجددًا. نسيت أنني دعوت شخصًا آخر.

فتحنا الباب جميعًا... وارتسمت الصدمة على الوجوه.

كاثرين كيلي كانت هناك.

– "عيد ميلاد سعيد، آنا." قالت بلا ابتسامة.

تجمد الجميع.

ثم تقدمت رايتشل وقدمت لها كأسًا:

– "يا للروعة، كاثرين! اشربي. أعدك أن هذا الكأس بلا شيء مقزز... ويجب أن تلحقي بنا."

سعدت لأنها طيبة معها. تعرضت كاثرين قبل أسبوع لموقف رهيب. وجدوا جرذانًا صغيرة في درجها المدرسي. ألقى الجميع اللوم على حلوى كاثرين، لكنني لم أفهم كيف دخلت. شعرت بالشفقة عليها. أعرف شعور الغريبة. أردت سعادتها.

قال جاك:

– "حسنًا، استمتعوا. عليّ الذهاب. أمي تقول... أن نكون في المنزل قبل منتصف الليل يا زوي."

رفعت زوي عينيها للسماء. كعادتها.

– "انتظر!" ركضت رايتشل، وأخرجت كاميرا *كوداك* جديدة. "التقط صورة جماعية قبل أن ترحل."

– "بالتأكيد." أخذه الكاميرا منها، وتلامست أصابعهما... شعرت بوخزة غيرة.

– "كدت أن أنسى..." قالت رايتشل، وأخرجت الأساور. رتّبتنا أمام ورق الحائط الزهري في غرفة الجلوس.

– "... آنا الحلوة صنعت لنا أساور صداقة، وأظن أنه يجب أن نرتديها."

فعلنا كما تقول دائمًا.

وقفنا أمام الحائط، أذرعنا حول بعضنا، نرتدي الأساور الحمراء والبيضاء، نبدو كأفضل صديقات. حتى كاثرين، التي وضعتها رايتشل في المنتصف، كانت مبتسمة، تعرض تقويم أسنانها القبيح وشعرها الأبيض المجعد وملابسها الفظيعة.

كانت الصورة نفسها التي وجدتها أمس... والوجه الوحيد المشطوب فيها كان وجه رايتشل.

t.me/wadistreambooks

-٣٤-

حكايته

الأربعاء ٢٣:٠٠

أعبر الطريق وأدرك أنني قد سلكتُ منعطفًا خاطئًا. أنا ثمل. ثملٌ لدرجة تمنعني من قيادة السيارة عائدًا إلى المنزل من بيت **بريا**، لذا قررتُ أن أمشي. أعلم أنه ما كان يجب أن أقبّلها، لكنها لم تكن أكثر من قُبلةِ سُكر. لا داعي لتحويل الأمر إلى دراما، أو تضخيمه أكثر من اللازم. كنتُ أفكر في **آنا** حين فعلتُ ذلك، ربما بسبب طعم الويسكي في فمها وفمي. لا أندم على ذلك. سأندم في الصباح، لكنني الآن سأستمتع بما منحني إياه شعور هذه الليلة: أن أعرف أن امرأة شابة جميلة وذكية تجدني جذابًا.

أختارُ ألّا أطيل التفكير في سؤال: لماذا.

قضاء الوقت مع شخص أصغر مني سنًّا جعلني أشعر بأنني أقل كهولة الليلة. الاستماع إلى **بريا** وهي تتحدث عن مستقبلها جعلني أدرك أن مستقبلي أنا قد لا يكون محتومًا. يخدعنا الشباب فيجعلنا نظن أن هناك مسارات لا حصر لها في الحياة نختار منها؛ بينما يوهمنا النضج أن هناك مسارًا واحدًا فقط. لقد فتحت **بريا** قلبها وتحدثت عن ماضيها، وكانت صراحتها مُعدية. أخبرتني أن والدتها توفيت بالسرطان العام الماضي وأنها لا تزال في فترة حداد. لقد ربّتها تلك المرأة بمفردها، في مجتمع

كان يستهجن مثل هذه الأمور، وكانت **بريا** صريحة تمامًا بشأن مدى افتقادها لوجود شخصية الأب في حياتها وهي تكبر.

أتوقع أن هذا ما جعلني أفكر في ابنتي. الحقيقة هي أنني أفكر فيها طوال الوقت. إذا كنتُ لا أتحدث عن **شارلوت**، فذلك فقط لأنني أشعر أنني لا أستطيع. كانت فكرتي — أن أصطحب **آنا** لتناول وجبة عيد ميلادها، كلانا فقط — لذا ربما لهذا السبب ما زلتُ أظن أن ما حدث كان خطئي.

بالكاد كانت **آنا** تغادر المنزل لأشهر. كانت قد أُخضعت لراحة تامة في الفراش قبل الولادة، ثم بعد ذلك عندما أحضرنا **شارلوت** إلى المنزل، تحولت إلى شخص لم أعد أتعرف عليه. لم يكن الأمر على ما يرام، وكذلك لم تكن هي. فجأة، أصبحت حياتها كلها تتمحور حول ابنتنا فقط، ولم يستطع أحد أن يجعلها ترى أن كل ذلك كان أكثر من اللازم، وأنها بحاجة إلى أن تأخذ خطوة إلى الوراء. إذا ذكرتُ الحصول على مساعدة، كان ذلك يزيد الأمور سوءًا.

كنتُ قد رتبتُ مع والدتها لتجلس مع الطفلة ليلة واحدة، ليلة واحدة فقط، يا إلهي، كان من المفترض أن يكون ذلك فعلًا لطيفًا. لكليهما. لكن عندما ذهبنا لاصطحاب **شارلوت** في صباح اليوم التالي، علمتُ أن هناك شيئًا خاطئًا بمجرد أن فتحت والدة **آنا** الباب. لقد وعدت ألّا تشرب وهي تعتني بالطفلة، لكن كلانا استطاع أن يشم رائحة الكحول في أنفاسها. لم تنطق بكلمة، لكنها بدت وكأنها كانت تبكي. دفعت **آنا** والدتها جانبًا، وركضت إلى داخل المنزل. كنتُ خلفها ببضع خطوات فقط. كان المهد المتنقل في مكانه تمامًا حيث تركناه، وكانت **شارلوت** لا تزال في داخله، وأتذكر الارتياح الذي شعرتُ به عندما رأيتها. لكن عندما رفعتها **آنا**، أدركتُ أن طفلتنا الصغيرة قد ماتت.

لا وجود لشيء اسمه الحب غير المشروط. لم أُلقِ باللوم حقًا على والدة **آنا**. لم تبدأ بالشرب إلا بعد أن اكتشفت أن **شارلوت** قد توقفت عن التنفس في منتصف الليل. لقد أصابها الهلع. لسبب ما لم تتصل بسيارة إسعاف، أعتقد ربما لأنها كانت تعرف بالفعل أن الطفلة قد ماتت. أكّد الطبيب الشرعي أنها كانت وفاة مهد، وكان من الممكن أن تحدث في أي وقت وأي مكان. لكنني لمتُ نفسي. وكذلك فعلت **آنا**. مرارًا وتكرارًا، كانت تصرخ في وجهي بالكلمات الصامتة عبر دموعها التي لا تنتهي.

أحببتُ طفلتنا الصغيرة تمامًا كما أحبتها هي، لكن بدا الأمر وكأن **آنا** هي الوحيدة المسموح لها بالحزن. الآن، بعد عامين، أبدو وكأنني أترنح على الحافة في كل الأوقات، كقطعة دومينو على وشك السقوط، فتُسقِط معها أقرب الناس إليّ. لفترة طويلة بعد ما حدث، لم يكن أي شيء في حياتي يبدو حقيقيًّا أو له أي معنى. لهذا السبب غادرتُ **لندن** وعدتُ إلى هنا. لأكوّن نوعًا من العائلة مع ما تبقى لي: أخت وابنة أخت. ولأمنح **آنا** المساحة التي قالت إنها تحتاجها.

دفنّا **شارلوت** في **بلاكداون** — لم تكن **آنا** في حالة تسمح لها باتخاذ قرار في ذلك الوقت، لذلك اتخذته أنا — وأعتقد أن هذا شيء آخر لا تزال تكرهني من أجله.

إنها مسيرة نصف ساعة على طول ممرات مشاة حالكة الظلام وطرق ريفية مقفرة، من طرف البلدة الذي تقطنه **بريا** إلى طرفي، لكن المشي هو الخيار الوحيد. لا توجد سيارات أجرة في الريف. ولا أي علامة على الحياة في **بلاكداون** في هذا الوقت من الليل. يركض قط أسود أمامي، قاطعًا طريقي ومناقضًا لفكرتي الأخيرة. هذا من نوع الأشياء التي كانت ستقلق زوجتي السابقة، لكنني لا أؤمن بكل تلك الخرافات الهراء. بالإضافة إلى ذلك، لقد نلتُ بالفعل أكثر من نصيبي من الحظ السيئ.

البرد قارس، من النوع الذي ينهش لحمك إذا تجرأت ووقفت فيه ثابتًا لفترة طويلة. لذا، أغرس يديّ أعمق في جيبيّ، وأبقيهما هناك بدلًا من أن أدخن. الغريب أنني لا أشعر حتى بالحاجة إلى سيجارة الآن، بعد أن قضيتُ أمسية أتحدث فيها مع إنسان آخر بدلًا من التحديق في شاشة.

رايتشل وأنا لم نتحدث حقًا، كنا نتبادل فقط محادثات مهذبة مصحوبة بجنس غير مهذب. لم أشعر قط أن لدينا الكثير لنقوله لبعضنا البعض، على الأقل ليس أشياء كان أي منا يرغب في سماعها. أواصل التفكير في الكلمات التي كانت مرسومة على أظافرها: ذات الوجهين. كنتُ أنا و**آنا** نتحدث قبل مجيء **شارلوت**، لكن بدا الأمر وكأننا نسينا كيف نفعل ذلك. الليلة، مع **بريا**، شعرتُ وكأنني شخص حقيقي مرة أخرى.

أقرر أن أرسل لها رسالة نصية، وأمد يدي إلى جيبي بحثًا عن هاتفي. أجد هاتف **رايتشل** بدلًا منه، وهناك رسالة غير مقروءة:

"كان يجب أن تعود إلى المنزل مباشرة الليلة يا جاك."

أتوقف عن المشي وأحدق في الكلمات لبضع ثوانٍ. ثم أستدير دورة كاملة، وأمعن النظر في الظلام، محاولًا أن أرى ما إذا كان شخص ما يتبعني الآن. من الواضح أن شخصًا ما كان يفعل. لم أكن أتخيل ذلك. أدس الهاتف مرة أخرى في جيبي وأمشي بخطى أسرع قليلًا.

أستطيع أن أرى أن منزلي غارق في الظلام التام عندما أنعطف إلى الشارع. لا شيء غير عادي في ذلك؛ فالوقت متأخر، ولا أتوقع من أختي الصغيرة أن تنتظر عودتي إلى المنزل. لم نكن أبدًا من نوع الأشقاء الذين يتفقدون بعضهم البعض. أفترض أن **زوي** قد شربت كأسين من النبيذ الرخيص وذهبت إلى الفراش، تمامًا كما تفعل في معظم الليالي.

أبدأ البحث عن مفاتيحي بمجرد أن أعبر البوابة، وأكافح للعثور عليها في العتمة. يضيء مصباح الشرفة عندما أصل إلى منتصف ممر

الحديقة، ولكن على الرغم من أنه يلقي بعض الضوء داخل جيب سترتي حيث يجب أن تكون مفاتيحي، أستطيع أن أرى أنها ليست هناك.

أكره فكرة الاضطرار إلى إيقاظ المنزل بأكمله لكي تسمح لي **زوي** بالدخول — قد يكون من الصعب إعادة ابنة أخي إلى النوم — ولكن عندما أخطو نحو الباب الأمامي، أرى أن ذلك لن يكون ضروريًّا. إنه مفتوح بالفعل.

دائمًا ما تكون هناك تلك اللحظة التي تدوم طول نبضة قلب، حين تعرف أن شيئًا سيئًا للغاية على وشك الحدوث، وأن الأوان قد فات لفعل أي شيء حياله. تدوم أقل من ثانية وأكثر من عمر بأكمله في آن واحد، بينما تكون متجمدًا في المكان والزمان، مترددًا في النظر إلى الأمام، ولكنك تعلم أن الأوان قد فات للنظر إلى الوراء. هذه إحدى تلك اللحظات. لم أختبر سوى القليل منها في حياتي.

أفيق من سكرتي بسرعة.

يخبرني الجزء الشرطي من دماغي أن أتصل بأحدهم، لكنني لا أفعل. ما تبقى من عائلتي داخل هذا المنزل ولا يمكنني انتظار الدعم. أهرع عبر الباب الأمامي، وأشعل الأضواء في جميع غرف الطابق السفلي، لأجد كل واحدة منها فارغة كالأخرى. تبدو بقية الأبواب والنوافذ مغلقة ومقفلة. أتفقد نظام الإنذار، لكن يبدو أن أحدهم قد أطفأه. الطريقة الوحيدة لفعل ذلك هي بمعرفة الرمز.

لا توجد أي علامة على اقتحام، ولا أي علامة على عراك؛ بل إن المكان بأكمله يبدو أنظف وأكثر ترتيبًا بكثير مما كان عليه عندما غادرتُ هذا الصباح. الأطفال الصغار خبراء في إحداث الفوضى، لكن كل الفوضى والضجة التي اعتدتُ عليها قد تم ترتيبها وإعادتها إلى مكانها. كل شيء يبدو خاطئًا، وقد تعلمتُ على مر السنين أن أثق بحدسي في مثل هذه الأمور.

حينها أرى ذلك.

أحد السكاكين الصغيرة مفقود من الكتلة الخشبية على المنضدة. أتذكر أنه لم يكن هناك هذا الصباح أيضًا، ولا في الليلة التي قبلها. مفاتيح منزلي هنا أيضًا، على الرغم من أنني متأكد من أنها كانت في جيبي في وقت سابق من هذه الليلة، قبل أن أذهب إلى منزل **بريا**. ربما تركتها هنا بالفعل — الأيام القليلة الماضية ضبابية بسبب قلة النوم. ثم أرى الصورة. إنها تمامًا مثل تلك التي قالت **آنا** إنها سُرقت من سيارتها، وهي صورة أتذكر أنني التقطتها قبل عشرين عامًا.

الفتيات الخمس مصطفات ويبتسمن للكاميرا: **رايتشل هوبكنز**، **هيلين وانغ**، **آنا**، **زوي**، وفتاة غريبة المظهر أتعرف عليها بشكل غامض، لكن لا أتذكر اسمها. يرتدين ابتسامات متطابقة على وجوههن، وأساور صداقة متطابقة على معاصمهن. لكن هذا ليس كل شيء. ثلاث من الفتيات الخمس في الصورة لديهن الآن صليب أسود مرسوم على وجوههن: **رايتشل**، **هيلين**... و**زوي**.

أسقط الصورة — مدركًا بعد فوات الأوان أنه ما كان يجب أن ألمسها أبدًا — وأركض صاعدًا الدرج خطوتين في كل مرة. أصل إلى غرفة ابنة أخي أولًا، وأندفع عبر الباب لأرى أن **أوليفيا** آمنة وسليمة، مدسوسة نائمة في السرير. وسادتها، إلى جانب كل شيء آخر في الغرفة، مغطاة بنقش من حيدات القرن. تبدو مسالمة جدًّا لدرجة أنني للحظة أظن أن كل شيء على ما يرام. لكنني أدرك بعد ذلك أن الضوضاء التي أحدثتها للتو كانت ستوقظها في العادة. **أوليفيا** تتنفس، لكنها فاقدة للوعي تمامًا.

أهرع على طول الممر إلى غرفة أختي، لكنها ليست هناك. جميع أبواب غرف النوم مواربة، وسرعان ما أكتشف أن كل واحدة منها فارغة. باب الحمام مغلق. عندما أحاول تدوير المقبض، لا يفتح. لم نغلق هذا الباب منذ سنوات بسبب حادثة وقعت عندما كنا أطفالًا، ولا أعرف أين

يمكن أن يكون المفتاح. لا أتذكر أنني رأيت واحدًا قط. كانت القاعدة في منزلنا دائمًا أنه إذا كان الباب مغلقًا، فلا تدخل. أطرق برفق وأهمس باسمها.

— "زوي؟"

الهدوء شديد لدرجة أن كل ما أقوله وأفعله يبدو صاخبًا.

أحاول أن أنظر من خلال ثقب المفتاح، لكنني لا أرى سوى السواد.

— "زوي؟"

أنطق اسمها بصوت أعلى قليلًا هذه المرة، قبل أن أضرب بقبضتي على الألواح الخشبية. عندما لا يزال هناك سوى الصمت، أتراجع خطوة إلى الوراء وأركل الباب. يتأرجح مفتوحًا، ومفصلاته تصرخ وكأنها تتألم. ثم أراها.

أختي مستلقية في حوض الاستحمام.

إحدى عينيها مفتوحة، ويبدو أنها تحدق في شيء مكتوب على الحائط؛ بينما الأخرى قد خِيطت وأُغلقت، وإبرة وخيط أسود سميك ما زالا يتدليان من جفنها.

الماء أحمر، ورسغاها المشقوقان مرئيان تحت السطح مباشرة.

يصيبني الغثيان لحقيقة أنني أعرف بالفعل ما يُفترض أن يعنيه هذا: غض الطرف.

أنا متأكد من أن الاستجابة الطبيعية ستكون الاندفاع إلى جانب حوض الاستحمام وسحبها للخارج، لكنني لا أستطيع التحرك. رأس أختي متدلٍّ إلى جانب واحد بزاوية مقلقة، وشعرها له نفس لون الماء الدموي الساكن تمامًا، ولست بحاجة إلى التحقق من النبض لأعرف أنها ميتة. فم **زوي** مفتوح، وأستطيع أن أرى سوار الصداقة مربوطًا حول لسانها من عند المدخل.

t.me/wadistreambooks

أبقى في الردهة، وكأن قدميَّ لا تستطيعان عبور العتبة. أشعر بالمرارة تصعد في حلقي، لكنني أبتلعها. يجب أن أتصل بالشرطة لكنني لا أفعل. أحاول التفكير في صديق يمكنني الاتصال به طلبًا للمساعدة — يبدو أن هذا ما أحتاجه الآن — لكنني أتذكر بعد ذلك أنه لم يعد لدي أي منهم. لا أحد يريد أن يكون صديقًا للزوجين اللذين ماتت طفلتهما.

أفاجئ نفسي حينها بالاتصال بـ**بريا**.

في حالتي السكرى والمصدومة، تبدو زميلتي هي أقرب ما لدي إلى شخص يهتم. لا أعرف ما أقوله عندما تجيب، لكن لا بد أنه كان له معنى ما، لأنها تخبرني أنها في طريقها. يبدو أن أختي كتبت اسمًا على الجدار المبلط، مستخدمة إصبعها كقلم ودمها كحبر قبل أن تموت. لم أذكر هذا الجزء لـ**بريا**. لم أستطع نطقه بصوت عالٍ.

أنزلق جالسًا على أرضية الممر. يتباطأ الزمن إلى توقف مؤلم بينما أنتظر، لا يقطعه سوى صوت الصنبور الذي يقطر. إنه يفعل ذلك منذ سنوات، لكنه لم يزعجني قط حتى الآن. أراقب تموجات صغيرة تنتشر عبر سطح الماء الأحمر، وعيناي تتجولان حتمًا إلى عيني **زوي**. عندما لا أعود أحتمل النظر إلى وجهها المشوه، أحدق في الاسم الذي كتبته أختي بالدم فوق حوض الاستحمام:

أندروز.

-٣٥-

حكايتها

الأربعاء ٢٣:٣٠

– "كانت معكم **آنا أندروز**، من قناة BBC نيوز ، **بلاكدون**."

نسجّل الخاتمة... ثم ننتظر إشارة من غرفة الأخبار. حين تصل، يكون المهندسون قد جمعوا المعدات وغادروا، تاركين **ريتشارد** وأنا وحدنا وسط الغابة. اليوم كان خانقًا، وأنا ممتنة لساعتين ابتعدت فيهما عن الكاميرات ـــ حتى وإن انتهى بي المطاف واقفة أمام منزل **زوي وجاك**. رؤية ذلك المكان... ومعرفة أنها في الداخل... أفقدتني نفسي للحظات. بعض الأخطاء لا تُصلح مهما طال الزمن.

لا أرغب حقًا بالعودة إلى السيارة مع **ريتشارد** ـــ يتصرف بغرابة ـــ لكن لا خيار آخر بعد سرقة سيارتي. لا أستطيع التوقف عن الارتجاف، وحين يلاحظ، ألوم البرد. شيء ما تغيّر فيه... لكنها خمس دقائق فقط إلى الفندق.

نقود بصمت. لا أحد منا يريد كلامًا، ولا شرابًا. أحاول أن أفهم ما الذي بدر مني ليزعجه، ولا أجد شيئًا. ربما الإرهاق فقط. أحلم بحمام ساخن وبميني بار كامل.

«ماذا تقصدين بأنه لا توجد حجوزات؟» أسأل موظفة الاستقبال التي تنظر إلينا ببرود.

طويلة، شعرها مضفور، تتناول الشوكولاتة أثناء دوامها الليلي. تبدو كزهرة تنحني تجاه الشمس أكثر مما ينبغي. ليست أصغر مني بكثير... لكنها أرفع مني بكثير. لدرجة تثير أعصابي.

أنا متأكدة أن غرفة الأخبار حجزت لنا غرفتين. متأكدة أنني تلقيت بريدًا يؤكد ذلك. أطلب منها أن تتحقق مجددًا.

حركاتها البطيئة لا تبشّر بالخير.

«عذرًا، لا يوجد حجز باسمكم.» تقول.

أخرج بطاقة ائتماني.

«حسنًا، سأدفع لغرفتين وأستردّ المبلغ لاحقًا.»

تنظر للشاشة ثانية، ثم تهز رأسها:

«للأسف نحن ممتلئون. جريمة قتل اليوم... بل جريمتان. الصحافة احتلت كل الغرف.»

«أحقًا؟ لم نلاحظ.» أقول ساخرًة. «رجاءً... أعيدي المحاولة.»

ريتشارد صامت.

«هل لديكِ رقم الحجز؟» تسأل.

أشعر بالأمل... ثم أتذكر أن بطارية هاتفي تحتضر. وشاحني في الحقيبة المسروقة.

«هاتِ هاتفك.» أقول لـ **ريتشارد**.

يبحث... يحدّق...

«اللعنة... لا أجده.»

أتنفّس بعمق وأبحث بسرعة قبل أن تنطفئ الشاشة. أجد البريد الإلكتروني... أعرضه عليها.

تتأمّل الرقم طويلًا... وتنقره بإصبع واحد.

«هناك حجز لغرفتين...»

أبتسم... مبكرًا جدًا.

t.me/wadistreambooks

«... لكن الحجز أُلغي مساءً.»

يختفي الابتسام عن وجهي.

«ماذا؟ متى؟ من؟»

«الساعة ١٨:٣٠. لا يذكر من اتصل.»

يناولني **ريتشارد** بطاقتي.

«هيا. لا فائدة. أعرف مكانًا يمكننا البقاء فيه.»

t.me/wadistreambooks

-٣٦-

حكايته

الأربعاء ٢٣:٥٥

حتى عندما سمعتُ صوت صفارات الشرطة المألوف، ظللت واقفًا في مكاني خارج الحمّام، أتنفس بصعوبة، أنتظرهم بينما يترجلون أمام البيت ويدخلون من الباب الأمامي المفتوح في الأسفل. تتولى پريا زمام كل شيء، وتبدو متماسكة بشكل غريب رغم كمية زجاجات الجعة التي ظننتُ أننا شربناها معًا قبل ساعات. أراقبهم يتحركون داخل المكان... زملاء يرتدون الزي الرسمي يسيرون داخل مسرح جريمة كان يومًا منزلي، بينما أنا أعجز عن الوقوف، أعجز حتى عن التفكير.

لا أفيق إلا حين أسمع بكاء ابنة أختي في غرفتها، أيقظها غرباء يعملون على جريمة قتل أمها. هي لا تعرف ذلك، ولن تفهمه قريبًا. الأطباء يفحصونها الآن؛ يعتقدون أنها كانت مخدّرة. أحاول أن أعتدل مستندًا إلى الحائط، متعمدًا ألا أنظر داخل الحمّام. لم ينقلوا زوي بعد. ما زالت ممددة في بركة من الماء الأحمر، تحدّق إلى الاسم المكتوب على الحائط.

تقول پريا وهي تهرع نحوي لتساعدني على الوقوف:

– "تمهَّل... سأهتم بكل شيء. لا يجب أن تكون هنا. هل هناك مكان آخر يمكنك الذهاب إليه؟"

لا يوجد.

t.me/wadistreambooks

أوليفيا تصرخ الآن. لا أعرف كيف أشرح ما حدث لطفلة عمرها عامان، وأنا نفسي لا أفهم. تواصل پريا الكلام، لكن كل ما أسمعه هو صراخ صغيرة تطلب أمًّا لن تراها مرة أخرى.

– "أظن أنك تفضّل ألا تتدخل الشؤون الاجتماعية، لذلك وجدتُ جارة قالت إنها تستطيع رعاية الصغيرة، ويبدو أنها اعتادت رعايتها من قبل. ستوقع على شيء بسيط، ومسؤول التواصل الأسري سيتكفل بالبقية، موافق؟"

أعتقد أنني هززت رأسي. لا أعرف إن كان هذا صحيحًا. ربما كان عليّ البقاء معها.

– "حسنًا. لا يمكنك البقاء هنا." تقول پريا وكأنها قرأت أفكاري.

– "لا. يجب أن أعرف من فعل هذا." أقولها، وصوتي يبدو غريبًا في أذني.

– "أعرف. لكن غدًا... أظن أنه من الأفضل أن يوصلَك أحد الزملاء إلى مكان تقضي فيه الليلة."

– "إلى أين؟ ولماذا لم تسأليني السؤال الأكثر منطقية حتى الآن؟"

ترسم پريا ذلك الوجه الذي تحتفظ به للحظات عدم الارتياح.

– "لا أعرف ماذا تعني——"

– "لا تعامليني كالأحمق. أنت تعرفين تمامًا. ماذا تقول لكِ غرائزك؟ هل تظنين أنها فعلتها؟"

– "من؟"

– "آنا! لم تحبّا بعضهما أبدًا. لماذا يكون اسم زوجتي السابقة مكتوبًا على الحائط بالدم؟ آنا كانت دائمًا أول من يصل إلى أي مسرح جريمة. أعرف أنكِ شككتِ بها سابقًا. ربما كان يمكنني منع هذا لو..."

تنظر إلي پريا نظرة تقع بين الشفقة والريبة... وتغيّر وجهها.

– "قولي ما يدور في رأسك." أقول حين تصمت.

t.me/wadistreambooks

– "أنت قلت بنفسك إن باب الحمّام كان مغلقًا من الداخل..."

– "نعم."

– "وأن المفتاح كان على حافة الحوض——"

– "هل توحين بأنها انتحرت؟" أقاطعها. تنظر إلي بصمتٍ يجيب نيابة عنها. "إن كانت أختي قد انتحرت، فأين الأداة؟ هل ترين سكينًا؟ موسًا؟"

تنظر خلف كتفها إلى داخل الحمّام. لا أستطيع متابعتها بنظري، فأكمل:

– "هناك سوار صداقة مربوط حول لسانها، تمامًا كما في الضحيتين السابقتين. ولم نُعلن ذلك للصحافة. من قتل الأخريات هو من قتل زوي. أم أنكِ تظنين أنها خاطت جفنها بنفسها؟"

– "أنا لا أرجّح شيئًا يا سيدي. ربما كانت تعمل مع شخص آخر وخرج الأمر عن السيطرة. أنا فقط أجمع الأدلة... كما علمتني."

يرن هاتفها، وأظنها استراحت للانقطاع، إلى أن ترى اسم المتصل.

– "النائب العام للشرطة."

– "أجيبي."

تفعل. أراقبها بينما يتحدث هو وتستمع هي. لحظات بدت أبدية، لكنها لم تتجاوز دقيقتين.

– "يريدك خارج القضية. آسفة، لكن بالنظر للظروف... أعتقد أنها خطوة صائبة."

الكلمات كانت صفعة. قصيرة، لكنها محكمة. إما أن الخمر منحها ثقة إضافية، أو أنها كانت تتدرّب على لحظة تتمكن فيها من إزاحتي.

يلفتني وميض كاميرا. أحد أفراد الفريق يصوّر مكان الجريمة. يهز الوميض شيئًا في رأسي المنهك، وأتذكر الصورة. أدفع جسدي إلى الأمام

t.me/wadistreambooks

وأندفع إلى الأسفل. تتبعني پريا إلى المطبخ. لوهلةٍ ظننت الصورة اختفت، أو أنني تخيلتها. لكني أرى أحدهم يحمل كيس الأدلة.

— "توقف." أخطفه منه.

— "رأيت الصورة،" تقول پريا. "طلبت وضعها في كيس." نظرتها لم أرها يومًا. أحدق في الصورة... في الوجوه المشطوبة بقلم أسود... وأرى ما تراه هي. أتراجع خطوة دون قصد. الصوت في رأسي صار أعلى.

— "أنت تعرفين أنني لستُ وراء هذا... صحيح؟" أسألها. الاحترام الذي كان في عينيها قبل ساعات اختفى. "كنتِ معي طوال اليوم، وطوال الليل."

— "تقنيًا ليس طوال الليل. خرجتُ أنا، تذكّر؟ وأنت غادرت منزلي قبل أكثر من ساعة من اتصالك. لا أعرف لماذا تأخرت هكذا في طلب المساعدة."

تدور الغرفة حولي. كنت متأكدًا أنني اتصلت بها فورًا. ربما استغرق الأمر أكثر... بسبب الصدمة.

— "بريا... أنت تعرفينني."

— "لا يا سيدي. لا أعرفك. لستُ سوى زميلة... كما قلتَ سابقًا. الفريق وجد حذاء تيمبرلاند مقاس عشرة، مغطى بالوحل، في سلة المهملات. تمامًا كالبصمة بجوار جثة رايتشل هوبكنز في الغابة. هل هو حذاؤك؟"

أسقط في حفرة لا نهاية لها. لا أفهم لماذا تتصرف هكذا. كانت تعدّني بطلها لأشهر... قبّلتني الليلة... والآن تنظر إلي كأنني مشتبه به في قتل أختي.

— "أين السكين يا سيدي؟ السكين الناقصة من الحامل؟"

— "كفّي عن مناداتي بسيدي. اسمعي... أعتقد أن أحدهم يحاول توريطي. الصورة كانت هنا حين عدت. شخص ما وضعها. نفس الشخص

الذي قتل زوي. هذه رايتشل هوبكنز، هيلين وانغ، آنا..." يتكسر صوتي. "... وأختي."

— "من الفتاة الخامسة؟"

— "لا أتذكر اسمها."

من الواضح أنها لا تصدقني——وأنا نفسي بدأت أشك——لكن يجب أن تكون معي. أرتعب حين تستدير مبتعدة.

— "انتظري. أرجوك. الفتاة الخامسة لم تكن محبوبة. أستغرب أنهن كنّ صديقاتها أصلاً. ثلاث من الخمس في الصورة ميتات... وزوي كتبت اسم آنا بالدم. ألا ترين أنه يجب أن نجدها؟"

— "نعم، لكن ليس لنفس الأسباب التي تراها أنت يا جاك."

ربما كان لقب "سيدي" أفضل.

— "ماذا تقصدين؟"

— "ثلاث من الخمس ميتات. نعرف هوية واحدة من الباقيات. أظن أنّ زوي كانت تحاول إرسال تحذير حين كتبت اسم آنا... وأن زوجتك السابقة ربما في خطر."

— "ماذا تقولين؟" أسأل رغم أنني أعرف الإجابة.

— "أعتقد أن آنا ستكون التالية."

t.me/wadistreambooks

لطالما راق لي الرقم ثلاثة، وأملت أن تكون هذه أفضل أعمالي.

انتظرتُ حتى صعدت زوي لتُدخل طفلتها إلى الفراش، ثم فرغتُ حبوب النوم المسحوقة في كأس النبيذ الذي تركته وراءها. طبيبي ظلّ يصف لي الحبوب لأشهر، وكان لدي فائض منها. كنت قد فكرتُ في ابتلاعها أنا نفسي في عيد الميلاد الماضي. الألم حين قضيت العيد دونها كاد يقتلني، لكنني تراجعت.

الكثير يكبرون في العمر... لكن ليس الجميع يكبرون في الوعي. زوي كانت طفلة محبوسة في جسد امرأة، رغم أنها أمّ. احتاجت والديها أكثر مما احتجتهما أنا، دائمًا، في كل شيء. وحين ماتا، ضاعت. لا عمل. لا شريك. لا طموح. لا أمل. مجرد منزل موروث لا تستطيع تحمل نفقاته، وطفلة لم تعرف كيف تحبها. أرى أن هذا سيكون أفضل للصغيرة على المدى البعيد.

ارتشفتُ من كأس زوي قبل إضافة الحبوب. النبيذ كان رخيصًا ورائحته كريهة، تمامًا كصاحبته، فلم أتوقع أن تلاحظ أي اختلاف في الطعم. كنت محقة. رأيتها تحمل الزجاجة والكأس وتصعد إلى الطابق العلوي. ثم خلعت ملابسها، دخلت حوض الاستحمام، أنهت كأسها... وأغمضت عينيها.

كان من الغريب رؤيتها عارية بعد كل هذه السنين. شكل صدرها، فقرات عمودها، عظام ترقوتيها. رأيتها من قبل ونحن أصغر، لكن كان مثيرًا أن أرى الجلد الذي ترتديه الآن... المرأة التي أصبحتها. عندما نكون صغارًا نظن أننا نعرف أكثر مما نعرف. وحين نكبر نظن أننا نعرف أقل.

أنا دائمًا أتذكر الناس كما كانوا في أول ذكرى لهم عندي. وسأرى زوي إلى الأبد طفلة... مدللة، أنانية... شريرة.

قرارها بالاستحمام كان ضربة حظ. أقل فوضى. راقبتُ وانتظرتُ حتى هدأت تمامًا، وكنت متأكدة أنها ماتت. لكن عندما وضعتُ النصل على معصمها الأيسر—بالطريقة الصحيحة، لا كما يفعلون في الأفلام—فتحت عينيها. بدت متفاجئة لرؤيتي.

حاولت المقاومة، تقلب الماء، تفيض منه. كان ذلك مؤسفًا وغير ضروري. المخدرات أضعفتها على الأقل، فهدأت أخيرًا. لم تعترض ثانيةً حين قطعت معصمها الآخر. لكنني أدرتُ ظهري مبكرًا، أغسل يديّ في المغسلة. وعندما رفعت رأسي ورأيت انعكاسي... رأيتها تكتب على الحائط. توقفت أنفاسها في منتصف الـ S، فسال خط بشع من الدم من البلاط إلى الحوض. بعض الناس يتركون الفوضى حتى في الموت، كما تركوها في الحياة.

كان للباب مفتاحان بسبب حادثة قديمة. كانت زوي صغيرة حين حبست نفسها في الحمّام. كانت مبدعة... دائمًا تصنع شيئًا. ربما لهذا قررتُ أن أكون مبدعة بدوري.

عيناها كانتا مفتوحتين. وأنا لا أحب العيون التي تحدق بي.

وجدتُ سلّتها المليئة بخيوطها وأغلفة الوسائد القبيحة التي تبيعها. اخترت إبرة وخيطًا أسود سميكًا. نزل قليل من الدم من جفنها بينما أخيطه... بدا وكأنها تبكي دمًا. لكنه لم يكن أسوأ مما فعلته هي بضحايا أبرياء. أشياء لا يعرفها أحد سواي.

تركت مفتاحًا في الحمّام، ثم أغلقت الباب بالمفتاح الآخر. نزلت. وضعت صورة الفتيات على طاولة المطبخ، وشطبت وجه زوي، ثم خرجت. كنت قد أوقفت نظام الأمان مسبقًا.

كنت أنوي اختصار الطريق عبر الغابة. لكن الكوخ القديم في آخر الحديقة شدّني. الباب كان نصف مفتوح، يطرق مع الريح. وحين نظرتُ للداخل... كانت خدوش القطط ما زالت على الخشب. بعد عشرين عامًا.
لن أنسى أبدًا كيف حبستهم زوي في ذلك الكوخ.

تركتهم في الظلام البارد الرطب، تتجاهل صرخاتهم.
لا بد أنهم كانوا خائفين للغاية.
كان يجب أن تموت منذ زمن طويل على ما فعلته.

أغلقت باب الكوخ... وحاولت نسيان ما حدث هناك.

t.me/wadistreambooks

-٣٧-

حكايتها

الخميس ٠٠:١٥

أغلق ريتشارد أبواب السيارة ونحن نقود في الظلام.

قالت وهي تحاول ألا تُظهر مقدار خوفها الحقيقي:

— "لماذا فعلت ذلك؟"

— "لا أدري. غريزة؟ القيادة وسط هذه الغابة ليلًا تجعلني أشعر بالقشعريرة. ألا يحدث لكِ الشيء نفسه؟"

لم أُجب في البداية.

— "قلت إنك تعرف مكانًا يمكن أن نبقى فيه——"

— "نعم. أظن أن العثور على فندق آخر الآن سيكون مستحيلًا. كان والدا زوجتي يملكان منزلًا ليس بعيدًا من هنا، عشر دقائق على الأكثر. ماتا قبل بضع سنوات، والبيت من النوع الذي يقول عنه مكتب عقارات إنه *بحاجة إلى تحديث*، لكن فيه أسرّة وملاءات نظيفة، ولدي نسخة احتياطية من المفتاح. هل نُغامر؟"

لا أشعر أن لدي خيارات كثيرة؛ لا أريده أن يذهب بي إلى بيت أمي، ويبدو أن من الأنانية أن أُصرّ على أن نقود عائدين إلى لندن الآن، فبحلول الوقت الذي نصل فيه سيكون علينا الرجوع تقريبًا.

— "حسنًا." قلت، مرهقة جدًا لأكوّن جملة أطول.

شغّل تسخين المقاعد، وفتح الراديو، وبقدر ما حاولت ألا أفعل... أغمضت عينَيّ قليلًا.

كان يجب أن أتعلم الحذر أكثر بشأن المكان والوقت اللذين أغفو فيهما.

أحد آخر الأشياء التي أتذكرها بوضوح من حفلة عيد ميلادي السادس عشر هو أن جاك التقط صورة لنا نحن الخمسة. أما بقية تلك الليلة فكانت... ضبابًا مشوشًا في أفضل حالاته.

شربنا الكثير بعد رحيله، هذا ما أتذكره. ثم بدأنا نسرّح شعر بعضنا ونضع مساحيق التجميل. كانت زوي قد أحضرت بعضًا من أحدث تصاميمها التي صنعتها على ماكينة خياطتها لنجرّبها: فساتين قصيرة للغاية، وقمصان منخفضة، وتنّورات أقصر من أن تُسمّى تنانير.

رايتشل بدأت العمل على وجه كاثرين كيلي كما لو كان مشروعًا في درس الفنون. وضعت طبقة كثيفة من المكياج، وملأت حاجبيها الأصلعَين بقلم، ثم لصقت رموشًا سوداء صناعية فوق رموشها الشقراء. أعارتها زوي فستانًا، وتولّت هيلين تصفيف شعرها——رشّته بزجاجة الماء التي تستعملها أمي في الكيّ، ثم جففته بالسيشوار لتفرد تجعيداته الشقراء المائلة إلى البياض. قالت إن الوقت لا يكفي لفك جميع العقد، لذا قصّتها. ما زلت أتذكر خصلات الشعر المبعثرة على السجادة.

كان التحوّل مذهلًا... كاثرين أصبحت شبه غير قابلة للتعرّف. الأرواح مثل المصابيح؛ ليست صعبة التغيير كما يظن الناس. بدت جميلة، وكانت تعرف ذلك——وهي تطالع انعكاسها في المرآة بابتسامة عريضة.

قالت رايتشل:

— "حاولي الابتسام وفمكِ مغلق، لا أحد يريد رؤية تلك الأقواس القبيحة."

ففعلت كاثرين ما طُلب منها.

– "انظري لهذا الفم الصغير الجميل الآن. سيعشقكِ الأولاد." قالت ذلك وهي تربت على رأسها كما لو كانت حيوانًا مدللًا.

كان ابتسامها الجديد يبدو... غير مريح.

لم أعرف أي صبيان كانت تقصد، فنحن لا نتجول مع صبيان أصلًا، لكنني أظن أنّ ملامح الغيرة ظهرت على وجهي، لأنها عرضت أن تطلي أظافري. أمسكت يديّ وكتبت على أظافري طلاءً أحمر: GOOD على يد، و GIRL على الأخرى.

كنت قد شربت أكثر بكثير مما اعتدت عليه—بدأت الغرفة بالدوران—لكن رايتشل وهيلين وزوي قلن إنهن سيذهبن إلى المطبخ لإحضار المزيد، وتركنني مع كاثرين وحدنا في الصالة.

– "هل أنتِ سعيدة لأنكِ جئتِ؟" سألتها.

رمشت، وبدت رموشها الصناعية تُضخّم الحركة، فدهشت مجددًا من شكلها الجديد. ثم قالت لي أمرًا لم أكن أعرفه عنها... ولست متأكدة أن أحدًا كان يعرف. ربما لأن أحدًا لم يسألها يومًا. كانت مخمورة، جملها متقطعة بين فواق وفواق.

– "كانت لي أخت أكبر. كنا نفعل مثل هذه الأشياء سويًا... لكنها ماتت. كان لأبي قارب صغير وكنا نذهب معه في نهايات الأسبوع. هناك حدث الأمر. لكن قبل ذلك كان الإبحار ممتعًا، وعلّمنا كيف نصنع عقدًا كثيرة. انظري، سأريك."

سحبت رباطَي حذائها بحماس غريب.

– "هذه عقدة مربعة... وهذه الثمانية..."

كانت أصابعها سريعة، تربط وتلوي وتلف الأربطة قبل أن ترفعها لتُريني.

t.me/wadistreambooks

– "هذه عقدة منزلقة—مثل المستخدمة في أساور الصداقة—وهذه *بولين*، أحبها لأنها تسمح بالتحكم في مقدار انقباض الحلقة... أرأيتِ؟"

حدّقت في العقدة الأخيرة.

– "كيف ماتت أختك؟"

أشك أنني كنت سأسأل بهذه المباشرة لو لم أكن ثملة. فكّت أربطة الحذاء وأعادتها.

– "الناس يفترضون دائمًا أنها غرقت لأنه حدث ونحن في القارب، لكن الأزمة الربوية قتلت أختي. نسيت بخّاخها. أبي لام نفسه، ومنذ ذلك الوقت وهما حزينان جدًا.. جدًا. خسر والدي عمله، وباع القارب، وبيتنا لم يعد مكانًا لطيفًا. أظن لهذا لا أحد يتحدث إليّ أو يدعوني لشيء. حتى أنتِ... شكراً لأنكِ دعوتني."

همست:

– "على الرحب."

– "هل يمكنني حملها؟"

نظرت إلى القطة الرمادية النائمة على ركبتي. كيت كات. كنت ثمِلة لدرجة أنني نسيت وجودها.

– "بالطبع." ناولتها القطة.

حملتها كطفل، تهدهدها بين ذراعيها.

ظهرت رايتشل عند الباب وهي ترتدي معطفًا لم أره من قبل، بدا من الفرو—على الأرجح صناعي. نظرت إلى الساعة فإذا بها تقارب الحادية عشرة.

– "إلى أين؟" سألت.

ابتسمت، أشارت نحوي، ثم غنّت:

– "If you go down to the woods tonight..."

– "لا أريد الذهاب إلى الغابة. الجو بارد ومتأخر و—"

تجاهلتني. أشارت إلى كاثرين وغنّت السطر التالي، وضحكت زوي وهيلين خلفها.

لم تكن الغابة تخيفني نهارًا، لكن الليل كان يحوّلها إلى شيء آخر... مكان مظلم، خطر، مسكون بالاحتمالات السيئة. كانت حفلة عيد ميلادي، لكن من الواضح أن ما أريده أو لا أريده لم يكن يعني شيئًا.

أخذت رايتشل مصباح أمي اليدوي من المطبخ، وسارت. كان هناك ممر من حديقة منزلنا الخلفية يؤدي مباشرة إلى الغابة، وكانت تعرفه جيدًا.

أتذكر صوت سيرنا فوق بساط من الأوراق اليابسة.

أتذكر البرد.

وأتذكر رؤيتي لأربعة رجال يجلسون على جذوع أشجار متهالكة في ما كنت أظنه مكاننا السري. أشعلوا نارًا صغيرة تحيط بها حجارة بيضاء. كانت تصدر فحيحًا وشررًا.

ابتسموا جميعًا حين رأونا.

لم أعرفهم. حتى بعد ما حدث، لم أستطع وصف وجوههم. في ذاكرتي المحطمة بدوا جميعًا متشابهين: هزيلين، بشعر بني، وأعين سوداء صغيرة يحيط بها سواد. كانوا أكبر منا بكثير—أواخر العشرينات أو بداية الثلاثينات—يشربون الكثير من الجعة، علب مهشّمة حول أقدامهم.

كنت خائفة، لكن رايتشل كانت تعرفهم، وكذلك هيلين وزوي. ذهبن فورًا وجلسن على أحضانهم.

قالت رايتشل:

— "هذه آنا. جديدة... وبلغت السادسة عشرة أخيرًا. ألا تريدون تهنئتها؟"

— "عيد ميلاد سعيد يا آنا." قالوا بابتسامات غريبة.

كانوا يبدون... مسلّين بشيء ما.

وضعت رايتشل ذراعها حولي، ولاحظتُ معطفها مجددًا. ربما لأنني كنت أتجمد من البرد في الفستان القصير الذي أجبرتني على ارتدائه.

— "هل يعجبك معطفي الجديد؟ زوي صنعته لي."

كانت زوي تصنع كل شيء لصديقاتها: مقالم، أغطية وسائد، فساتين صغيرة. لكنني لم أر معطفًا من قبل. بدا حقيقيًا... بشكل مخيف.

قالت رايتشل:

— "سأدعكِ تستعيرينه إذا جئتِ لتسلمي على أصدقائنا الجدد. إنهم ينتظرونك."

أمسكت بيدي وقادتني إلى الرجل الأقرب. طلبت مني الجلوس على جذع شجرة بجواره. لم أُرِد، لكن لم أشأ أن أبدو وقحة. جلست بجانبه. كانت رائحته خليطًا من العرق والجعة. وحين بدأت أرتجف، مسح ساقي بيده الكبيرة القبيحة، قائلًا إنه سيمنحني الدفء.

جلست كاثرين بقربي، وكانت تبدو خائفة مثلي.

تناقلوا زجاجة فودكا، مع سجائر برائحة غريبة. أضافوا حطبًا للنار، وشغّلوا موسيقى راقصة. بدا الأمر غريبًا، فلا أحد كان يرقص. ظننتهم مدينين لرايتشل بالمال، فقد أخرجوا محافظهم ومنحوها مبالغ. ظننت أنها مقابل الحبوب التي أخرجتها من حقيبتها، لكن اتضح أن هذا لم يكن كل ما يدفعون لأجله.

قالت وهي تقرب يدها منا:

— "خذا واحدة."

كانتا قطعتين صغيرتين بيضاوين، تشبهان النعناع. لكنني كنت أعرف بما يكفي أنهما ليستا كذلك.

قالت كاثرين:

— "لا شكرًا." وهززت رأسي بدوري.

— "ألا تريدين الانضمام إلى عصابتنا يا كاثرين؟" سألتها رايتشل.

حدّقت الفتاة فيها... ثم أخذت الحبة، وبلعتها مع الفودكا.

ثم نظرت إليّ.

— "وأنتِ؟ لا تريدين أن تكوني الشاذة الجديدة، أليس كذلك؟"

أخذت الحبة. ابتسمت رايتشل... ثم قبّلتني أمام الجميع. غرست لسانها في فمي، ولاحقًا تساءلت هل فعلت ذلك فقط لتتأكد أنني ابتلعتها أم لا. صفق الرجال وهللوا.

خلعت حذائي.

كنت ثمِلة وبلهاء وباردة لأدرك ماذا تفعل. ربطت الرباطين معًا، ثم رمت الحذاء إلى أعلى الشجرة. علق على غصن مرتفع... وضحك الجميع.

همست في أذني:

— "الآن لن تتمكني من الهرب."

أرادت الرقص، فرقصنا. حتى شعرت بالدوار وسقطت. حتى وأنا ممددة على الأرض والغابة تدور حولي، كنت أحاول إبقاء عيني مفتوحتين. شعرت بالإرهاق فجأة. جذبت طرفي فستاني للأسفل، ورفعته من أعلى... ثم سمعت صوت كاميرتها.

كليك ــ تي ــ كليك. كليك ــ تي ــ كليك. كليك ــ تي ــ كليك.

ثم تلمسني وتقبلني أمام الجميع... وكنت سعيدة فجأة. سعيدة بما يكفي ألا أمانع.

وحين فتحت عيني مرة أخرى، رأيت هيلين على ركبتيها أمام أحد الرجال، وشعرها الأسود المجعد في قبضته. رجل آخر كانت يده تحت تنورة زوي، وكانت نصف عارية. كاثرين كانت بلا حراك على الأرض، وأحد الرجال ينزع ملابسها.

وضعت رايتشل يدها على وجهي، ووجّهتني نحوها، قبّلتني مجددًا، انزلقت يدها بين ساقي. كان الأمر لطيفًا... ثم تحولت اللمسات إلى أيدٍ

أخرى، خشنة. الرجل الذي جلست بجواره كان يعصر صدري بيد، ويدلك نفسه باليد الأخرى.

سمعت بكاءً. ظننت أنه أنا، لكنني رأيت كاثرين... عارية تمامًا، ووجهها في التراب. رجل فوقها، وآخر ينتظر.

قال الرجل:

— "هيا... لا تكوني باردة. على الأقل لامسيه. كلنا دفعنا لنحتفل بعيد ميلادكِ. كوني *فتاة جيدة* كما مكتوب على أظافرك."

نظرت إلى أصابعي.

همست:

— "ابتعد عني."

قالت رايتشل وهي تمسكني:

— "أنتِ من أردتِ الانضمام لعصابتنا. هذه هي عصابتنا. كيف تظنين أنني دفعت ثمن ملابسكِ الجديدة وإضاءات شعرك؟ تعقلي قليلًا يا آنا. إنه مجرد... جنس. سيؤلم أول مرة لكن بعدها ستكون الأمور بخير. فقط... ارتاحي."

لكنني لم أرد الراحة. الخوف اجتاحني... ثم الغضب. صفعت الرجل، دفعت رايتشل، ونهضت.

صرخت:

— "ابتعدا عني عليكم اللعنة!"

قال الرجل:

— "أريد أموالي."

قالت رايتشل:

— "استعمل الأخرى. أعطيك خصمًا."

رأيته ينضم للرجال الآخرين. لم يعودوا يصطفون بانتظام.

t.me/wadistreambooks

أعرف أنني كان يجب أن أساعدها. أعرف. كان يجب أن أمنعهم عنها. هي كانت ضيفتي. أنا من أحضرتها. لكن خوفي كان أكبر.

لا أعرف كم واحد منهم تناوب عليها. شاهدت، مذهولة، أبحث عن ملابسي، ورايتشل تصوّرهم.

أنا خجلانة من نفسي:

لم أفعل شيئًا.

وحين وجدت شيئًا أستر به عُريي... ركضت إلى البيت حافية... دون أن ألتفت.

***

قال ريتشارد:

– "وصلنا."

كنت متعبة... لست متأكدة إن كنت نائمة أم أرتاح. أطفأ المحرّك، وحين نظرت عبر النوافذ... رأيت أننا محاطون بالأشجار. السيارة باردة، كأننا توقفنا منذ مدة. ولا أعرف كم الوقت.

– "أين نحن؟" سألت وأنا أبحث عن هاتفي لمعرفة الساعة.

لكن البطارية ماتت... والكون كلّه بلا شبكة، بلا أحد أعرفه، بلا طريقة تواصل... كل ذلك أشعرني بالذعر.

لا بد أنه رأى ذلك على وجهي.

– "منزل والدي زوجتي، تذكّري؟ أعدك أنني لم أجلبك للغابة كي أقتلك."

ابتسم لنكتته... لكنني لم أفعل. بعد القصص التي عملنا عليها في اليومين الماضيين... الأمر لا يبدو مضحكًا إطلاقًا.

– "آسف، لدي حس دعابة سيئ دائمًا، وكما تعلمين، أنا مرهق. المدخل هناك، انظري."

قلت وأنا أحدق:

– "لمن هذه السيارة المتوقفة؟"

– "لزوجتي."

– "زوجتك؟ هل كنت تعلم أنها ستكون هنا؟"

– "طبعًا لا. أتظنين أنني أريد لزوجتي أن تقابل شخصًا كنتُ أخونه معها؟ إنه وقت متأخر جدًا. علينا البث بعد ساعات. لا أعرف ما الذي تفعله هنا، كنت أظنها في لندن. لكنها على الأرجح نائمة الآن. لدينا طفلان صغيران. لن تريها أصلًا."

– "لكن لماذا جاءت؟"

– "لا أعرف. كنا نتحدث كثيرًا عن أنها يجب أن تأتي لترتيب أشياء والديها تمهيدًا لبيع هذا الخراب. ربما مع ضجة بلاكداون في الأخبار... قررت أن تفعل ذلك."

– "الأمر... محرج قليلًا."

– "الوقت متأخر جدًا. وهي لا تعرف شيئًا عنّا. لا أرى أي ضوء، هل ترين؟"

مدّ يده ليفتح الباب، لكنني لم أتحرك. شعرت بخطر.

– "آسفة يا ريتشارد. أعلم أن ذلك كان منذ زمن بعيد... لكنني لا أشعر بالارتياح لمقابلة زوجتك."

قال:

– "عما تتحدثين؟ لقد التقيتما بالفعل."

باقي واحدة أخيرة فقط.

كان العثور على وسيلة لجلبها إلى هذا البيت القديم وسط الغابة تحديًا في البداية... لكنه في النهاية لم يحتج أكثر من مكالمة واحدة. الحلول للمشكلات الصعبة غالبًا ما تكون بسيطة.

أعترف... أنا متعبة الآن. لكن كما كانت تقول أمي: إذا عزمت على فعل شيء، فافعليه بإتقان. وأنا أنوي إتمام المهمة. لأنهم جميعًا يستحقون الموت.

استعملت رايتشل هوكينز الجنس لتحصل على ما تريد. وحين لم يعد يكفي... استعملت الآخرين. بدأ الأمر بتلاعبها بصديقات المدرسة، والتقاط صور شبه عارية لهن، وبيعها لرجال الحانة المحلية. الصور التي باعتها لم تُظهر وجوهًا. أما تلك التي تُظهر... فاحتفظت بها للابتزاز. جنت مالًا وفواحش من هذا، ومضت إلى ما هو أسوأ.

حين يملّ الرجال من إحدى الفتيات... تملّ هي منها أيضًا. وتلقي حبّها واهتمامها على أخرى.

أصبحت صورها أكثر... إبداعًا. فتيات مراهقات... مخمورات، محشوّات بالمخدرات، حتى يُسدلن كل ملابسهن طوعًا، ويسمحن لها بالتصوير. عيون نصف مغلقة... لكن الأرجل مشرعة. لم أرَ وجه رجل واحد في الصور... لكنني رأيت الأيدي: أصابع قذرة... تلمس... تمسك... تخدش... تقرص... وتغرز نفسها في أماكن لا ينبغي.

احتفظت بالصور في علبة أحذية في خزانتها.

هناك وجدتها... ولم يعجبني ما رأيت.

عليك أن تفهم... لقد شهدتُ أشياءً مروّعة في حياتي. البشر قادرون على إحداث بؤس لا يوصف—لأنفسهم وللآخرين. كم تمنيت لو أستطيع محو بعض ما رأيت من ذاكرتي. الشرطة والصحفيون يتعرضون لهذه الفظائع كل يوم، لكنها تُنشر ليراها العالم ليُقام العدل.

أما ما حدث في بلاكداون منذ سنوات... فليس للعالم أن يعرفه. لكن الذين فعلوه... لا بد أن يُعاقبوا.

لم تكن الأخريات سيئات مثل رايتشل. هي من حوّلهن إلى أسوأ نسخ من أنفسهن. لكنّهن سمحن لها. كان بإمكانهن الرفض. هناك دائمًا اختيار.

وقد اخترن... الاختيار الخطأ.

t.me/wadistreambooks

-٣٨-

حكايته

الخميس ٠٠:٣٠

أعتقد أنني ربما أسأت فهم الأمور.

ربما بسبب الكحول، أو الإرهاق، أو هول ما حدث كلّه.

فما إن تقترح پريا أن آنا في خطر، حتى يخطر ببالي أنها قد تكون محقّة.

أحتاج إلى العثور عليها، لكنني لا أعرف كيف أو أين، والجميع يراقبني.

تتوالى النظرات الجانبية من زملائي فيما يتردّدون داخل البيت الذي كان منزلي. وعندما أحاول أن أرى نفسي من خلال أعينهم، تبدو الصورة قاتمة. لا آثار لاقتحام. سكين مفقود من مطبخي. لديّ صلة بكل واحد من الضحايا. وصورة تجمعهم ووجوههم مشطوبة — وعليها بصماتي — وُجدت في منزلي.

لم أكن صادقًا بشأن علاقتي برايتشل هوبكنز، ولا بشأن وجودي معها في الغابة ليلة موتها. كنت أظن أن زوي وحدها تعرف، لكن تبيّن أن هيلين وانغ كانت تعرف أيضًا. كلتاهما ماتت الآن. لا تبدو الأمور في صالحي؛ أيًّا كان المنظور. حتى أنا بدأت أشكّ في نفسي.

كان لي صديقٌ متخيّل في طفولتي، وكنت ألومه كلما فعلتُ أمرًا خاطئًا — مثلما يفعل الكثير من الأطفال — وهذا لا يعني أنني أتظاهر بالبراءة الآن.

لم أقتل أختي.

عندما مات والداي، حجبتُ الأمر عن ذهني طويلًا. أحيانًا ما أزال أفعل ذلك. لكنني لا أستطيع نسيان صورة زوي وهي ملقاة في حوضٍ من ماءٍ محمَرّ بالدم، مع شقٍّ في معصمَيها وعينٍ واحدة مُخاطة. مهما فعلت أو لم تفعل، فلا أحد يستحق أن يموت هكذا. من فعل هذا بها وحش، وأنا أنوي العثور عليه والتعامل معه بطريقتي.

لكن أولًا... يجب أن أعرف أن آنا بخير.

أتصل برقمها للمرة العاشرة. يذهب مباشرة إلى البريد الصوتي، وكأنه مغلق أو نفدت بطاريته. طوال عشر سنوات من زواجنا، لم تُطفئ آنا هاتفها يومًا.

أحتاج للعثور عليها، لكن سيارتي ما زالت في بيت پريا. أرى مفاتيح زوي في الطبق عند المدخل وأتجه إلى الباب.

تقول پريا وقد ظهرت فجأة:

— "إلى أين أنت ذاهب؟"

— "أخرج قليلًا لأتنفس الهواء."

تهزّ رأسها وتتنحّى جانبًا:

— "حسنًا. لا تبتعد كثيرًا."

حتى هي بدت وكأن الشك تسلل إليها.

أخرج إلى الحديقة الأمامية، أبتلع جرعات كبيرة من هواء الليل البارد، محاولًا الإفاقة. أرى پريا تراقبني من النافذة وأنا أشعل سيجارة. وما إن ألوّح لها بكسل حتى تختفي خلف الستارة. وما إن تغيب... أقفز إلى سيارة زوي وأتراجع عن الممر بأقصى سرعة.

أوّل مكان أقصده هو الفندق. موظفة الاستقبال نائمة، رأسها مسند إلى ذراعيها فوق المكتب، وجديلة طويلة كأنها حبلٌ يمتدّ من كتفها. أطرق بقوّة فترفع رأسها غاضبة، ثم تتجه نحوي وهي تمسك بمفاتيح كبيرة، لكنها لا تبدو راغبة في استعمالها.

– "أغلقنا... ونحن ممتلئون."

تنطقها ببطء خلف الزجاج، لا أعلم أهي مشكلة لغة أم أنها تعتقد أنني لا أفهم.

ألوّح بشارتي فتفتح.

– "أحتاج أن أتحدث إلى إحدى النزيلات لأمرٍ طارئ."

يتحوّل وجهها إلى قناعٍ من الذعر.

– "لا أعرف إن كان مسموحًا لي إيقاظ الناس بعد منتصف الليل."

– "قد لا يكون مسموحًا لك. لكنه مسموحٌ لي. اسمها آنا أندروز."

– "كانت هنا قبل قليل!"

تبتسم كأنها ربحت جائزة.

– "ممتاز. أيّ غرفة؟"

– "لا توجد غرفة. الفندق ممتلئ."

فقدتُ أعصابي قليلًا دون قصد.

– "لا أفهم، قلتِ إنها كانت هنا."

– "كانت هنا قبل ساعة. كانت تعتقد أن لديها حجزًا، لكن أحدهم ألغاه. فغادرت."

– "غادرت... مع من؟"

– "كان معها رجل. بدا وكأنه يعرف إلى أين سيذهبان."

ذلك المصوّر الحقير، بلا شك.

أشكرها وأغادر، وأدور حول البلدة مرتين أبحث عن سيارة الطاقم الزرقاء القبيحة التي أظنه يقودها، آملًا أن أرى أي أثر لآنا. أتوقف عند إشارة حمراء، لكن عند الثانية أتجاهلها. ثم، لعدم وجود خيار أفضل، أتجه إلى منزل والدتها. رغم كراهيتها للذهاب إلى هناك، فقد تكون قضت الليل عندها إن كان الفندق ممتلئًا.

t.me/wadistreambooks

أطرق الباب. لا شيء. لا ضوء. أبحث تحت الأصيص... المفتاح مفقود. لحسن الحظ، صنعت نسخة قبل أسابيع قليلة — لديّ هوس غريب بجمع المفاتيح الإضافية — ومع تدهور ذاكرة حماتي، بدا الأمر منطقيًا. بعد محاولات عدّة، ينفتح الباب.

أشغّل الضوء... فأفاجأ بصناديق مكدّسة في كل مكان.

قالت دائمًا: *"لن أخرج من هذا البيت إلا في تابوت."*

كنت أظن أنها تتمسّك به لذكريات زوجها. لكن آنا كانت تقول العكس. فزواج والديها انتهى بشكل سيء؛ والدها تركهما واختفى. لم يتحدثا عنه قط، ولا توجد صور له. كانت تقول إنها لو رأته في الشارع فلن تعرفه.

أحاول تشغيل مصباح آخر... لا يعمل. أستخدم ضوء هاتفي وأتقدّم بين الفوضى. أصل إلى المطبخ... ألحظ الزجاج المكسور على الأرض والباب الخلفي المحطّم. أحدهم اقتحم المكان.

أركض إلى الأعلى. غرفة الأم خالية. السرير مرتب. أخرج وأتجه لغرفة آنا القديمة... لا أحد.

أهمّ بالنزول حين أسمع خطوات تطأ الزجاج في الأسفل. أختبئ خلف الباب، ثابتًا بلا حركة. أستمع... الخطوات تقترب... تعبر المطبخ... تتسلّق الدرج. أتحسس جيوبي بحثًا عن أي شيء للدفاع... لا شيء. ينفتح باب الغرفة الأولى... يصدر صريرًا... ثم تقترب الخطوات من غرفتي.

ما إن يدخل حتى أدفع الباب بكل قوتي، أطرحه أرضًا مستغلًا طولي. يسقط. أشغّل الضوء.

ولا أصدق من أراه.

لم أكن أتوقع أن يكون شخصًا أعرفه.

-٣٩-

حكايتها

الخميس ٠٠:٥٥

— "ماذا تعني بأنني أعرف زوجتك؟"

يسألني ريتشارد، مذهولًا.

— "أنا جادة."

أندم على العبارة فور نطقها.

يهزّ رأسه ضاحكًا:

— "يا للعجب... كيف تعيشين لسنوات دون أن تدركي ما يحدث في حياة الآخرين؟ هل أنتِ منشغلة بنفسك إلى هذا الحد؟ أنا أعرفك منذ سنوات، ونمنا معًا... ولا تعرفين شيئًا عني؟"

— "بل أعرف. لا تتوقف عن الحديث عن أطفالك... وأنظر إلى صورهم طوال الوقت. من زوجتك إذن؟"

— "كات."

— "كات من؟"

— "كات جونز. المرأة التي تقدّم نشرة الواحدة، كما كنتِ تفعلين أنتِ. عادت من إجازة الأمومة للتو. حتى أننا نحمل اللقب نفسه، ولو أنه أكثر شيوعًا مني."

— "أنت متزوّج من كات جونز؟"

— "أعلم أنها تفوقني بدرجة... لكنك قلتها بطريقة جارحة."

– "لماذا لم تخبرني؟"

– "كنت أظن أنك تعرفين. الجميع يعرف. الأمر ليس سرًا."

نصف غرفة الأخبار على علاقة ببعضها أو متزوّجون، وأنا الأسوأ في متابعة تلك الأحاديث. ومع ذلك... يصعب تصديق الأمر. هي من اقترحت أمام الفريق كلّه أن أذهب لتغطية هذه القصة. أصرت، كأنها تعرف أنني لا أريد العودة إلى بلاكداون. لكنها لم تعرف صلتي بالمكان... أو هكذا ظننت. فأنا لا أتحدث عن حياتي الشخصية مع أحد.

– "لا بد أنك سمعتِ قصتي مع كات. كان لديها مطارد... وجدته في حديقة منزلنا بعد ولادة ابنتنا الأولى. ظننت أن غرفة الأخبار بأكملها تعرف بالأمر. كان يصوّرها وهي تُرضع. ضربته قليلًا... وفوجئت باتهامي بالاعتداء. هل تصدّقين؟"

لا أعرف إن كنت أصدّقه. لا أعرف ماذا أصدّق أصلًا. أعرف فقط أنني لا أريد دخول هذا البيت.

– "هل يمكنني استعمال هاتفك لإجراء مكالمة؟"

أشعر برغبة غريبة ومفاجئة في الاتصال بجاك.

– "قلت لك في الفندق... لا أجد هاتفي. ربما اتصلت كات لتخبرني أنها آتية، لكنني لم أتلقَّ الرسالة. إما أنني فقدته أو سُرق. لكن لديّ الشاحن... استخدميه عندما ندخل."

يفتح بابي كأنه يدعوني للنزول:

– "هل ستأتين... أم تفضلين النوم في السيارة؟"

أتردّد... ثم ألحق به.

في الخارج، القمر نصف مكتمل، بالكاد ينير طريقًا ابتلعته الأوراق اليابسة والأغصان. الحديقة تبدو مهجورة منذ سنوات.

– "هذا غريب"، يقول ريتشارد.

t.me/wadistreambooks

— "ما الأمر؟"

— "هناك سيارة أخرى."

أرى السيارة الرياضية... لكنني لا أعلّق. كل شيء غريب.

نقترب من المنزل. يبدو كمنزلٍ في فيلم رعب: بناء خشبي قديم، مغطى باللبلاب، نوافذه كعيونٍ مطفأة.

يفتح ريتشارد الباب ويدخل. يشغّل الضوء... فأتنفّس الصعداء. يناولني الشاحن ويقول إنه سيصعد ليرى كات. يطلب مني أن "أتصرف كأنني في بيتي" رغم أنه مكب *نفايات* على حد وصفه.

أشعر بالذنب لقسوتي عليه:

— "أنا آسفة... فقط مرهقة."

— "لا بأس. لقد كنتِ نحلة نشيطة."

نبرة صوته جعلتني أرتجف.

أحاول المزاح:

— "النحل ليس نشيطًا كما نظن. يمكنه النوم داخل الأزهار لثماني ساعات . وهم متشابكي الأرجل."

— "ومن قال لك ذلك؟"

— "أمي."

فيملأني الحزن.

— "أوه نعم... نسيتُ أن والدتك تربي النحل."

غريب... لا أذكر أنني أخبرته.

أبقى وحدي في الردهة. أجد مقبسًا مرتخيًا... أجرّب حظي وأشحن هاتفي. يعمل... فأشعر ببعض الطمأنينة.

أدخل غرفة الجلوس. رائحة الغبار... ديكور سبعيني... مدفأة استخدمت حديثًا. أتقدّم نحو الصور فوق الموقد. أرى ريتشارد وكات

وطفلتيهما... ثم صورًا أخرى لكبار السن... لا أعرفهم. ثم... صورة لفتاة مراهقة أعرفها.

شعر أشقر أبيض مجعّد وفوضوي. بشرة باهتة. أذنان بارزتان. ابتسامة مشدودة خلف دعامات الأسنان.

كانت كاثرين كيلي... ذات الخمسة عشر عامًا.

أحد وجوه الماضي... من تلك الليلة في الغابة.

والآن... كات جونز.

أشعر بدوار.

لم تعد بعد تلك الليلة. اختفت. انتشرت الشائعات بأنها انتحرت. ولم نرها مجددًا. حتى أنا.

أو هكذا اعتقدت.

كانت تعرفني طوال هذا الوقت. رأَتني في غرفة الأخبار... ولم يتغيّر اسمي... لم أتغيّر كثيرًا.

أما هي... فقد غيّرت وجهها كلّه تقريبًا.

لكن عينيها... هما هما.

يبدأ الهلع بالتمدد داخلي.

أحتاج أن أخرج.

أحتاج أن أتصل بجاك.

أركض إلى الردهة. هاتفي غير موجود. كان هنا... يشحن. اختفى. أخذه أحدهم.

أستدير... لا أحد. حتى الآن.

أتذكر الهاتف الدوّار القديم في غرفة الجلوس. أتوجه إليه، أتصل برقم جاك الذي أحفظه. أمسك السماعة... الخط ميّت.

ثم أسمع خطوات في الأعلى.

يقفون فوقي تمامًا.

ربما هي.

ربما هو.

ربما كلاهما.

أركض نحو الباب. أو أحاول... قبل أن يدوّي صراخ مروّع.

t.me/wadistreambooks

أحيانًا يسهل التنبؤ بردود أفعال الآخرين.

أسهل ممّا ينبغي.

ربما لأننا متشابهون.

هناك طاقة تمر بيننا، كتيار كهربائي. نحن مصابيح. يسطع بعضنا أكثر.

يهدينا البعض.

وبعضنا... يخفت.

وعندما يبدأ الضوء بالوميض... أظن أنه يجب التدخل.

لا أحد يحب أن يُترك في العتمة.

t.me/wadistreambooks

-٤٠-

حكايته

الخميس ٠١:٠٠

أضأتُ المصباح، لكن بعد مرور ثوانٍ قليلة، ما زلتُ غير قادر على تصديق مَن تكون تلك التي أحدّق فيها وهي ممدّدة على أرض غرفة نوم طفولة طليقـتي.

كانت **بريا** تنزف من أنفها بسبب دفعي الباب في وجهها. تجلس منهارة، ترتجف وهي مسنودة إلى الجدار، لكن ما أشعر به تجاهها هو الشك، لا الشفقة.

أسألها:

— "ماذا تفعلين هنا؟"

— " قلتُ لكِ ألا تترك بيت أختك. لا تبدو مدركًا أنكِ أصبحتِ مشتبهًا به في نفس القضية التي كنت تتولي التحقيق فيها."

— "أنا مدرك لهذا، ولهذا عليّ أن أعرف مَن يحاول تلفيق التهمة لي. أنتِ لم تجيبي عن سؤالي... كيف عرفتِ أنني هنا؟"

— "لقد تتبعتك."

أعرف جيدًا حين يكون أحدهم يتبعني. لم يكن هناك أحد في الشوارع عندما قدتُ السيارة إلى هنا؛ إنها تكذب. يتسارع ذهني عبر أحداث الأيام الماضية: الأدلة المزروعة في سيارتي، الرسائل النصية على هاتف رايتشل، الإحساس الدائم بأن أحدًا يراقبني. ثم أتذكر أختي، وهي ممدّدة

في حوض مليء بالماء الأحمر. أنا متأكد أن مفاتيح بيتي المفقودة كانت في سترتي – تلك التي تولّت پريا تعليقها على الشماعة الفخمة في بهوها. كان بإمكانها أخذها قبل أن تختفي بطريقة غريبة الليلة.

أسألها:

– "هل يعرف أحدٌ آخر أنكِ هنا؟"

تهز رأسها نفيًا.

– "هكذا فقط خرجتِ دون أن تخبري أي أحد إلى أين ذهبتِ؟ من المفترض أنكِ تديرين التحقيق الآن بعد أن تنحّيتُ أنا عنه."

– "كنتُ قلقة عليك. لم أعرف ماذا أفعل. أنا أثق بك، لكن الطريقة التي أخذت بها سيارة أختك وغادرت مكان الحادث... بدا الأمر سيئًا. الناس بدأوا... يتحدثون. وظننتُ أنه لو استطعتُ العثور عليك وإعادتك——"

أقاطعها:

– "هذا لا يفسّر كيف عرفتِ أنني سأكون هنا."

أهبط إلى مستوى وجهها.

فتسأل بصوت صغير وعينين واسعتين:

– "ماذا تفعل؟"

– "اهدئي. أحاول فقط معرفة إن كان أنفك مكسورًا. لا تتحركي."

ينساب خيط جديد من الدم من فتحة أنفها اليمنى. ثم تهز رأسها، وكأنّ الاعتذار يسقط من فمها.

– "آسفة يا سيدي... أنا فقط أرتكب الأخطاء دائمًا."

يصعقني الشعور بالذنب حين تبدأ بالبكاء. تبدو كطفلة خائفة، وأنا السبب. لا أريد لپريا أن تخاف مني، ودموعها تغيّر زاوية رؤيتي؛ ربما كنت مخطئًا. أشعر نفسي كعجوز مصاب بالبارانويا. ترتجف حين أُدخل يدي في جيبي، لكن وجهها يحاول الابتسام حين أقدم لها منديلًا نظيفًا.

– "أنت تعرفين أنني لستُ متورطًا، أليس كذلك؟ لن أؤذي أختي. لن أؤذي أحدًا."

تلمس أنفها وتحس بالألم، فأفهم صمتها. أضيف:

– "لم أعرف من كان يصعد الدرج. أنا آسف. لم أكن لأؤذيك عمدًا. أظن أن من قتل الآخرين قد يحاول قتل آنا أيضًا. جئتُ إلى هنا بحثًا عنها، لكن البيت فارغ. أحدهم كسر زجاج الباب في الأسفل. ربما أدركت آنا الخطر الذي يهددها، واصطحبت والدتها إلى مكان آمن."

تسأل پريا:

– "هل حاولت الاتصال بها؟"

– "مرات عدة."

أساعدها على الوقوف، ثم أبحث عن هاتفي لأجرّب آنا مجددًا، لكن الاتصال يتحوّل مباشرة إلى البريد الصوتي كما كان من قبل. إما أنها أغلقت هاتفها، أو أن أحدًا آخر فعل.

تقول پريا:

– "هناك شيء يجب أن أخبرك به."

أحاول ألا أظهر رد فعلي رغم أن رأسي امتلأ بضجيج يشبه انفجارًا صغيرًا.

– "أحد الضباط تعرّف على الفتاة المجهولة في الصورة التي وجدناها في منزلك. يقسم أنه عرفها حين كانا طفلين. اسمها **كاثرين كيلي**. هل يعني لك هذا الاسم شيئًا؟"

بم يعني لي شيئًا، فأنا سيئ جدًا بالأسماء.

– "لا."

– "نعرف الآن أنها متزوجة، ونعتقد أنها تعيش في لندن، لكن ما زال ليس لدينا عنوان حديث. عندما كانت هنا، كانت تعيش مع والديها في

عقار داخل **غابة بلاكداون**. كان كوخًا لحارس صيد منذ مئة عام، لكنه مهجور الآن. مات والداها، ومنذ ذلك الحين وهو خالٍ."

أقول:

— "ربما يجدر بنا التحقّق."

— "أظن ذلك أيضًا. لكن كما قلتَ... التحقيق مسؤوليتي الآن. إن ذهبنا، فيجب أن نذهب معًا."

وأعترف لنفسي أنه قد يكون من اللطيف ألا أكمل هذا الطريق وحدي.

— "نعم، يا رئيسة."

تبتسم.

ننزلق في صمت نحو الأسفل، وكأننا نجمع شتات أفكارنا. لكن عند آخر درجة، أسمع شيئًا.

هناك باب ثانٍ في المطبخ يؤدي إلى غرفة صغيرة ملتصقة بالبيت. كانت أم آنا تستخدمها كجراج قديم — حين كانت تقود — لكنها الآن مخزن للخضروات العضوية على الأرجح. أسمع خطوات متخفّية هناك، وپريا تسمعها معي.

أشير لها أن تختبئ خلفي، وأتسلل نحو الباب. أدفعه سريعًا، وأشغّل الضوء... فأجد عينين مذعورتين تحدّقان بي.

ثعلب كبير يأخذ قضمة أخيرة من كيس جزر، ثم يهرب عبر ثقب صغير في الجدار.

تضحك پريا وأضحك معها — نحتاج شيئًا يكسر هذا التوتر.

تسأل:

— "ما هذا؟"

أبتسم وأنا أرى الشاحنة البيضاء القديمة التي كانت تستخدمها والدة آنا عندما كانت تدير شركة التنظيف. تقاعدت قبل عامين فقط — بعد

t.me/wadistreambooks

إلحاح شديد — ولا أظن أن الشاحنة ستشتغل الآن. على جانبها رسمٌ لنحل طائر وشعار:

النحلات العاملة — لخدمات التنظيف.

أقول:

— "حماتي كانت تنظّف لنصف القرية."

فترد پريا، وهي تحدّق في الصناديق والفوضى:

— "لم أكن لأتوقع هذا."

أشرح لها بلطف :

— "حالها لا يسير على ما يرام." أقصد أنها أصيبت بالخرف.

فتقول:

— "لاحظتُ أدوية السرطان في المطبخ. هي نفس الأدوية التي كانت أمي تتناولها... للأسف دون فائدة."

تقرؤ نظراتي دون أن أتفوّه بشيء.

— "أسفة... ظننت أنك تعرف."

لم أكن.

تقول:

— "علينا أن نتحرك."

وأعرف أنها محقّة.

نخرج إلى السيارة، والشارع الخالي غارق في الظلام. أتساءل هل تعرف آنا مرض أمها، ثم أقلق مجددًا بشأن مكانهما الآن. يتسرّب ذهني إلى المصوّر وسجله الإجرامي. لدي رقم **ريتشارد** في هاتفي، وبعد أن فتشته جيدًا أعرف عنه كل شيء تقريبًا. متزوج من مقدّمة برامج أخرى في الـBBC، ولهما طفلان، لكن هذا لا يعني شيئًا. أتصل به على أمل أن يكون مع آنا، أو يعرف مكانها.

أسمع هاتفه يرن.

ليس فقط من الطرف الآخر... بل بجانبي مباشرة، كأنه هنا في حديقة أم آنا.

الظلام دامس، فأغلق الاتصال وأبحث عن ضوء الكشاف في هاتفي. أشعله... فأرى پريا تمسك هاتفًا ليس لها.

t.me/wadistreambooks

-٤١-

حكايتها

الخميس ١٠:٠١

أنا واثقة أن الصرخة لم تكن لامرأة ولا لطفل؛ كانت **ريتشارد**.

هناك صرخة أخرى في رأسي، إنها صوتي، تأمرني بأن أخرج فورًا من هذا البيت. تتردد أصابعي فوق مقبض الباب الأمامي، لكنني لا أستطيع المغادرة هكذا. ماذا لو كان مصابًا؟ ماذا لو استطعت مساعدته؟ قال **جاك** إنني دائمًا أهرب من مشكلاتي. ربما حان الوقت لأتوقف.

أخبر نفسي أن هذا ليس فيلم رعب، وأعود نحو الدرج.

أعتلي أول درجة وأمسك الدرابزين، كأنه الشيء الوحيد الذي يمنعني من السقوط. مواجهة الخوف لا تجعلني أقل خوفًا. رائحة الرطوبة الممتزجة بشيء غريب تجعل معدتي تنقلب، لكني أتابع الصعود رغم ذلك.

أنادي:

— "ريتشارد؟"

ولا يجيب.

أصل إلى الطابق الأول، فأجد نفسي في نهاية ممر طويل مغطى بشباك العنكبوت. كل الأبواب مغلقة... إلا الباب الأخير في نهاية الردهة. إنه نصف مفتوح، يُلقي شريطًا من الضوء الخافت في الظلام.

أضغط على زر المصباح... لا شيء.

t.me/vadistreambooks

أنادي ثانية:

– "ريتشارد؟"

ولا صوت.

أتقدم خطوة، واللوح الخشبي العجوز يئن تحت قدمي. لا أستطيع تخيّل نشأة شخص في مكان كهذا؛ يبدو كمنزل أشباح من مدينة ملاهٍ... لكنه حقيقي. ليس غريبًا أن **كاثرين كيلي** كانت غريبة الأطوار في المدرسة، إن كان هذا بيت طفولتها.

الصرير يتكرر تحت وزني، وأذكّر نفسي أن كاثرين كيلي هي **كات جونز**. ولا شيء في هذا المشهد يبدو طبيعيًا.

الصوت الداخلي يصرخ بي لأعود أدراجي... لكنني لا أفعل.

أتقدم، خطوة بعد خطوة، كل خطوة ثقيلة بالرهبة، حتى أصل إلى الباب. أستنشق بعمق، وأدفعه.

ولا أتحرك.

كات جونز تتدلّى من عارضة في السقف، ربطة مدرسة **سانت هيلاري** ملتفة حول عنقها كأنها مشنقة.

عيناها مغمضتان. ما زالت ترتدي الفستان الأبيض الذي ظهرت به في نشرة الظهيرة. ساقاها وقدماها العاريتان تبرزان من أسفل الفستان، وكأن أحدهم نزع حذاءها. قدم واحدة لا تزال متوازنة بشكل غريب على كرسي مائل، وأطراف سوار صداقة أحمر وأبيض بارزة من فمها المفتوح قليلًا.

المرأة التي أصبحتها كات تختلف تمامًا عن الطفلة التي كانتها... لكنني أرى تلك الطفلة الآن، مختبئة تحت الجلد. كل شيء يبدو واضحًا حين نعرف ما نبحث عنه.

أتقدم خطوة، وأكاد أتعثر بشيء على الأرض.

إنه **ريتشارد**.

ممدد على وجهه، وبركة صغيرة من الدم حول رأسه. الضربة التي تلقاها كانت قوية إلى حد أنها حفرت فجوة في جمجمته، وطعنات كثيرة تشوّه ظهره.

أتجمّد.

أخشى لمسه، ويداي ترتعشان بلا توقف. أنحني، وأبحث عن نبض. وعندما أجده... يندفع بي شعور بالارتياح يكاد يكسرني. إنه حي. يجب أن أطلب الإسعاف، لكن هاتفي اختفى، وأعرف أيضًا أن من فعل هذا لا يزال هنا. ليس فقط في البيت... بل في الطابق نفسه.

لم يخرج أحد منذ صرخ ريتشارد.

قشعريرة تزحف على جلدي كجيش كامل، فأفهم أنني كنت سأراه لو مرّ بجانبي، أو على الأقل أسمعه؛ هذا البيت يصرخ تحت كل خطوة. لكنه الآن صامت... صامت كقبر. لا صوت سوى طقطقة الجسد المتدلّي من السقف، مثل بندول بطيء يئن. أتمنى لو يتوقف هذا الصوت.

هنا تتكوّن الصورة، رغم الثقوب. لا أرى تفسيرًا آخر: **كات جونز** لابد أنها هاجمت ريتشارد قبل أن تقتل نفسها.

ثم أرى هاتفي على طاولة الزينة... بجانب سكين مطبخ.

أهمس في أذن ريتشارد:

— "سأطلب النجدة. سأعود بسرعة، فقط تمسّك."

لا يفتح عينيه، لكن شفتيه تتحركان:

— "حي..."

— "أعلم... أعدك أنني سأعود."

يحاول قول شيء آخر. شفاهه تتحرك بصعوبة، وكلمات مبهمة تخرج. عليّ أن أسرع. الوقت ينفد.

أقف، وأنظر إلى هاتفي على الطاولة... خلف كات مباشرة. يجب أن أمرّ بجانبها.

t.me/wadistreambooks

جسدها الميت ما يزال يتأرجح قليلًا، وصوته أسوأ من المنظر.

صرير... وصرير... وصرير...

يأنّ ريتشارد من الألم.

— "اخرجي."

يهمس، لكنني أسمعه واضحًا.

لأن صوت التأرجح... توقف.

أرفع بصري، فأراها.

عينا كات الحمراوان مفتوحتان تمامًا. جذبت الكرسي إليها بقدميها، وتستند عليه الآن، واقفة على أطراف أصابعها. بدأت تفكّ عقدة المشنقة حول عنقها. أتذكر فجأة عرضها لكل عقد الإبحار التي كانت تربطها بسير حذائها ونحن صغار. يركض ذهني، يحاول إيجاد منطق لما أراه... ويصل إلى استنتاج واحد: هذه خدعة بشعة.

لكن لماذا تتظاهر بالانتحار؟ ولماذا تهاجم زوجها؟

إلا إذا كانت تعرف بشأن علاقتي به...

أقف بلا حركة، كتمثال من الجليد، وهي تفك العقدة ببطء، لا ترمش، تحدّق بي بنظرة كراهية خالصة.

t.me/wadistreambooks

-٤٢-

حكايته

الخميس ٠١:١٥

ترمق پريا الهاتف ثم تنظر إليّ من جديد.

أسألها :

— "لماذا بحوزتكِ هاتف المصوّر؟" أسألها، متمنيًا أن تملك إجابة... وأن أستطيع تصديقها.

تقول:

— "لم أكن أعرف أن الهاتف له. وجدته هنا ملقى على الأرض بجوار الزجاج المكسور، خارج الباب الخلفي."

إذن لديها إجابة... لكنني لا أصدقها. لم أعد أصدق شيئًا.

يعود الخوف إلى عينيها، وأتساءل هل ينعكس الشيء نفسه على وجهي. إن كانت پريا متورطة في هذا كله بطريقة ما، فأذكى ما يمكنني فعله هو مجاراتها... علّها تقودني إلى آنا.

— "ريتشارد لابد أنه كان هنا"، أقول. "شخص ما حطّم زجاج الباب الخلفي ليقتحم المكان، وأنا متأكد أنه متورّط بشكل ما. لا تفسير آخر. كنت أعلم أنه ليس جديرًا بالثقة، وكان ينبغي أن أصدق حدسي——"

تقاطِعني، وذلك نادر:

— "نحن لا نعرف شيئًا بعد."

— "ولِمَ يكون هاتفه هنا إذن؟"

t.me/wadistreambooks

— "علينا أن نتمالك أنفسنا ونتوقف عن القفز إلى استنتاجات يا جاك."

ألاحظ عودتها لمناداتي بـ"جاك"، دون "سيدي" أو "رئيسي". لكن فكرة أخرى تزاحم هذا الانتباه... شيء قالته قبل قليل.

— "الفتاة الخامسة في الصورة... قلتِ إنها متزوجة. متزوجة ممن؟" أسأل.

تعيد پريا هاتف ريتشارد إلى جيبها، ثم تُخرج مفكرتها وتبدأ بتقليب صفحات عدة.

— "ما كان اسم عائلة المصوّر؟" تسأل وهي تتابع التقليب.

أشك أنها نسيت ― هي لا تنسى شيئًا.

— "جونز. ريتشارد جونز." أجيب محاولًا إخفاء الشك من صوتي.

تتوقف عن تقليب الصفحات، تحدّق فيما كُتب أمامها، وتهمس:

— "يا إلهي..." ثم تقول جملة تطيح بكل شكوكي تجاهها... لتسقط فوقه هو:

— "إنه هو. الفتاة الخامسة هي زوجة مصوّر آنا... ريتشارد جونز."

t.me/wadistreambooks

-٤٣-

حكايتها

الخميس ٠١:٢٠

تحدّق كات جونز في عينيّ دون رمشة، بينما ترفع ربطة العنق المعقودة كحبل مشنقة، تُمرّرها فوق رأسها ثم تُسقطها على الأرض. تفرك العلامات الحمراء الغاضبة على عنقها بيد، بينما تستخدم الأخرى لتنزع ببطء سوار الصداقة الذي كان مربوطًا حول لسانها. تنظر إليه، ثم ترفع بصرها إليّ من جديد.

أخطف هاتفي من فوق طاولة الزينة خلفها، وأبدأ في التراجع نحو الباب خطوة خطوة.

بفستانها الأبيض، تبدو كطيفٍ يعود من الموت.

غريزة النجاة أخيرًا تتغلّب على خوفي... فأجري.

لا ألتفت خلفي وأنا أركض خارج الغرفة، عبر الردهة المتهالكة، وانحدار السلّم. أتعثر قبل أن أصل إلى أسفله، تلتوي كاحلي، وأتهاوى فوق الأرض في كومة مرتبكة.

أحدّق في الهاتف بين يدي. أفتحه... تنبثق الحياة من الشاشة. هناك بطارية تكفي لمكالمة... لكن لا توجد إشارة.

— "آنا..."

أسمع صوت كات تنطق اسمي... بصوت مختنق، مخيف، كأن حيوانًا ينطق به.

أنهض مترنّحة وأتجه نحو الباب الأمامي، لكن يدي ترتجفان كثيرًا فلا أقدر على فتحه. أسمع حركة خلفي. لا أريد الالتفات، لكنني أفعل.

كات تقف أعلى السلّم. رأسها مائل بزاوية غريبة كأن عنقها مكسور. تبدأ بالنزول... خطوات بطيئة، مصمّمة، وعيناها لا ترمش، لا تفارقاني.

أعود للباب، أجذب المقبض بقوة... ينفتح فجأة فأكاد أسقط.

أستعيد توازني وأركض بأقصى ما أملك، خارج البيت... إلى الغابة. الأغصان تخدش وجهي، فروع تشبه أيديًا عظمية تمسك بثيابي، والعيدان على الأرض تتعثر بها قدماي. الأرض موحلة وغير مستوية. أتجاهل ألم كاحلي، لكنني لا أستطيع المقاومة طويلًا... أسقط مجددًا.

أصطدم بجذع شجرة قديمة. الهواء يُسحب من صدري، ويسقط هاتفي من يدي.

حين لم تعد كاثرين كيلي إلى المدرسة، بدأت الشائعات بأنها انتحرت تنتشر. كانت رايتشل من بدأها. ربما خشيت أن أخبر أحدًا بما حدث تلك الليلة... فأطلقت شائعات عني أنا أيضًا.

كنت أتمنى لو أنني أخبرت أحدًا.

لكن قبل أن أستطيع، وجدت في خزانتي صورة عارية لي... تهديدًا.

وعرفت خط يد رايتشل مكتوبًا على ظهر الصورة مع التاريخ — عيد ميلادي السادس عشر:

"إن لم تريدي أن يرى كل أهل القرية — ومنهم أمك — نسخًا من هذه الصورة، فالأفضل أن تبقي فمك مغلقًا."

فصمتٌّ.

لكن ذلك لم يكن كافيًا.

عدت إلى البيت يومًا... فوجدت أمي تبكي في الحديقة الزجاجية.

كِت كات لم يعد.

كانت أمي تحبه كما أحبه تمامًا. لم أرها بهذه الحالة، حتى بعد اختفاء

t.me/wadistreambooks

والدي. فعلنا كل ما يفعله الآخرون حين تختفي قططهم في بلاكداون.
لطالما رأيت منشورات "مفقود" ملصقة على الأعمدة، ولم أفهم الأمر... إلى أن حدث لي.
بحثنا في الشوارع، وفي الغابة. سألنا الجيران، ووضعنا منشوراتنا الخاصة.
ثم وصل طرد... باسمي.
وجدت في داخله قبعة سوداء... بحافة من فرو رمادي.
عرفت أن زوي هي من صنعتها — خياطتها الفوضوية لا تخطئ. وعرفت الفرو.
كدت أتقيأ في اللحظة التالية. لحقت بالحمّام في آخر ثانية.
لم تفهم أمي شيئًا — لحسن الحظ. ظنّتني مريضة وتركتني أغيّب عن المدرسة. بمجرد خروجها... ارتديت ملابسي، واتخذت الطريق القصير عبر الغابة إلى منزل زوي.
طرقت الباب الأمامي... لا مجيب.
ذهبت إلى الخلف... لا أحد.
خطرت لي فكرة مجنونة باقتحام البيت... لكنني لم أعرف كيف.
كان هناك كوخ قديم في آخر الحديقة. تخيّلت أن بداخله أدوات قد تساعدني.
لن أنسى صراخ القطط حين اقتربت منه.
كان الباب مغلقًا بقفل. استخدمت حجرًا وحطّمته.
ولمّا فتحته... كان الخشب من الداخل مليئًا بخدوش.
كان هناك ما لا يقل عن عشرة قطط... هزيلة، جائعة.
شعرت بالغثيان والدوار وأنا أربط بين القطع المتناثرة: المعطف الذي خيطته زوي لرايتشل... لم يكن من فرو صناعي.
رأيت بين القطط وجوهًا أعرفها من منشورات "مفقود".

كانت زوي تسرق الحيوانات، تعيدها مقابل مكافأة... وإن لم تُدفع، تستخدمها في خياطتها.

ركضت القطط خارجًا... إلا واحدة في الركن.

كِت كات.

نحيلة، مذعورة... وذيلها مقطوع، ندبة دامية مكانه.

حملتها وعُدت بها إلى البيت، والدموع تنهمر طوال الطريق.

وضعتها داخل صندوق النقل، آمنة حتى تعود أمي.

ثم صعدت لغرفتي... لكتابة رسالة.

لم أتوقف يومًا عن الشعور بالذنب تجاه كاثرين كيلي. ظننت أن كل ما حدث لها بسببي... لأنني من دعاها تلك الليلة. لا أعرف إن كانت شائعات انتحارها صحيحة... لكنني قررت أنه إن كان أحد يستحق الموت، فهو أنا. كتبت كل شيء... حتى لا تلوم أمي نفسها عندما تجدني.

خططت لاستخدام ربطة عنقي... لكنني لم أستطع.

مزّقت الرسالة... وألقيتها في مدفأة غرفتي.

ثم درست بلا توقف لشهور. حصلت على أعلى الدرجات في GCSE... ونلت منحة إلى مدرسة داخلية بعيدة. حطّم الأمر قلب أمي... لكنها لم تمنعني. لم أخبرها يومًا بالسبب الحقيقي لرغبتي في الرحيل.

يدي تبحث بجنون عن هاتفي بين الأوراق الميتة والطين.

أجده... تضيء الشاشة.

إشارة واحدة فقط... لكنها تكفي.

أفتح جهات الاتصال وأتصل بجاك.

— "ردّ... ردّ... ردّ..." أهمس.

وحين يجيب... أشهق من المفاجأة والارتياح، ولا أطاوع لساني.

تتدفق الكلمات كلها دفعة واحدة:

– "جاك... أنا في ورطة وأحتاجك. أعرف من القاتل. الفتاة الخامسة اسمها كات جونز. هي مذيعة في BBC، وكنا في المدرسة معًا، وحدث شيء سيئ. قبل عشرين سنة، في عيد ميلادي. هناك بيت... لا أعرف أين... أنا في الغابة. أظن أنها قتلته... قتلتهم جميعًا... وهي قادمة نحوي. أرجوك أسرع."

يرد صوت آخر:

– "الآنسة أندروز، أنا المحققة باتل. جاك يقود السيارة."

نبرة صوتها هادئة... هدوءًا بشعًا، كأنها لم تسمع حرفًا.

– "أريد جاك... الآن!"

أصرخ... أختنق بالبكاء.

أسمع غصنًا يُكسر خلفي. ألتفت... ظلام الغابة فقط، بلا معالم.

تقول:

– "أحتاجك أن تهدئي. نحن في الطريق. لكن نحتاج موقعك. ماذا ترين حولك؟"

أرمش وسط دموعي... لا شيء سوى الغابة.

أمسح وجهي بكمّ معطفي... أستدير... وأراها.

تقف خلفي مباشرة.

مرتدية الأبيض.

t.me/wadistreambooks

-٤٤-

حكايته

الخميس ٠١:٣٠

قالت پريا:

— "آنا أنهت المكالمة."

"ماذا؟ أين هي؟ ماذا قالت؟" أسألها وأنا أقود بالسرعة التي أجرؤ عليها في طرق ريفية مظلمة في منتصف الليل.

أخذنا سيارة زوي. أشعر بارتياح أكبر وأنا خلف المقود، وما زلت لا أثق ببريا. خطفت هاتفي ما إن بدأ يرن، وكأنها لا تريدني أن أرد عليه. رغم أن الأمر قد يكون بسبب سرعتي —— تفقدت حزام الأمان أكثر من مرة.

قالت وهي تتشبث بحافة المقعد بينما آخذ منعطفًا سريعًا:

— "قالت آنا أنها في غابة."

أقول ساخرا:

— "رائع، هذا مفيد جدًا في بلدة تُحاط بالأشجار."

قالت ببرود:

— "أنا فقط أكرر ما قالته."

"هل كنتِ متأكدة أنها هي؟"

"نعم."

t.me/wadistreambooks

"اتصلي بفريق التقنية، اجعليهم يحددون موقع هاتفها فورًا. ثم أعيدي الاتصال بآنا."

تنفذ ما أقول، لكني لا أسمع إلا جانبًا واحدًا من المحادثة. تتغير نبرة صوتها في نهايتها.

أسألها: "ما الأمر؟ ماذا حصل؟" لكنها لا تجيب.

أحول نظري عنها لثانية فقط، وعندما أرجع للطريق... يقف غزال ضخم مباشرة أمامنا. عيناه تلمعان في ضوء المصابيح، وقرونه تبدو قاتلة، وهو لا يتحرك. أضغط على المكابح، وأستطيع بالكاد الانحراف لتجنبه. وبعد ثوانٍ نرتطم بشجرة بلوط قديمة.

أظن لوهلة أني متُّ.

تقول پريا وهي تمسك مؤخرة عنقها كأنها تتألم:

— "يا إلهي..."

أتمتم: "أنا آسف..." أتحسس جسدي ذهنيًا بحثًا عن إصابات، لكني لا أجد شيئًا.

صدري يؤلمني، ويدي ما تزال تشد المقود بقوة حتى أن مفاصلي تكاد تخترق الجلد. ألاحظ أن الغزال اختفى.

"لا بأس، أنا بخير... وأنت؟" تسأل.

"أظن ذلك."

تنحني نحو أرضية السيارة. أعتقد أولًا أنها ستتقيأ، لكنها تلتقط هاتفها وتتصل بآنا. أدرك أن شكي فيها كان خاطئًا؛ إنها تحاول مساعدتي، حتى الآن، رغم أني كدت أتسبب في مقتلنا..

قالت:

— "هاتف آنا يذهب مباشرة للبريد الصوتي. ربما نفدت البطارية... أو فقدت الإشارة——"

أكمل جملتها: "أو أن أحدًا أغلقه."

t.me/wadistreambooks

قالت:

– "الخبر الجيد هو أن منزل كاثرين كيلي القديم يبعد خمس دقائق مشيًا."

تفك حزام الأمان وتلمس مؤخرة عنقها مجددًا.

أسألها: "هل أنتِ قادرة على المشي؟"

– "سنرى."

نترك السيارة، وهذا حكيم مع غطاء المحرك المحطم وأضواء التحذير اللامعة. لا آخذ المفاتيح ولا أغلق الباب —— لا وقت لذلك. پريا أسرع مما توقعت. تشق لنا طريقًا بين جذوع الأشجار السوداء، تركض أمامي وكأنها تعرف هذا المكان مسبقًا. صدري يتألم مع كل نفس؛ اصطدمت بالمقود وأشعر أن أحد ضلوعي قد يكون مكسورًا. يعلو صوت أنفاسي المضطربة أكثر كلما اقتربنا.

تتوقف پريا فجأة.

تهمس:

– "هل سمعت ذلك؟"

"ماذا؟"

"شخص يجري... مبتعدًا."

تنتصب كغزال مذعور، لكن رأسها يدور كالبومة، تومض عيناها في الظلام. لا أسمع شيئًا سوى أصوات الغابة المعتادة، لكن أتذكر أنها فتاة مدينة.

أقول مطمئنًا: "لا بأس. ربما حيوان آخر. يجب أن نواصل."

تمد يدها داخل سترتها، تخرج مسدسًا... وتحرر الأمان.

أتراجع خطوة بلا وعي:

– "يا إلهي! لماذا معك هذا؟"

"للدفاع عن النفس." تقول وهي تنظر خلفي.

أستدير، أحاول إبقاء عيني على المسدس في نفس الوقت، فأرى هيئة بيت خشبي قديم، يختبئ في الظلام بين أشجار الصنوبر وكأنها تحرسه. الأضواء مشتعلة، والنوافذ والباب يشبهان وجهًا بعيون صفراء مضيئة.

كلما نقترب، أرى سيارة فريق BBC التابعة لريتشارد. ثم أرى سيارة رايتشل المفقودة *أودي TT* مباشرة أمام الباب.

تهمس پريا:

– "أليست هذه سيارة رايتشل هوبكنز؟"

أقول وأنا أعرف الإجابة:

– "أظن ذلك."

نصل للباب، وپريا تتأمله بشيء من الرهبة... لكنه لا يفعل. تضع المسدس أرضًا، ترفع يدها إلى شعرها، وتنتزع دبوسًا معدنيًا قديمًا من ذيل حصانها، وتدخله في القفل.

أحدق بها:

– "هل تمزحين؟"

تقول دون أن تنظر إلي:

– "لماذا لا تجرب الخلف؟"

لن تفتح هذا الباب بدبوس شعر. لا وقت لنقاش، فأذهب كما طلبت. أجرّب أبوابًا كثيرة؛ كلها مقفلة. وعندما أعود... پريا اختفت.

أحدق في الظلام، أبحث عنها. ثم... صرير باب يُفتح ببطء. ألتفت، ولا أرى من هو في البداية. أشعر بارتياح هائل عندما أرى أنها پريا، والابتسامة الغريبة التي ترتسم على وجهها.

"حقًا؟ نجحتِ في فتح الباب بدبوس الشعر؟"

"باب قديم، خدع قديمة." تقول وهي تفتح فجوة صغيرة.

تفاجئني بأنها ترتدي قفازاتها البلاستيكية الزرقاء بالفعل. لكنها لا تهدر الوقت أبدًا.

كان تحطيم زجاج باب المطبخ في الكوخ لأتمكن من الدخول مسبقا أمر مؤسف؛ لا أحب الفوضى. نسيت أخذ المفتاح. هناك دائمًا مفتاح تحت أصيص الزرع في المدخل، لكنه كان مفقودًا، فلم يكن أمامي خيار. كنت حذرة أكثر في كل عمليات الدخول التي سبقتها ـــ المنازل، السيارات، المباني العامة. أرتدي قفازاتي وأترك كل شيء نظيفًا. لا أريد أن يعرف أحد أني كنت هناك، فضلاً عن إثباته.

نحن نصنّف الناس مثلما نصنف الكتب؛ من لا يناسب نوعًا محددًا لا نعرف كيف نتعامل معه. لم أتكيف مع المجتمع يومًا، لكن مع العمر... لم أعد أهتم. أن تكون مثل الآخرين مبالغ فيه أصلًا.

أتحسس في جيبي آخر أساور الصداقة. أحب لفّه حول أصابعي كخاتم أحيانًا. سأحزن قليلًا حين أودعه.

هناك ستار نختبئ خلفه جميعًا؛ الفرق فقط فيمن يزيحه. بعضهم يفعلها وحده، والبعض يحتاج من يكشف حقيقته. أولئك البنات كنّ صديقات سيئات... واستحققن الصمت.

إلى الأبد.

رايتشل هوبكنز... كانت عاهرة ذات وجهين. جميلة من الخارج، عفنة من الداخل ـــ دمية باربي مغرورة، سرقت المال من الجمعيات الخيرية، وسرقت رجالًا من زوجاتهم. قتلتها كخدمة للعالم.

هيلين وانغ... أكذوبة. قضت حياتها تتظاهر. المديرة كانت مدمنة مخدرات، ومدمنة إعجاب. تحتاج أن تكون الأفضل مهما كان الثمن. لم تستحق أن تدير مدرسة بنات.

t.me/wadistreambooks

زوي... كانت وحشًا. منذ طفولتها. إن لم تحصل على ما تريد، تخلع كل ملابسها وتركض عارية، ثم تركل وتصرخ على الأرض. فعلت ذلك حتى السابعة، وفي كل مكان. كل بلدة بلاكدَاون رأت إحدى نوبات جنونها. كانت طفلة فظيعة، وامرأة أسوأ... وتعذيبها للحيوانات لا يمكن السكوت عنه. كانت تغضّ الطرف كلما وقع شر.

والأخرى... حصلت على ما تستحقه مثل الباقيات. لا يهمني ماذا فعلت أو لم تفعل. مضت عشرون سنة على تلك الليلة... لكنها كانت هناك.

t.me/wadistreambooks

-٤٥-

حكايتها

الخميس ٠١:٣٠

يتوقف الزمن وأنا أحدّق في المرأة أمامي.

خوفي يذوب أولًا إلى ارتياح... ثم يتحول إلى ارتباك. ترتدي قميص نوم قطنيًّا أبيض مطرزًا بالنحل، وحذاءين على شكل نحلتين. في قلب الغابة. في قلب الليل. أظن أني أحلم، لكنها حقيقية... وخائفة مثلي.

أقول:

— "ماما؟ ماذا تفعلين هنا؟"

تهز رأسها وكأنها لا تعرف. تبدو صغيرة... وهرمة. أرى خدوشًا وكدمات على وجهها وذراعيها، وكأنها سقطت. تلتفت خلفها، خائفةً ممن قد يسمع، ثم تبكي.

تهمس:

— "أحدهم كسر نافذة المطبخ... ثم دخل البيت. خفت جدًا... لا أعرف ماذا أفعل. فاختبأت. ثم ركضت للغابة... أظنهم لحقوا بي."

ترتعش، وتبدو أكثر هشاشة من أي وقت مضى. أحاول الوقوف... لكن كاحلي ينهار تحت وزني.

أسألها:

— "من يلاحقك؟ من دخل البيت؟"

"المرأة ذات ذيل الحصان. اختبأت في مخزن الزراعة... ورأيتها."

t.me/wadistreambooks

لا أعرف ماذا أقول. لا أعرف إن كانت كلماتها حقيقة أم وهْمًا جديدًا من أوهام الخَرَف. جاك قال إنها جابت بلاكدَاون ليلًا بقميص النوم، حتى المرأة في المتجر قالت ذلك. لم أصدقهم. أحيانًا نختار ألا نصدق ما لا نريد قبوله. أفعل ذلك دومًا؛ أخبئ الندم في صناديق داخل عقلي... وأنسى. كما علمتني أمي.

لكن إنكار الحقيقة... لا يغيّرها.

كنت هنا ليلة وفاة رايتشل هوبكنز.

في الغابة.

رأيتها تمشي على الرصيف بعد نزولها من القطار... وتذكرت صوت خطواتها، لأنه ذكرني بكاميرتها:

كليك ـ تي ـ كليك , كليك ـ تي ـ كليك

عندما فقدتُ عملي كمقدمة برامج، عدتُ للبيت وبدأت الشرب. ثم توقفت. ركبت الميني... ونفخت في جهاز التنفس. أضاء باللون الكهرماني، أي أن القيادة ما تزال آمنة. قطعت الطريق إلى بلاكدَاون، لأن تلك البلدة كان بها ذكرى ما حدث ــــ وذكرى عيد ميلادي ــــ كما أردت أن أراها.

ابنتي... لا رايتشل.

كان مرور سنتين بالتمام على موت طفلتي، وأردت أن أكون قربها. كان قرار جاك دفنها هنا... وما زلت أكرهه لذلك، لكنه مكان جميل. الكنيسة على تل، وأقرب موقف سيارات عند المحطة. للوصول للقبر... لا بد من عبور الغابة.

جلست معها ساعات في الظلام... أحكي لها القصص التي كنت سأحكيها لو كانت على قيد الحياة.

وحتى الآن... أشعر بالذنب لأنني لم أقل كلمة لرايتشل حين مرّت بجانب سيارتي تلك الليلة. ربما لو فعلت... لكانت حية.

يهزّني صوت بعيد، يطرد شرودي. لا أعرف إن كانت كاثرين كيلي تلاحقني حقًا... لكنني لن أبقى لأكتشف. يجب أن أخرج بنفسي... وبأمي... من هذه الغابة.

"هيا يا ماما، يجب أن نذهب. الجو بارد... وخطير."

تسأل بأمل:

— "هل ستعودين للبيت يا حبيبتي؟"

"نعم، ماما."

"جيد... سنصل خلال عشر دقائق. سأعد الشاي بالعسل كما تحبين."

أسألها:

— "نحن على بُعد عشر دقائق فقط من المنزل؟"

تشير بثقة بين الأشجار. رغم أن كل شيء يبدو متشابهًا —— خاصة ليلًا —— أصدقها. تعرف هذه الغابة أكثر من معرفتها لنفسها. أمسك يدها، فأفاجأ بصغرها داخل يدي، ونسرع قدر ما نستطيع. أسمع كل ورقة تُدهس، كل غصن ينكسر. لا أكفّ عن النظر خلفي.

تقول:

— "أظن أنها تعرف."

أهمس:

— "لنحاول أن نكون هادئتين... حتى نصل."

"لديها شارة... فاضطررتُ أن أدعها تدخل."

"من؟"

"المرأة... هي تعرف... ولا أعرف ماذا أفعل."

تنظر خلفها وكأنها تسمع شيئًا... يزيد خوفي. نخطو بضع خطوات في صمت، ولا أستطيع تجاهل كلماتها. ذكرت ذيل حصان... وشارة. أفكر في المحققة التي تعمل مع جاك. ذاتها التي أجابت هاتفه.

t.me/wadistreambooks

أسألها:

– "ما الذي تعتقدين أنها تعرفه يا ماما؟"

تجيب:

– "أظن أنها تعرف أني قتلت والدك."

تتجمد قدماي. لا أقدر على الحركة.

تتابع:

– "تتذكرين ذلك اليوم... عندما عدتِ من المدرسة... ووجدتِني تحت شجرة عيد الميلاد؟ جاء والدك باكرًا من السفر. كان مخمورًا... وضربني بلا سبب... إلا أني سمحت له بذلك لسنوات. بدأ بعد ولادتك... وظننت أن عليّ البقاء... من أجلك... ومن أجل المال. لم يكن لدي شيء. ولا مؤهلات. قلت لنفسي سأتحمل حتى تنهي المدرسة. لكنه ضربني بقوة ذلك اليوم... ظننت أني سأموت. ثم هدد بأن يؤذيك. شيء ما انكسر داخلي. ضربته للمرة الأولى... وكانت الأخيرة. لأنه مات."

لا أستطيع استيعاب كلماتها؛ كثيرة... تختلط كلها. نشوّه صورة من نحب بداخلنا... نصنع منهم ما نتمنى... لا ما هم عليه. لكن هذا... لا يمكن أن يكون حقيقيًا. أمي ليست قاتلة. هذا خَرَف... أو دواء. أما أن كات جونز هي كاثرين كيلي... فذلك حقيقي. ولا أشك أنها تائهة في الغابة الآن... تبحث عني.

أمسك يديها وأشدّها.

– "لم تقتلي أبي. كنت سأرى الجثمان. أنتِ مشوشة."

ترفض الحركة... وتحدق بي.

تقول:

– "ضربته بحامل شجرة عيد الميلاد الحديدي. ضربته حتى مات... كي لا يؤذيك كما آذاني. ثم دفنته في الحديقة. تحت رقعة الخضروات. زرعت فوقه جزرًا وبطاطس... ظننت أن كل شيء سيكون بخير ما دمت لن أترك

t.me/wadistreambooks

المنزل. لكني أظن أنها تعرف... وإن كنت ستعرفين الحقيقة... أريد أن تسمعيها مني."

تصطدم مشاعري ببعضها... تتمدد... وتتحول. لا أريد تصديقها... لكني أصدقها.

أياً يكن ما حصل... علينا الخروج الآن.

أقول:

— "ماما... ليس المكان آمنًا... يجب أن نصل للبيت."

"ماذا لو كانت في الداخل... تنتظر؟"

"من؟"

"المرأة التي تعرف."

تنحني الأشجار من حولي... تتشوه. أشعر بالدوار.

أسألها بصوت مكسور:

— "ماما... قلتِ إن للمرأة شارة. هل تذكرين ما كان مكتوبًا عليها؟ فقط... حاولي أن تتذكري."

تغلق عينيها بشدة، كطفلة تستعيد ذكرى بعيدة... ثم تفتحهما وتهمس:

— "... پريا."

t.me/wadistreambooks

-٤٦-

حكايته

الخميس ٠١:٣٥

نظرتُ إلى پريا وسألتها:

— "بريا، من أين تعلّمتِ فتح الأقفال؟"

هزّت كتفيها بلا مبالاة، ولاحظتُ أنها ما تزال تمسك بمسدسها، قبل أن تُغلق الباب الخشبي الثقيل خلفي.

— "شاهدتُ مقطعًا على الإنترنت. الأمر ليس صعبًا."

— "أنتِ تدركين أن ما فعلتِهِ الآن غير قانوني، من الناحية التقنية؟"

— "هل تريد العثور على آنا أم لا، يا سيدي؟"

لم أجب. كنتُ منشغلاً بما أراه في هذا المنزل. المكان يبدو كأنه موقع تصوير لفيلم رعب: أثاث قوطي، ورق حائط قديم، أرضيات خشبية تصدر صريرًا، وسُلّم ضخم بديع يتوسط الردهة. وكل شيء مغطى بطبقة مسرحية من الغبار وخيوط العنكبوت. لا أظن أنني شخص يخاف بسهولة، لكن هذا المكان... مُرعب.

تبعتُ پريا عبر الردهة، وكلانا يحاول المشي بصمت، قبل أن ندخل صالة ضخمة رسمية. القطع الموجودة فيها تبدو كما لو أنها استُعيرت من قلعة وندسور، ووحدات الإضاءة العتيقة على الجدران تومِض قليلًا.

نظرتُ إلى الصور على الرف فوق المدفأة، لكن لم أعرف أصحاب الوجوه

فيها. ثم عثرتُ بقدمي على أدوات الموقد، وكدتُ أُسقطها على الأرض الحجرية لولا أني أمسكتها في اللحظة الأخيرة.

قالت پريا:

— "ربما علينا أن ننفصل؟ لماذا لا تصعد أنت وتتفقد الطابق العلوي، بينما أُكمل أنا تفقد الغرف هنا؟"

— "فكرة جيدة. أظنني سأخذ هذا معي." قلت ذلك وأنا ألتقط سيخ الحديد المعدني.

إن القول إنني أصعد الدرج بحذر سيكون تقليلًا من حقيقة توتري. إن كان الشخص الذي قتل زوي والبقية موجودًا هنا، فالأفضل ألا يشعر بوصولي. المنزل صامت تمامًا الآن، باستثناء صوت أنفاسي المتسارعة المجهدة. صدري ما يزال يؤلمني من ارتطامي بعجلة القيادة، وليس ذلك وحده ما يزعجني. لقد تعلمتُ طوال السنين أن أثق بحدسي... وهذا المكان كله ينذر بالسوء.

مسحتُ بنظري الممر المفروش بسجادة حمراء فاخرة في الطابق الأول، ورأيت أن كل الأبواب مغلقة، ما عدا بابًا واحدًا في نهاية الردهة. فتحتُ الأبواب واحدًا تلو الآخر، وقلبي يدق داخل صدري كلما أدرتُ المقبض. معظم الغرف كانت خالية تمامًا — فقط غبار وقذارة وخيوط عنكبوت — لكن إحدى الغرف كانت نظيفة بشكل مريب، وهناك رأيت ما لم أتوقعه: سريران صغيران متجاوران، مكسوّان بملاءات وردية لطيفة، ومصباح ليلي يرسم مجموعة من النجوم المتحركة على الجدران والسقف. لاحظتُ الدمى الموضوعة على الوسائد، وكوبَي ماء على طاولة صغيرة، ونسخة من *ذات الرداء الأحمر*. كان هناك أطفال هنا الليلة... لكنهم ليسوا هنا الآن.

حاولتُ ألا أفكر بابنتي الصغيرة وأنا أعود إلى الردهة، متجهًا نحو ذلك الباب الأخير في نهاية الممر. ازدادت صريرات الأرضية مع كل

خطوة، كأنها تحاول تحذيري من الاقتراب. ورغم أنني سعيد لكوننا لسنا بلدًا يحمل فيه الجميع الأسلحة، فإن سيخ الحديد لا يبدو دفاعًا كافيًا الآن. توقفت عند الباب، ثم ركلته ليفتح بالكامل، كي لا تكون هناك مفاجآت. ومع ذلك، جاءت المفاجأة.

كان المصوّر ملقى على الأرض، ميتًا، غارقًا في دمائه، وقد تهشّم رأسه.

حدقتُ فيه، من المستحيل ألا أفعل، ثم تفقدت الغرفة حتى تأكدت من خلوّها من أي شخص.

– "أحتاج أن تُسقط السلاح يا سيدي."

استدرتُ بسرعة، فرأيت پريا واقفة في الباب.

رغم مزيج الأرضية المزعجة والصمت التام، لم أسمعها تقترب. شعرتُ أولاً بالارتياح... ثم رأيت المسدس – مسدسها الذي قالت إنها تحمله للدفاع عن النفس – مصوّبًا نحوي.

– "بريا؟ ماذا تفعلين؟" نظرتْ إلى الجثة، ثم إلى سيخ الحديد في يدي.

– "تمهّلي..."

– "قلتُ: ارمِ السلاح، وارتدِ هذه."

ومن دون أن تزيح نظرها عني، أخرجت من جيبها الأصفاد.

– "بريا، لا أعلم ماذا تظنين––"

– "آخر فرصة." قاطعتني. "لن أطلب منك مرة أخرى."

t.me/wadistreambooks

-٤٧-

حكايتها

الخميس ٠١:٤٠

وكأن أمي لم تعد تسمعني، فأعدت السؤال:

— "متى جاءت الشرطية إلى البيت؟ وماذا أرادت؟"

— "مرّات كثيرة. تسأل أسئلة."

— "عن ماذا؟"

قبضت على يدي وحدّقت في وجهي.

— "عنكِ."

— "عني؟"

أخبرْ شخصًا بأنه مخطئ فيغلق أذنيه. أخبره بأنه على حق فيستمع إليك طوال اليوم.

— "لا بأس يا أمي. أنا أصدقك. لكن علينا العودة للبيت."

هزّت رأسها متفهمة، وواصلنا السير، نشق طريقنا عبر الغابة. كنتُ أجرّها معي بالسرعة التي أجرؤ عليها فوق أرض مليئة بالجذور الضخمة والأشجار المتساقطة. الليل يجعل كل شيء خطيرًا... كما تفعل كات جونز. وأخشى أنها لا تزال هنا، تتعقبنا.

كل بضع خطوات، كنتُ أرفع هاتفي بحثًا عن إشارة، آملة أن أستطيع الاتصال بجاك. ثم أتذكر أن بريا باتيل معه.

من المستحيل معرفة من يمكن الوثوق به.

-٤٨-

حكايته

الخميس ٠١:٤٠

– "بريا، في هذه الحالات قد يكون من الصعب جدًا معرفة من تثق به——"

– "أنا أعني ما أقول يا سيدي. ضع السلاح."

نظرتْ مرة أخرى إلى جثة ريتشارد جونز الممددة على الأرض، ثم إلى سيخ الحديد في يدي. رأيتُ الأمور كما تراها هي الآن... وكدتُ أركض.

– "أنا لم أفعل هذا!"

– "ألقِ السلاح."

– "بريا، أنا——"

– "انتهى الأمر يا سيدي. عندما طلبتُ من فريق التقنية تحديد موقع هاتف آنا، أخبروني أن أحدهم ألغى الطلب نفسه الذي كنتُ قد وضعته بالأمس على هاتف رايتشل هوبكنز. للتو أكدوا أنه أنت. كذلك تم العثور على حذاء يطابق الآثار الموجودة بجوار جثتها في حاويتك. لديك روابط بكل الضحايا، وشهود وصفوا سيارة تشبه سيارتك كانت متوقفة قرب المدرسة ليلة مقتل هيلين وانغ."

– "أعرف كيف يبدو كل هذا، لكن——"

– "لا وجود للصدفة. أنت من علّمني هذا في أول يوم."

t.me/wadistreambooks

– "هناك من يحاول توريطي—"

– "من؟"

– "لا أعرف!"

أخرجت هاتفها.

– "الدعم في الطريق. وفريق التقنية يحاول تحديد موقع الهاتفين الآن. هاتف رايتشل عاد للعمل. هل أتصل به؟"

ضغطت زرًا، وبعد ثوانٍ بدأ هاتفٌ يرنّ في جيبي. حاولت الكلام فوق رنينه.

– "نعم، لديّ هاتفها لأن أحدهم وضعه في سيارتي. وهم يرسلون لي رسائل غامضة منذ ذلك الحين. فكري يا پريا. كاثرين كيلي كانت الفتاة الخامسة في الصورة. اتضح أنها الآن كات جونز، مذيعة تعمل مع آنا، ومتزوجة من الرجل الميت هنا، وهي صاحبة هذا المنزل المخيف. أنتِ على حق: لا وجود للصدف... إذن أين هي كات جونز الآن؟"

ترددت قليلًا... ثم عاد الغضب يشوّه ملامحها.

– "أعطني السلاح يا سيدي."

لو لم يكن الموقف خطيرًا جدًا، لكنتُ ضحكتُ لأنها لا تزال تناديني بـ"سيدي". القاتلة ما تزال طليقة، وآنا في خطر، ولا أرى مخرجًا من هذه الورطة. ثم لمحت شيئًا يتحرك في الخارج... ظلّ خفيف بين الأشجار.

اقتربت من النافذة، فانفجرت پريا:

– "جاك هاربر، أنا ألقي القبض عليك بشبهة القتل. لست مجبرًا على قول شيء، لكن قد يضرّ دفاعك إذا لم تذكر أثناء التحقيق ما قد تعتمد عليه لاحقًا في المحكمة. كل ما تقوله قد يُستخدم كدليل ضدك—"

– "هناك أحد بالخارج. أراه بين الأشجار."

– "ربما الدعم—"

t.me/wadistreambooks

— "وأنتِ تعلمين أنهم لن يصلوا بهذه السرعة. أعلم كيف يبدو الأمر، لكن أقول لك: القاتل ما يزال طليقًا. آنا في خطر، وسأحاول إنقاذها. يمكنكِ إطلاق النار إذا أردتِ... أو يمكنكِ مساعدتي في الإمساك بمن فعل هذا."

هزّت رأسها، وعيناها امتلأتا بالحزن.

— "أريد أن أصدقك... لكني لم أعد قادرة. لا أظنك تدرك ما فعلته، لكن ذلك لا يعني أنك لم تفعله."

— "أنتِ تعرفينني يا پريا... وأظن أن جزءًا في داخلك يعرف أنني أقول الحقيقة."

لم تُنزل المسدس، لكن الدموع بللت عينيها. تقدمتُ نحو الباب، عاجزًا عن معرفة أي طريق سيسلكه هذا الموقف. لم يكن في رأسي سوى آنا. لقد خذلتها من قبل... ولن أفعلها مجددًا.

ارتجفت پريا وأنا أمرّ بجانبها. لقد تدربتُ على مواقف كهذه، حيث يُصوَّب السلاح نحو وجهي. أعرف ما يجب فعله... فقط لم أرد أن أفعله. أمسكتُ بمعصمها بسرعة لم تتح لها فرصة رد الفعل. ضغطت على الزناد رغم ذلك، فاخترقت الرصاصة الجدار قبل أن أدفعها نحوه. تراجعتُ خطوة وهي تهوي إلى الأرض. عيناها مغلقتان وقد ارتطم رأسها، لكنها ستعيش. الدعم سيصل وسيتكفل بها. لا وقت للبقاء.

همست:

— "آسف."

ثم غادرت المنزل، واتجهت إلى الغابة.

***

t.me/wadistreambooks

أُحب الغابة في هذا الوقت من العام.

الأصوات، الروائح، الصرخات.

خصوصًا في الظلام.

لكل شخص مكان يلوذ به عندما تصبح الحياة صاخبة أكثر من اللازم؛ وهذا مكاني. لا شيء يضاهي السير فوق أوراق ميتة تتفتت تحت قدميك، واستنشاق هواءٍ ريفي بارد، ومعرفة أنك في رحلة من لحظة في حياتك إلى اللحظة التالية. أحيانًا أشعر أن الوجهة أقل أهمية من حقيقة أنك تمضي قُدمًا. يجب أن تتعلم الاستمتاع بالرحلة، لا بالوصول.

الناس يتحدثون كثيرًا عن معنى أن "تصل"، لكن الأفضل بكثير أن تكون في الطريق. إذا وصلت مبكرًا، أو حققت النجاح بسرعة، فهذا يعني ببساطة أنه لم يعد هناك مكان آخر تصعد إليه. النجاح يشبه الحب — ليس الجميع قادرًا على تقديره حتى عندما يمتلكونه. والحياة هي المضي للأمام... لا الالتفات للوراء، فالعودة تعني الضياع.

وهذا ما أشعر به الآن... لأن الوقت يوشك أن ينفد للعثور عليها.

سارت الأمور كما خططت لها تقريبًا حتى الآن. تخلصت من سيارة رايتشل هنا قبل يومين. كان من الممتع قيادتها، وكان هذا المكان مناسبًا لإخفائها. لم أقُد سيارة رياضية من قبل. جعلني ذلك أفكر بكل الأشياء الأخرى التي لم أفعلها... أشياء يعتبرها البعض بديهية. طفولتي كانت صعبة ماليًا، واضطررت للعمل مقابل كل شيء حصلت عليه. كان ذلك قاسيًا... لكنه جعلني أقوى.

t.me/wadistreambooks

الآن لم يتبقّ سوى إنهاء ما بدأتُه. وهذا يعني العثور عليها قبل أي شخص آخر. كان من المفترض أن تكون ميتة الآن.

البحث عن الناس أسهل مما تتخيل، حتى أولئك الذين لا يريدون أن يُعثر عليهم. الشرطة والصحفيون يستخدمون الأدوات نفسها تقريبًا. ستُدهش من سهولة تعقّب شخص ما... ومعرفة كل شيء عنه. كل ما يريد إخفاءه.

عملي جعل الأمر سهلاً... ربما أكثر مما يجب.

الناس يثقون بأمثالي.

لكنهم لا يعرفون حقيقتي... ولا ما فعلته... ولا ما أستطيع فعله.

قلتُ منذ بداية هذه الرحلة إنني سأقتلهم جميعًا...

وكنتُ أعني كل كلمة.

t.me/wadistreambooks

-٤٩-

حكايتها

الخميس ٠١:٤٥

«كلّ شيء سيكون بخير يا أمّي»، قلتُ، من دون أن أصدّق كلمة واحدة من كذبي.

ثم سمعتُ ما يشبه صوتَ طلقةٍ في البعيد.

استطعتُ أن أرى في عينيها أنها سمعتْها أيضًا.

«علينا أن نُسرع، هل أنتِ متأكدة أننا نسلك الطريق الصحيح للوصول إلى المنزل؟» أسحبها معي بجانبي.

«أظن ذلك»، تهمس، وقد بدأت أخيرًا تدرك أننا في خطر.

لم نقطع سوى بضع خطوات قبل أن أسمع صوتَ شخصٍ يركض في الغابة من خلفنا. الليل ساكنٌ إلى حدٍّ يجعل صوتَ تكسّر الأغصان ينتشر بين الأشجار. يستحيل معرفة المسافة التي تفصلنا عن القادم، أو رؤية شيء في الظلام، لكنني أعرف أنهم يقتربون. الاحتمالات تتدافع في رأسي كعرضٍ سريع للأحداث، ولا واحد منها جيّد.

لن نتمكّن من الهرب.

أفضل ما يمكن فعله الآن هو الاختباء.

أنحني إلى الأرض وأجذب أمي لتفعل الشيء نفسه.

أهمس:

— «آسفة يا أمّي، لكن يجب أن تبقي ساكنة وصامتة. حسنًا؟»

t.me/alistreambooks

تهزّ رأسها كأنها تفهم. يتوقف صوت الركض على مسافة قريبة منّا. أحبس أنفاسي، أتوسّل في داخلي أن يستدير أو يبتعد... لكن أمنيتي لا تتحقق. يواصل الاقتراب. أبحث بعقلي المحموم عن شيء أدافع به عن نفسي وعن أمي، تتحسسّ أصابعي أرض الغابة بحثًا عن حجر أو عصا، لكنها لا تجد شيئًا مفيدًا. رغم أنني لا أريد الاستسلام، إلا أن فكرة النهاية تقترب من رأسي كحقيقة.

عندها أرى شعاع المصباح، يمتدّ بين الأشجار، ولا يمر وقت طويل قبل أن يعثر علينا الضوء. يُعمي بصري أولًا فلا أرى من يقف هناك.

— «آنا؟» يقول صوتٌ من العتمة.

أحمي عينيّ براحة يدي، ثم أرمش حتى تتضح الصورة... وعندما أعرف صاحب الصوت، تلمع الدموع في عيني.

لم أكن يومًا أسعد برؤية طليقي.

— «آنا؟ أأنتِ؟» ينادي ثانية.

— «نعم! جاك، الحمد لله أنك هنا!»

يبتسم وهو يشقّ طريقه نحونا بين الأشجار. نحن بأمان. الراحة التي اجتاحتني كانت هائلة. أعرف أنّ جاك سينقذنا، وأن كل شيء سيكون بخير الآن.

ثم أرى ظلّ شخصٍ خلفه.

يلتفتُ ليرى ما أنظر إليه، لكن الوقت يكون قد فات.

ينفجر صوتُ الرصاص في الغابة... ويسقط جاك أرضًا.

يصير كل شيء ساكنًا لثانية... ربما ثانيتين... ثلاث... كأن الحياة نفسها توقّفت لترى ما سيحدث. ثم يشتعل داخلي ذلك الشعور الغريزيّ الذي لا اسم له سوى النجاة. أرفع أمي وأستخدم آخر كلمة باقية في معجمي.

— «اركضي.»

t.me/wadistreambooks

تركض. وأركض أنا أيضًا. لكنني لا أعرف إن كنا نهرب في الاتجاه الصحيح. أمي تركض بسرعة مفاجئة، أسرع منّي بسبب كاحلي الملتوي. وكل من يطاردنا يقترب، أسمعهم بوضوح خلفي. الأغصان والورق تضرب وجهي، وأحاول ألا أسقط. أتبع أمي، لكن سرعان ما تسبقني. الخوف يخلق العدّائين فينا.

وحين أدرك أنني لم أعد أراها، أتوقف. أخاف أن أناديها. أخاف أن أجذب الانتباه. أدور في مكاني، ضائعة تمامًا. ثم أسمع صراخًا... صوت أمي يتشابك مع صوت امرأة أخرى. صراخهما حادّ ومتداخل لدرجة لا يمكن فهم كلماته. أركض نحوهما رغم أن غريزتي تصرخ أن أهرب.

أصل بالوقت المناسب لأرى أمي تسقط أرضًا.

تقف **كات جونز** فوقها، تمسك سكينًا مضرّجًا بالدم. تحدّق بي بعينيها الواسعتين، ثم تهزّ رأسها وتبدأ بالبكاء.

— «أفسدتِ حياتي»، تقول وهي تقترب بخطوات مضطربة.

«تظاهرتِ بأنكِ صديقتي... ثم دمّرتِ طفولتي. تبعتِني إلى لندن، وتظاهرتِ أنكِ لا تعرفينني، ففعلتُ الشيء نفسه. ثم حاولتِ سرقة وظيفتي... ثم حاولتِ سرقة زوجي... والآن——»

أسمع طلقةً أخرى خلفي. أحدهم يطلق النار باتجاهنا، لكن عندما ألتفت لا أرى سوى ظلامٍ مطبق. وعندما أعود بنظري، تكون كات قد اختفت. أركض نحو أمي، وأنهار بالبكاء حين أرى أنها لا تزال على قيد الحياة.

— «أنا بخير»، تهمس... لكن دمًا كثيرًا يغمر ثوب نومها ويديها.

أضع رأسها على كتفي ونمشي معًا، نجرّ أقدامنا بعيدًا عن أصوات تكسر الأغصان خلفنا. أظن أنني أتوهم حين نتعثّر فجأة بالطريق... وبسيارة.

باب السائق مفتوح. المفتاح في مكانه. كما لو أن أحدًا ترك السيارة بانتظارنا. ثم أرى الشجرة العتيقة التي اصطدمت بها.

أُجلس أمي في المقعد الأمامي، أربط حزامها، ثم أتحرك إلى مكاني. تضغط على جرحها، لكن الدم يتدفّق بغزارة أكبر من قبل.

– «تقدرين على قيادتها؟»

– «سنكتشف الآن.»

يدور المحرك... وأشعر باندفاعة أمل. أرجع بالسيارة، ثم أبدّل السرعة... وقبل أن أنطلق، أسمع صفارات الإسعاف في البعيد.

أنظر إلى أمي... وأعرف أنها تسمعها أيضًا.

– «يبدو أن المساعدة اقتربت. هل ننتظر؟»

يتحوّل وجهها من الأمل إلى الرعب، وتصرخ.

أتبع نظرتها.

وهناك——

كات جونز تقف أمام السيارة، يغمرها ضوء المصابيح ككائن خرج من القبر.

الدم يغطي ثوبها الأبيض. السكين في يدها. الجنون في عينيها.

يحدث كل شيء بسرعةٍ قاسية.

لا وقت للتفكير.

في هستيريا الخوف، أضغط على الدواسة... ناسية أن السيارة في وضع القيادة، لا الرجوع. ترتطم السيارة بها بقوة، وترميها إلى الخلف قبل أن تثبت جسدها بين الصدام والشجرة.

– «يا إلهي... ماذا فعلت؟»

تتلاشى السنوات، وكل ما أراه هو **كاثرين كيلي** في الغابة قبل عشرين عامًا. كم كرهتنا لتخطط لانتقام كهذا. لا أستطيع منع الشعور بالذنب. أفتح الباب.

t.me/wadistreambooks

– «ابقي في السيارة»، تقول أمي. لكنني أتجاهلها.

أقترب من جسد كات المتهالك. عيناها مغمضتان، خط دمٍ ينساب من زاوية فمها. ربما يوجد وقت لإنقاذها. أمد يدي لأتحسس نبضها...

فتفتح عينيها.

تمسك معصمي بيد، وترفع السكين بالأخرى. أحاول أن أفلت، لكن أظافرها تنغرس في جلدي. يرتفع السكين ببطء قاتل نحو وجهي—— فأشيح بوجهي...

ثم أسمع طلقة أخرى.

ألتفت——

پريا باتل تقف خلف السيارة، مسدسها لا يزال مصوَّبًا نحونا.

أنظر إلى كات... الدم ينتشر فوق ثوبها الأبيض. عيناها مفتوحتان... لكنني أعرف أنها ماتت.

t.me/wadistreambooks

-٥٠-

حكايتها

الجمعة ١٤:٣٠

أفتح عينيّ... فأرى **جاك** واقفًا عند طرف سريري في المستشفى. يهمس:

— «على ما يبدو، فاتتني مواعيد الزيارة... لكنهم سمحوا لي أن أُلقي التحية.»

— «أنت بخير»، قلتُ.

— «بالطبع. رصاصة في الكتف لا تكفي لإيقافي.»

أنا أكره المستشفيات. وباستثناء كاحل ملتوي وكدمات كثيرة، أنا بخير. أقلق من أن أحدًا يحتاج السرير أكثر مني، لكن الأطباء أصرّوا على إبقائي أربعًا وعشرين ساعة. يمسك جاك بيدي... وندخل معًا في حديثٍ صامت. أحيانًا لا حاجة للكلمات حين يعرف أحدنا الآخر جيدًا.

— «هل أمي——»

— «هي بخير، أعدك. خيطوا جرحها ونقلوها إلى جناح آخر. حالتها جيدة جدًا، بالنظر إلى كل ما مرّت به.» يتردد قليلاً. «هناك أمر آخر... لست متأكدًا كيف أخبرك... وربما أنت تعرفين... لكنني لم أكن أعرف. ظهر شيء في ملفّها الطبي عندما أحضروها.»

— «إن كان الأمر عن الخرف... فأنا أعرف أنها أسوأ من قبل——»

t.me/wadistreambooks

— «ليس هذا. آسف جدًا أن أكون من يخبرك... لكن لديها سرطان. تمّ تشخيصه منذ أشهر. لا أعرف لماذا لم تخبرني... أو تخبرنا. ربما لم تفهمه جيدًا... أو نسيَت. لكنني تحدّثت مع طبيبين هنا وقتلا الشك: النوع خبيث.»

لا أجد ما أقوله. علاقتي بأمي تزعزعت منذ مراهقتي، لكن يصعب تقبّل أنها أخفت عني شيئًا كذلك.

يقول جاك— وكأنه يقرأ أفكاري—:

«ربما لم ترد أن تقلقي... أو ربما نسيت. أنتِ تعلمين كيف يختلط عليها الأمر.»

لم أنسَ ما قالته لي تلك الليلة في الغابة عن أبي. بعد التفكير... أصدّق أنها ربما قتلته فعلاً. كان رجلاً عنيفًا. وإن فعلت، فقد كان دفاعًا عني كما عن نفسها. أمي ليست الوحيدة التي تُجيد إخفاء الأسرار. وأنا أيضًا... وهناك أسرار لن أبوح بها لأحد. ولا حتى لجاك.

— «ماذا عن پريا؟»

— «فعلت كل ما يجب فعله.»

— «لقد أطلقت النار عليك، جاك.»

— «أعرف أنها أطلقت النار عليّ. لديّ ثقب في كتفي يثبت ذلك. لكن لو كانت الأدوار معكوسة... ربما فعلتُ الشيء نفسه. پريا أيضًا أنقذتك... وأنقذتْ أمّك.»

— «بشأن هذا... أمي قالت إنها جاءت إلى المنزل، تسأل أسئلة.»

— «إن فعلت، فذلك لأن هذا عملها. كات جونز كانت ممتازة في إخفاء آثارها... وإلقاء الشبهات على الآخرين. لكن وُجدت أدلة في منزلها تربطها بكل جريمة... بما فيها مذكّرات طفولة كتبت فيها تفاصيل مقززة عن كرهها لكنّ جميعًا. خاصة أنتِ. كانت مقتنعة أنك ادّعيتِ صداقتها ثم خنتِها. پريا شهدتْ هجومها على والدتك، ولحسن الحظ كانت هناك

ثانية قبل أن تؤذيك. ما زالوا غير قادرين على العثور على السكين—— وهو أمر غريب جدًا، خصوصًا وأنتم الثلاثة رأيتموها في يدها—— لكن كل سنتيمتر من الغابة يُفتّش. متأكدون أنها ستظهر. الطب الشرعي يظن أن السلاح واحد في كل الجرائم. وأنا واثق أنها عملت وحدها.»

لا أستطيع طرد الفكرة من رأسي:

أن تكبر **كاثرين كيلي** لتصبح **كات جونز** مفهوم... لكن أن تخطّط لانتقام وحشي كهذا... يصعب تصديقه. لكنه ما يصدّقه الجميع. أشعر بثقل نظرة جاك... فأفيق من شرودي.

– «أنا آسفة بشأن زوي»، قلت.

يلتفت بعيدًا... وجهه يتكسّر قليلًا.

– «كيف عرفتِ؟ لم يُعلن الخبر بعد...»

– «الأطباء والممرضون يثرثرون... مثلنا تمامًا. سمعتهم بالصدفة.»

يهزّ رأسه.

– «لا أعرف كيف سأخبر ابنتها أن أمّها ماتت.»

– «كنتَ أبًا رائعًا... وأنت بالتأكيد خالٌ رائع. أوليفيا محظوظة بوجودك. سيكون الأمر صعبًا... لكنك ستتجاوزه.»

لا ينظر في عينيّ... وأعرف أننا نفكّر في ابنتنا.

– «فكرتُ في الأمر كثيرًا... سأعود إلى لندن. لا أريد البقاء هنا. سأبيع منزل والديّ... أعود إلى شرطة العاصمة... ربما بدوام جزئي لأكون مع أوليفيا. لا أعرف التفاصيل بعد. لكن...»

– «يبدو أنك تعرف.»

– «هي عائلتي الوحيدة الآن.»

كلمته تُشعل فكرة أخرى في رأسي.

– «كنت محقًا بشأن أمي. هي تحتاج مساعدة أكبر... خصوصًا الآن. آسفة... كان يجب أن أستمع إليك.»

يضحك بخفوت:

— «هل يمكن تدوين ذلك رسميًا؟»

أحاول الابتسام.

كان اعتذارًا باردًا... لكنه ابتلعه. من كان جائعًا بما يكفي لفتات المغفرة... تكفيه أصغر لقمة.

— «سأفكر في دار الرعاية التي اقترحتها... وسأحاول دفع التكاليف بنفسي. هكذا لن تحتاج لبيع المنزل... وهو ما كان يحزنها دائمًا.»

— «لأنها ستفتقد حديقتها ونحلها؟»

أتوقف لحظة قصيرة جدًا.

— «بالضبط.»

يمسك يدي... والشعور بيده حول يدي كان كافيًا ليبكيني. دموعٌ ليست حزينة... بل مفعمة بالأمل.

— «ربما نساعد بعضنا»، يقول.

— «سأحب ذلك.»

— «تعلمين أنني——»

— «أعرف.»

لا حاجة لأن يقول إنه لم يتوقف عن حبّي.

وأنا... أشعر بالشيء نفسه.

t.me/wadistreambooks

-٥١-

حكايته

الجمعة ١٤:٤٥

هي تتركني أُمسك بيدها، ثم تبدأ في البكاء.

رؤية آنا على سرير المستشفى تُعيد إلى ذهني لحظة ميلاد ابنتنا. كأنّ السنوات والجراح والألم تتلاشى، ونعود... ليس إلى نقطة البداية تمامًا، بل إلى مكانٍ قبل أن ننكسر.

والحقيقة أنّه رغم أنّ الأمر يبدو وكأن لديّ خطة، فإنني لا أعرف حقًّا ما الذي سيحدث بعد ذلك. ربما لا ينبغي لي أن أعرف. ربما للحياة خططٌ تخصّها، ونحن لا نضلّ الطريق إلا عندما نخشى مواجهتها؛ خوفًا، أو ألمًا، أو بسبب قلبٍ مكسور. موت شارلوت حطّمنا بلا شك. لكن الأشياء المكسورة يمكن إصلاحها أحيانًا... فقط تحتاج إلى وقت وصبر.

أفلتُ يد آنا لأنني مرتبك مما يحدث بيننا الآن. تنظر إلى أصابعها، كأن لمستي قد آذتها، وأتساءل إن كنتُ قد جرحتها دائمًا دون أن أدري. لم أنم منذ أيام، ولا أريد أن أرتكب قولًا أو فعلًا يزيد الأمور سوءًا على أيٍّ منا.

— «يجب أن أذهب»، أقول، فتبدو على وجهها الحيرة. «مواعيد الزيارة... هل تذكرين؟ لقد كسرت القواعد بالفعل».

تهزّ رأسها، لكنها ترى من خلالي. كما كانت دائمًا.

تتفادى نظراتي، كأنها تخاف مما قد تجده فيها. ثم تسأل السؤال الأخير... بسيطًا في كلماته، ثقيلًا بما يحمله لنا من معنى:

— «هل ستعود لاحقًا؟»

— «بالطبع.»

أقبّل جبينها بلطفٍ شديد، ثم أغادر من دون أن ألتفت.

لم أحتج لحظةً لأفكّر قبل أن أجيب... وهذا لا يعني أن الإجابة كانت صادقة.

t.me/wadistreambooks

-٥٢-

حكايتها

الجمعة ١٥:٠٠

أراقبه وهو يبتعد، ثم أمسح دموعي وأضغط الزر الأحمر بجوار سريري. تدخل ممرّضة في منتصف العمر خلال دقائق قليلة، وأنا ممتنّة لذلك؛ لم يعد عندي وقت لأضيعه. شعرها قصير للغاية كقَصّة الجِنّيّات، ولها عينان خضراوان واسعتان، مُحدّدتان بخطوط كثيفة من الآيلاينر الملطّخ قليلًا. تبدو أكبر من صورتها على البطاقة بما لا يقل عن عشر سنوات.

— «هل كل شيء بخير؟» تسأل.

— «أريد أن أغادر المستشفى.»

يتجمّد وجهها في لحظة بينما يحاول عقلها استيعاب ما قلته.

— «لا أظن أن هذه فكرة جيدة.»

نبرة التوبيخ تجعلني أحبّها أقل.

— «ربما ليست كذلك، لكنها ما سأفعله. شكرًا على كل شيء، لكنني مضطرة للرحيل الآن. هل هناك أوراق يجب أن أوقّعها للخروج على مسؤوليتي؟»

ليست هذه المرة الأولى، أعرف الإجراءات. لا أحتمل البقاء في المستشفيات؛ رائحة الموت واليأس، وهناك أمور لا تحتمل الانتظار.

— «سأستدعي الطبيب»، تقول.

t.me/wadistreambooks

أستلقي بينما أنتظر. سيحاول الطبيب إقناعي بلا جدوى. حين أحسم أمري، لا أحد يستطيع تغييره... حتى أنا. ثم إنني بحاجة ماسّة إلى شراب.

وما إن تختفي الممرضة حتى أمدّ يدي إلى الخزانة بجانبي لأخرج حقيبتي. أعلم أن لا كحول فيها، لكن هذا ليس ما أبحث عنه.

أبتسم عند رؤيتها. السكين التي قتلتهم جميعًا ما زالت في مكانها.

t.me/wadistreambooks

كان عليّ أن أبدو ضحية لكي يصدق الجميع قصتي. لكن الحقائق واضحة: كنتُ في الغابة ليلة ماتت رايتشل، وكنتُ في المدرسة حين قُتلت هيلين، وفي المنزل يوم مقتل زوي، وكنتُ هناك عندما ضُرب ريتشارد حتى الموت. سحق «كات جونز» بين السيارة والشجرة ثم إطلاق النار عليها لم يكن ضمن الخطة الأصلية... لكنه خدم الغرض. لا وجود لشيء اسمه الصدفة. ومع ذلك... صدّقوني جميعًا.

كنتُ مقنعة إلى حدّ أنني كدتُ أصدق نفسي.

الكذب الذي نهمس به لأنفسنا هو الأخطر دائمًا. إنه غريزة... الحفاظ على النفس جزء من الـDNA. نحن جنسٌ من الكاذبين، وأحيانًا نصل النقاط بطريقة خاطئة عمدًا كي نخدع أنفسنا ونقول إن الصورة منطقية. نمدّ حكايات حياتنا كي تلائم الرواية التي نريدها، ونقدّم للعالم نسخة أجمل وأكثر قبولًا.

الصدق يخسر دائمًا أمام كذبة أكثر براعة.

والحقيقة؟ مبالغٌ في تقديرها. اختلاق الحكاية أفضل ألف مرة من الاكتفاء بما هو موجود.

عالم الخيال ليس للأطفال وحدهم. كالأحذية التي نرتديها... تكبر القصص التي نحكيها عن أنفسنا مع العمر. وعندما نكبر على قصة... نخترع أخرى.

فعلتُ ما كان يجب عليّ فعله.

t.me/wadistreambooks

بعد ستة أشهر

t.me/wadistreambooks

-٥٣-

حكايته

أعترف بأن الاعتناء بطفلة صغيرة وحدي كان أصعب بكثير مما توقعت، لكنني أتدبر أمري... على الأقل بالكاد. اعتمدت كثيرًا في الأسابيع الأولى على الجيران ولطف الغرباء. كان هناك أشخاص يعرفون ابنة أختي أكثر مما أعرفها أنا، من الحضانة والأنشطة المختلفة التي كانت أختي تصطحبها إليها. لقد قدموا لي عونًا كبيرًا، ومع ذلك كان الأمر صعبًا. بدأت الأمور تهدأ الآن، وبدأ "الوضع الطبيعي الجديد" يلائم حياتي.

أول ما فعلته بعد جنازة زوي كان بيع منزل والديّ. لم يكن الأمر سهلاً؛ فالمشترون لم يتحمسوا لمنزل ريفي قُتِل فيه شخص داخل حوض الاستحمام. لكنه بيع في النهاية—بمبلغ أقل كثيرًا من قيمته—لشركة تطوير عقاري ستقوم على الأرجح بهدمه. يمكنني التعايش مع ذلك... فالبداية من جديد أحيانًا تكون الخيار الوحيد.

كانوا متفهمين في العمل. مُنحت إجازة استثنائية، ثم سُمح لي بالتقدم لوظيفة بدوام جزئي في لندن؛ دور جديد أشك أن مديري السابق خلقه خصيصًا لي. البشر أكثر تعاطفًا عندما تقع المآسي لأناس يعرفونهم. ربما لأن وقوع الكارثة على أحد من معارفك يجعلك تدرك أنها قد تحدث لك أنت أيضًا. كنت أعلم أن عليّ مغادرة بلاكداون، هذه المرة إلى الأبد، ويسعدني أنهم وجدوا بديلًا رائعًا لرئاسة وحدة الـMCT أثناء غيابي. پريا ستقوم بعمل ممتاز، وهي تستحق الترقية.

لكن الأمور ليست جيدة كلها.

لدي نصيبي من العتمة، وأشياء رأيتها ستطاردني بقية حياتي.

أحاول ألّا أفكر فيما فقدته.

كل ما يمكنني فعله الآن هو أن أعيش يومًا بيوم، وأتمسك بما تبقى لدي.

أحيانًا يجب أن تخسر الكثير كي تدرك كم كنت تملك.

t.me/wadistreambooks

-٥٤-

حكايتها

«تذكير بأبرز أخبارنا في منتصف النهار. الرئيس السابق يظهر علنًا لأول مرة منذ مغادرته البيت الأبيض، العلماء يحذّرون من احتمال انقراض النحل خلال أقل من عقد، ونترككم مع لقطات لولد الباندا الجديد في حديقة حيوان إدنبرة هذا الصباح. يمكنكم متابعة المزيد عبر قناة بي بي سي نيوز. ومن فريق نشرة الواحدة، طاب نهاركم.»

أبتسم للكاميرا، وأربّت بأوراقي على المكتب، وأنتظر أن ينطفئ الضوء الأحمر. ما إن نخرج من البث حتى أتجه إلى جلسة المراجعة، وأستمع بأدب للفريق وهو يناقش نشرة اليوم. أشعر بسعادة كبيرة لعودتي إلى مكاني الطبيعي، مقدّمةً لنشرة الظهيرة. لا أحد يهتم بمن كنت؛ ما يهم هو من أنت الآن. مثل الأخبار القديمة، تُنسى النسخ السابقة من الإنسان بسهولة. هؤلاء الناس هم عائلتي البديلة فعلاً، لكن بعد كل ما حدث، تذكّرت أن لدي عائلة حقيقية أيضًا.

وما إن تنتهي الجلسة—إنه عصر الجمعة، ولست الوحيدة المتحمسة للانصراف—حتى أحمل حقيبتي وأغادر. أستقل سيارة أجرة توفيرًا للوقت. المنزل لم يعد حيث كان، ولا أستطيع السير إليه بعد الآن. بدأت أعتقد أن "المنزل" ليس مكانًا، بل شعورًا. ليس عليك دائمًا أن تعبر الجسر عندما تصل إليه؛ يمكنك أن تخطط مسبقًا، أو تحفر نفقًا

تحته، أو حتى تتعلم السباحة إذا اضطررت. هناك دائمًا طريقة للعبور إذا عقدت العزم.

بعتُ الشقة القريبة من واترلو، واشتريت منزلًا صغيرًا في شمال لندن. أحيانًا يبدو الأمر غريبًا، أن أعيش شمال النهر بدل جنوبه، لكنني احتجت بداية جديدة. ومنزلًا بحديقة. وممرًا لسيارة الـSUV الجديدة؛ فقد بعت الميني أيضًا.

أدفع للسائق، ثم أتقدم نحو الشرفة، ومفتاحي في يدي كي لا أهدر لحظة. ما إن أدخل البيت وأغلق الباب حتى أتجمد... أسمع خطوات خلفي.

هناك شخص بالداخل.

لكن لا بأس... فهو من المفترض أن يكون هنا.

تصرخ ابنة أختي:

— «آنا، آنا! النحل حي... تعالي تشوفي!»

تمسك بيدي وتسحبني نحو نافذة المطبخ. أحدّق في حديقتنا الصغيرة، إلى الصندوق الخشبي الأبيض الذي تشير إليه. خلية النحل التي ورثتُها عن أمي كانت الشيء الوحيد الذي احتفظت به من منزلها. شيئًا يذكّرني بها.

اضطررتُ لاستدعاء مختصين لنقل النحل من بلاكداون إلى لندن. قالوا إن الشتاء هو الوقت الأنسب، حين يكون النحل نائمًا، ومع ذلك—ورغم التكلفة الكبيرة—لم تكن هناك ضمانات بأنهم سينجون.

لكن الآن حلّ الربيع. مضت ستة أشهر، والأزهار تتفتح، وطفلة صغيرة تعيش في منزلي، وها هو النشاط يحيط بخلية النحل القديمة. ليست سربًا كاملًا، لكنها زيادة واضحة عن مجرد "قليل" من النحل. لقد خاضوا رحلة حياة صعبة وخطيرة، لكنهم نجوا. وها هم يبدأون من جديد في منزل جديد.

ليسوا وحدهم.

يدخل جاك المطبخ حاملًا حقيبة سفر.

- «لقد عدتِ!» يقول وهو يطبع قبلة على خدي.

ما زالت الأمور بيننا في بدايتها. جاك وأوليفيا انتقلا للعيش معي منذ أسابيع قليلة. حصل على وظيفة جديدة في لندن——ما يزال في الشرطة، لكن بدوام جزئي وأعمال مكتبية فقط. كنا نقضي وقتًا طويلًا سويًا، فكان الانتقال الخطوة المنطقية التالية. جاك وأنا نشعر كأننا عائلة مرة أخرى. لا أحد سيحل محل ابنتنا، لكن أوليفيا طفلة جميلة، وأشعر بالفخر لمشاركتي في تربيتها.

- «يجب أن ننطلق إذا أردنا تفادي زحمة المرور»، يقول.

- «سأذهب لإحضار أغراضي إذن»، أجيبه.

أتوقف عند الباب، وأنظر إليهما، وهما يشيران إلى النحل خلف الزجاج. لقد صنعنا معًا ملاذًا صغيرًا داخل المدينة. ما حدث سابقًا لم يعد مهمًا. فعلتُ ما كان يجب أن أفعله.

فالنسيان أحيانًا أرحم كثيرًا من التذكّر.

t.me/wadistreambooks

-٥٥-

حكايته

لم يكن اختياري أن أعود إلى بلاكداون اليوم. الفكرة وحدها تثقل صدري برهبة سوداء. لكنني أعلم أن الأمر مهم لآنا، ولن يستغرق وقتًا طويلًا. مجرد توقف سريع للاطمئنان على كل شيء، قبل أن نكمل طريقنا نحو دورست والساحل. عطلة قصيرة بعيدًا عن كل شيء... أنا وآنا وابنة أختي، التي أصبحت أشعر أنها ابنتي بالفعل. أوليفيا تعشق البحر.

عودتنا لبعضنا كان ما أريده دومًا.

أحيانًا، عندما تقع مأساة، تنفرط العلاقات. وقد حدث لنا ذلك من قبل. لكن هذه المرة سقطنا... في اتجاه بعضنا.

حين أنظر إلى آنا الجالسة بجانبي في السيارة، أرى المرأة الوحيدة التي أحببتها حقًا يومًا. خذلتها مرة، ولن أكرر ذلك. أصبح لدينا كل شيء الآن... تقريبًا كل ما حلمنا به، وأكثر. وسأفعل أي شيء لأجعلها سعيدة... وآمنة.

أي شيء.

نتوقف أمام منزل والدتها القديم. وبرغم القلق المرتسم على وجهها، تصرّ آنا على الدخول وحدها. هناك لافتة «للإيجار» بالخارج، وزيارات المستأجرين تبدأ غدًا. أظن أنها تريد فقط التأكد من أن كل شيء في مكانه، وتوديع بيتها القديم.

قضت الأسابيع الماضية هنا وحدها، ترتّب أغراض والدتها، وتعيد طلاء كل البيت. حتى الحديقة الخلفية أعادت ترتيبها؛ لم يعد فيها نحل، ولا سقيفة، ولا فوضى الحديقة القديمة. ثم مدّت فناءً جديدًا، غطّى تمامًا ما كان حديقة خضروات والدتها. فعلت كل ذلك بنفسها. لماذا لم توكّل أحدًا؟ لا أدري.

أنتظر عشر دقائق... ثم أقرر اللحاق بها.

تفوح رائحة الطلاء الجديد. المطبخ جديد بالكامل، والمكان يبدو شبه مختلف تمامًا. أجد آنا في الحديقة الخلفية، جالسة على المقعد الخشبي الذي كانت والدتها تحبه، تحدّق في الحديقة الجديدة. الفناء دائري من طوب رمادي داكن، تتوسطه قطعة حجرية مستديرة نقش عليها صورة لنحلة. بضع مزهريات تضيف لونًا، وعشب جديد يمتد نحو الغابة.

— «يبدو جميلًا حقًا»، أقول وأنا أغلق باب المطبخ خلفي.

تهز كتفيها، وأتظاهر أنني لم أرها وهي تمسح دمعة.

— «سيكون أفضل للمستأجرين. حديقة قليلة المتطلبات»، تقول.

— «بالضبط. لقد أحسنتِ العمل.»

— «فقط... لم يعد يبدو كمنزلنا.»

— «وهذا هو المطلوب. عائلة جديدة ستعيش هنا. لكنه سيظل يعني لك الكثير، ولن يغيّر أحد ذلك. ووالدتك كانت سعيدة لأنها لم تضطر لبيعه.»

— «أعرف... أنا سخيفة. إنه مجرد كومة طوب.»

— «كل شيء سيكون بخير، أعدك»، أقول وأنا أقبّل جبينها. «ثم إن لك الآن منزلًا جديدًا... معي ومع أوليفيا.»

-٥٦-

حكايتها

لم أظن يومًا أنني سأرى أمي تغادر منزلها.

كانت تقول دائمًا إنها تفضّل الموت على الرحيل. لكن حين فهمت السبب الحقيقي وراء تمسّكها به... عرفت ما يجب فعله. لم أصدق حقًا أنها قتلت أبي... حتى نبشت حديقة الخضروات وبدأت أعثر على العظام. الآن... لن يجد أحد شيئًا هناك. الفناء الجديد يغطي الماضي... وإلى الأبد.

ولا أشعر بالذنب.

أبي نال ما يستحقه، وأمي فعلت ما فعلته من أجلي... كما من أجل نفسها. الأشياء التي نفعلها لحماية من نحب... لا حدود لها.

المنتجع الخاص التي وجد جاك مكانًا لها فيها مذهلة. تكلفته باهظة، لكنني احتفظت ببعض المال من بيع شقة واترلو، وذلك ساعدنا كثيرًا. كما أن إيجار منزلها—الذي سينتقل إليه مستأجرون قريبًا—سيغطي باقي التكلفة. إضافة إلى أن السرطان الذي تعانيه شديد العدوانية. تبدو بحالة جيدة، أكثر سعادة مما رأيتها منذ زمن، لكن الأطباء يقولون إن وقتها قصير.

— «واو!» تقول أوليفيا من المقعد الخلفي.

إنها إحدى كلماتها الجديدة، وتناسب المشهد ونحن نصعد الممر الطويل.

الحدائق المشتركة مذهلة، نوافير صغيرة، إضاءة هادئة بين الزهور المنتقاة بعناية. الاستقبال يشبه فندقًا فاخرًا، وهناك مطاعم، مكتبة، مسبح، وحتى منتجع صحي. لأمي شقة في الطابق الأرضي، ولديها أهم ما أرادته دائمًا... حديقة خاصة تطل على غابة بلاكداون، وإن كانت من الجهة الأخرى للوادي.

— «مرحبًا يا أمي»، أقول وأنا أضمها، أستنشق رائحة عطرها المألوف.

تبدو بحالة حسنة، وزاد وزنها قليلًا. أرى أنها صفّفت شعرها، وثيابها نظيفة ومكوية كما كانت دائمًا. هناك من يعتني بتنظيف شقتها الآن—أمر لا تزال غير معتادة عليه بعد سنوات قضتها تنظف بيوت الآخرين. وجدتُ درجًا مليئًا بالمفاتيح في منزلها القديم؛ كان لديها مفتاح تقريبًا لكل بيت في القرية.

هناك من يمرّ عليها مرتين يوميًا ليعطيها الدواء، وإن كنت أشك أنها تتناوله دائمًا. الأزرار الحمراء موجودة في كل مكان لمساعدتها. يمكنها أن تتناول الطعام في المطعم، أو يرسلون لها وجبات طازجة مع وصفات لطهيها. احتاجت بعض الإقناع، ولا تزال تفتقد حديقتها القديمة، لكنها تتأقلم... ببطء.

الشقة بسيطة، ألوانها حيادية، لكن بها بعض ذكرياتها. صور لي في الخامسة عشرة، وصورة مؤخرًا لي مع جاك وأوليفيا... وهذا يسعدني. لم تعد متمسكة بنسخة قديمة مني؛ ترى من أنا الآن... وتحبني رغم كل شيء. يقضي الآباء شبابهم يحاولون فهم أبنائهم، ويقضي الأبناء حياتهم يحاولون فهم آبائهم.

تصرّ على تحضير الشاي. نسمع فتح الأدراج والخزائن. أحب هذه الأصوات القديمة... أكواب على صحون، ملاعق على خزف. ننتظر حتى تغلي الغلاية التقليدية، وأرتجف بلا وعي حين تصرخ بصوتها الحاد.

تعود تحمل صينية فضية جميلة ترتجف في يديها. ألاحظ أنها اشترت عسلًا عضويًا في زجاجة ضغط، بالإضافة إلى اللبن والسكر.
أبتسم. إنها بخير... رغم لحظات الارتباك.

— «النحل حي!» تصرخ أوليفيا عندما ترى العسل. لقد أصبحت شغوفة به بعد قصص "ويني ذا بو".

«نحلِك يعيش معنا الآن في لندن، يا ناني أندروز، وخرج من الخلية اليوم!»

— «لقد نجا في الرحلة؟» تسأل أمي وهي تحدّق بي.

— «نعم، يا أمي.»

— «هل وجدوا السكين داخل الخلية؟»

كنت قد خبّأته هناك بعد مغادرة المستشفى؛ لم أعرف ماذا أفعل به. كان ينبغي أن أعرف أنها ستجده—فهي الوحيدة التي قد تضع يدها داخل خلية نحل. ولحسن الحظ، الجميع يفترض أن هذا من "هلاوس الخرف".

أبتسم وأرفع السكين من على الطاولة لقطع الكعكة.

— «لا يا أمي، ها هو... النحل لا يحتاج السكاكين ليدهن العسل. الآن... من يريد قطعة شوكولاتة؟»

— «أنا!» تصرخ أوليفيا.

تطلب أمي أصغر قطعة ممكنة، وأعرف أنها لا تريد أكلها. كان يجب أن أخرجها من الصندوق وأتظاهر أنني خبزتها حتى لا تظن أنها مليئة بـ"السموم الصناعية".

— «المرأة ذات الذيل الحصان زارتني مرة أخرى»، تقول وهي تضع الشوكة.

أتجمّد، وأرفع رأسي ببطء.

— «تقصدين پريا؟ المحققة؟»

t.me/wedistreambooks

– «نعم. تحب أن تطرح عليّ الأسئلة.»

– «ولماذا تزور پريا أمي؟» أسأل جاك، فيشير بكتفيه بلا مبالاة.

– «إنها لطيفة. ربما تريد فقط الاطمئنان عليك، بعد كل ما حدث»، يقول.

– «بلا شك هذا هو السبب»، أقول مطمئنةً أمي... ونفسي.

لكنني أعرف أنها لا تصدقني. وأنا... لا أظنني أصدق نفسي.

تبتسم أمي وتتناول رشفة من الشاي، ثم تضيف قليلًا من العسل.

– «لا تقلقوا عليّ... أعرف كيف أعتني بنفسي.»

t.me/wadistreambooks

هناك دائمًا على الأقل جانبان لأي قصة:

جانبك وجانبي.

حكايتنا وحكايتهم.

حكايته وحكايتها.

وربما يكون من الأفضل ألا يعرف أحد غيري الحقيقة عمّا حدث. أشكّ في أنهم كانوا سيصدّقونني على أيّ حال. لا أحد يشكّ في امرأة عجوز صغيرة تُعاني ـ كما يظنون ـ من الخرف، بأنها قادرة على قتل الناس.

لم أعانِ يومًا مشكلة حقيقية في الذاكرة. وإن كانت هناك أشياء نسيتها عبر السنين، فذلك لأنني اخترتُ نسيانها. لكن تشخيص السرطان كان حقيقيًّا. وهذا يعني أنّ خروجي من ذلك البيت كان محتومًا بطريقة أو بأخرى، وأن شخصًا آخر سيدخل ويعثر على أخطائي الدفينة، المطمورة في الحديقة الخلفية.

كانت فكرة أن يعرف الناس الحقيقة عمّا فعلته بزوجي منذ سنوات طويلة أقرب ما تكون إلى ما لا يُحتمل. القصص السيئة عن الناس تلتصق بهم كالعسل، وأنا لم أُرِد أن يذكرني أحد بتلك الطريقة. لقد قضيت معظم حياتي امرأةً طيبة، فاعلة للخير. كان رجلاً عنيفًا، وكنتُ دائمًا أعتبر الأمر دفاعًا عن النفس، لا جريمة قتل. أتمنّى لو أن الأشياء جرت على نحو مختلف، بالطبع، لكن الندم ليس اعتذارًا. وأنا لستُ نادمة على ما فعلته، فقط لم أرغب يومًا أن يكتشف أحد الأمر.

t.me/wadistreambooks

كان دفنه تحت رقعة الخضراوات فكرة بارعة في نظري. مكانًا لم أظنّ أنّ أحدًا قد يخطر بباله البحث فيه. وجدتُ خاتم زواجه يومًا وأنا أنبش البطاطس من الأرض. كان هو السبب الحقيقي لعدم قدرتي على مغادرة ذلك البيت يومًا، لكنني أعلم أنّ **آنا** قد تولّت الأمر الآن بالنيابة عني.

طوال سنوات ظننتُ أنها غادرت المنزل حين بلغت السادسة عشرة لأنها عرفت ـ في أعماقها ـ ما فعلتُه. كانت قد رأتني مغطاة بالدماء، وموحلة من تراب الحديقة، ظهر ذلك اليوم الذي قتلته فيه. قررت الرحيل عن بلاكداون فور إنهائها المدرسة في العام التالي، ونادرًا ما عادت. ظننت أنني السبب؛ أنها كانت تكرهني لأنني انتزعت والدها منها.

اكتفيتُ بالنظر إلى صورها القديمة، طفلةً كانت أو صبية، ثم لاحقًا اكتفيتُ بمشاهدتها على شاشة التلفاز، تقرأ الأخبار. بدت سعيدة، مشرقة، مكتملة الوجود بدوني. فتقبلت زياراتها النادرة واتصالاتها المتقطعة، ممتنّة كلما تذكرتني.

كان **جاك** صاحب فكرة أن أعتني بـ **شارلوت** لليلة واحدة، ليأخذ آنا للاحتفال بعيد ميلادها. لم أمضِ وقتًا يُذكر مع حفيدتي الصغيرة، فشعرتُ بسعادة غامرة حين وافقت آنا. ظننتُ أنّ هذا قد يقرّب بيننا؛ أن تُدرك آنا، بعد أن صارت أُمًا، كيف يكون شعور الأم. لكن شارلوت ماتت. لم يكن ذنبي، ومع ذلك شعرت أنها تلومني.

بعد ذلك عاد الشراب ليتسلل إلى حياتي مجددًا. كان يخدر الألم. كان أهل البلدة يخلطون بين سُكري وبين إصابتي بالخرف، فخطرت لي فكرة. فكرة ممتازة. أعادت جاك إلى حياتي، وكنتُ آمل أن تعيد آنا أيضًا بدافع الشفقة. كل ما كان عليّ فعله هو التظاهر ببعض النسيان، والتجول في الشوارع ليلاً بقميص نومي. أصرّ جاك على أن يراني طبيب. ولهذا

فقط اكتشفت إصابتي بالسرطان، لا لأنني أخبرته أو أخبرت أحدًا بالحقيقة.

حين بدأت تنظيف البيت تمهيدًا لبيعِهِ، تركتُ غرفة آنا للنهاية. كنتُ قد احتفظتُ بها كما هي منذ غادرت. لاحظتُ سخامًا أسفل المدفأة، وهو أمر غريب لأنها لم تُستخدم منذ سنوات. أحضرتُ أدوات التنظيف، وأدخلت يدي داخل المدخنة لأنظّفها، فسقطت رسالة محروقة، متسخة، ممزقة، داخل الموقد. نظرتُ إليها طويلًا قبل أن أجمع قصاصاتها المكتوبة بخط آنا المألوف. حاولت حرقها على ما يبدو، لكن الدخان سحبها إلى المدخنة. ركعتُ على الأرض، ورصصتُ القصاصات كقطع أحجية.

كانت **رسالة انتحار**.

لا أعرف كم مرة قرأتها، لكن النهار تحوّل إلى ليل، وكانت أفكاري حالكة السواد مثل السماء خلف النافذة.

وصفت آنا في الرسالة ما حدث في ليلة عيد ميلادها السادس عشر، فشعرت بالغثيان والغضب العارم في آن واحد. قرأت عن المخدرات التي أعطتها لها **هيلين وانغ**، وعن الرجال الذين حاولت **رايتشل هوبكنز** إجبارها على مضاجعتهم، وعن كيف قامت **زوي هاربر** بتشويه قطّنا كتحذير حتى لا تخبر أحدًا.

كان ذلك منذ زمن بعيد، لكنني تذكرتُ تلك الليلة جيدًا. لم نكن نستقبل ضيوفًا عادة، لكنني وافقت أن تبقى آنا مع فتيات سانت هيلاريز، لأنني كنت أظنّ أنهن صديقاتها. كانت متحمسة جدًا ولم أستطع أن أقول لا. رأيتها تصنع أساور الصداقة لهن طوال أسبوع، وقد أعطيتها خيطًا أحمر وأبيض من سلّتي الخاصة.

ما زلتُ أمتلك صورة لهن جميعًا تلك الليلة. أعطتني رايتشل نسخة بعد أسبوعين، حين كنت أنظف منزل والدتها. طلبت مني أن أعطيها لآنا.

كنت أعلم أنه حدث خلاف بينهن ـ كن دائمًا معًا ثم فجأة لم يلتقين بعدها ـ ومع ذلك أعطيتها لآنا. وجدتها ممزقة في سلة المهملات يومًا بعد ذلك. لديّ عادة الاحتفاظ بالأشياء ـ بطاقات أعياد الميلاد، اليوميات، الصور ـ ولقد سعدت أنني احتفظت بهذه.

عرفتُ من هنّ بعد أن عثرت على الصورة.

وعرفت أين يعشن؛ فقد نظّفت بيوتهن جميعًا.

تقاعدت، نعم، لكنني ما زلت أملك المفاتيح، والناس نادرًا ما يبدّلون الأقفال. أخيرًا عرفت السبب الحقيقي وراء مغادرة آنا لبلاكداون. لقد كان بسببهنّ، لا بسببي.

وكان عليهن أن يدفعن الثمن.

ولم يكنّ هنّ فقط.

رحل جاك عن آنا بعد موت طفلتهما، وكرهته لذلك. وكرهته أكثر حين تبعت رايتشل هوبكنز من المحطة ورأيتهما يمارسان الجنس في سيارته. قررت على الفور، رغم كل اللطف الذي أبداه معي، أنه يستحق العقاب: لأنه هجر ابنتي ولأنه خانها مع تلك الوضِيعة.

كنت أنوي إلصاق جرائم القتل كلها به. استعرتُ حذاءيه التمبيرلاند لأرتديهما في الغابة. كانا كبيرين، نعم، لكن بعض القطن في الأصابع أصلح الأمر، ثم إنه وفر عليّ اتساخ حذائي. بدأت أزرع الأدلة في منزله وسيارته، وأتبعه قدر استطاعتي. قد لا توصل الطرق المختصرة إلى النجاح، لكن معرفتي بالغابة جعلت انتقالي بين أطراف القرية سهلًا وغير ملحوظ.

لكنني رأيتهما معًا مرة أخرى ـ جاك وآنا ـ وعرفت أن بينهما شيئًا لم يمت. كانا فقط بحاجة إلى دفعة صغيرة ليعودا لبعضهما، لا أكثر.

حين دخلت غرفة آنا في الفندق ـ نظّفت ذلك المكان لسنوات ـ وجدتها نائمة كطفلة. أحزنني أن أراها تشرب كثيرًا، لكنني أدركت

السبب. الكحول كان دائماً ملاذي أنا أيضًا. غطيتها كما كنت أفعل قديمًا، رتبت فوضاها، وضعت زجاجة ماء قرب سريرها. شعرت بسعادة غامرة وأنا أعتني بها، حتى وإن لم تعلم بوجودي. بدت كطائرٍ بجناح مُتكسر. أردت إصلاحها، وكنت أعلم أنّ نجاح خطتي سيكون مفيدًا لمسيرتها المهنية، ولحياتها الشخصية أيضًا.

كانت **كاثرين كيلي** الوحيدة التي غادرت البلدة. حين دخلتُ بيت والديها القديم في الغابة أبحث عن أي أثر لها، صُدمت حين رأيت صورًا لوجهٍ مألوف: مذيعة أعرفها. تلك التي سرقت وظيفة آنا.

كان قتل رايتشل ما أعاد آنا إلى بيتي.

وكان قتل هيلين وزوي ما جعلني أحتفظ بها قريبة مني.

وكان قتل كات جونز ما سيسمح لآنا باستعادة وظيفتها في نشرة الواحدة، ليكون بمقدوري رؤيتها كل يوم مجددًا.

اتصلت بي آنا في عيد ميلادها هذا العام، تبكي لأنها فقدت وظيفتها. لم أقل الكثير، وظنت أنني لا أفهم. لكنني فهمت. وسعدت جدًا لأنها اتصلت بي أنا. للمرة الأولى منذ سنوات احتاجتني، وكنت مصممة ألا أخذلها مرة أخرى. عندها أدركت: إذا عاقبتُ من آذاها في الماضي، سأمنحها مستقبلًا أفضل. كان علي أن أقتلهم جميعًا.

فعلت ذلك من أجلها.

جاءت كات جونز إلى بلاكداون فور أن استدرجتها. كانت تظن الرسالة من زوجها. سرقت هاتف **ريتشارد** من سيارته المفتوحة حين كان مع آنا يصوّران في الغابة. ثم أرسلت الرسالة:

«أعرف ما فعلتِ مع أولئك الرجال قبل عشرين عامًا. رأيت الصور، وأخشى أن يراها زملاؤك في الـBBC قريبًا. إن أردتِ إنقاذ زواجنا، أحضري الأطفال إلى بيت والديك الليلة لنتحدث.»

تجاهلتُ رسائلها اليائسة واتصالاتها. وبعد ساعات وصلت إلى البيت القديم، بوجه قَلِق، وابنتيها الصغيرتين إلى جانبها.

الباقي كان سهلاً...

حين صعدت لتفقد الفتيات، كنت أنا قد أخذتهن أصلا. لم أكن لأؤذيهن، قط، لكنها لم تكن تعرف ذلك. راقبتها تقلب المكان رأسًا على عقب. تصرخ باسم زوجها. وحين وصلت غرفة النوم، خيّم الصمت.

تركتُ لها صورًا قديمة، وملاحظة:

«ريتشارد لن يأتي، وقد أخذتُ أطفالك. هو لا يعرف ما فعلتِهِ قبل عشرين عامًا، ولا حاجة له أن يعرف. ولا بناتك ـ إن فعلتِ الصواب. ستُدمَّر الصور ويعود أطفالك إلى زوجك... كل ما عليك فعله أن تُنهِي حياتك باستخدام رابطة المدرسة المعلقة في السقف. إن اتصلتِ بالشرطة، أو بأيّ أحد، فلن تجدي أطفالك قبل فوات الأوان...»

حاولت استخدام هاتفها، بلا جدوى. لا توجد إشارة في تلك الغابة. وكنت أعلم أنها لن تغادر دون بناتها. انتظرتُها وهي تمشي بخوف، ثم تعود للبحث. وحين أيقنت أن بناتها غير موجودات، أحرقت الملاحظة وصور رايتشل، ثم عادت إلى الغرفة. لم أكن متأكدة هل ستفعلها أم لا. لكن معظم الأمهات يفعلن أي شيء من أجل بناتهن. وأنا كذلك.

كنت أريد لكاثرين أن تقتل نفسها، لأُلصِق كل الجرائم بها. لديها الدافع الأكبر. اختبأتُ تحت السرير أنتظر، والسكين في يدي. سمعت كل شيء: ترتيب الكرسي، خلع حذائها، بكاءها، ثم صوت الحبل حين وضعتُه حول رقبتها. لكنها غيّرت العقدة. ميزة تعلمتها من والدها في الإبحار.

ظننت أن كل شيء يسير وفق الخطة... حتى وصل زوجها فجأة. ذلك المصوّر الحقير. صرخ حين رأى زوجته تتدلّى من السقف. فطعنته قبل أن يلتفت ويراني، ثم هشمت جمجمته بثقالة من الحديد. لم يكن من

المفترض أن يكون هناك. ولا آنا أيضًا. اضطُررت للاختباء مجددًا حين صعدت.

حدّقتُ في كات بعد قتله. الحبل ما زال حول رقبتها، وعيناها مغلقتان. كنت متأكدة أنها ماتت. لكنها كانت ممثلة جيدة. مستعدة لفعل أي شيء لتنقذ بناتها، مثلي تمامًا. لا بد أنها رأت وجهي دون أن أنتبه، لأنها تعرفت عليّ لاحقًا.

اعترف أنّني خفت حين صادفتها في الغابة. كان يمكن أن تخبر آنا والشرطة بما فعلتُه. لكنها بدأت تصرخ بجنون، تطالب بمعرفة مكان بناتها. وطعنتني بسكيني حين رفضت الإجابة. كانت ابنتاها بخير بالطبع؛ مخدرتين قليلًا، نائمتيْن في السقيفة. وجدتهما الشرطة قريبًا. أنا لا أؤذي الأطفال؛ لستُ وحشًا.

أحيانًا أظن أن آنا تعلم أنّني قتلت هؤلاء النساء، كما قتلتُ والدها. لا أجد تفسيرًا آخر لكونها التقطت السكين التي أسقطتها كات في الغابة وأخفتها في حقيبتها. لا بد أنها عرفته. فقد استعرتُه من بيت جاك، من طقم أهديته لهما في زفافهما.

***

«ماذا تصنعين؟»

تدخل **أوليفيا** غرفتي، فأدرك أنّني كنتُ شاردة. عقلي يسرح حين يريد، ليس لأنّني مصابة بالخرف، بل لأنني عجوز. لا أتناول الأدوية التي يعطونني إياها؛ أغرسها في التربة مثل البذور. حين يأتي وقتي سأرحل بكرامة، لكن ليس الآن. قدوم **بريا باتيل** لطرح الأسئلة ليس من باب اللطف. وليس صدفة. فالصدف غير موجودة. والخيوط السائبة يجب التعامل معها دائمًا؛ قد تُربك المشهد.

تقترب الطفلة، ثم تجلس في حضني. تحدّق في سوار الصداقة الذي كنت أنسجه.

كان قد أوشك على الاكتمال.

أقبض على الخيوط الحمراء والبيضاء لأخفيها، متفاجئة ـ كالعادة ـ من بقع العمر على يدي وجلدي الرقيق كالورق. ثم أضع السوار في صندوق الجواهر الخشبي القديم الذي كان يخص آنا. أعلم أن أوليفيا رأته. الأطفال يرون دائمًا أكثر مما نرغب أو نتوقع.

تقول:

«كان جميلًا.»

أجيب:

«نعم، كان كذلك.»

«هل هو هدية لي؟» تسأل بخبث طفولي.

«أوه لا، إنه لشخص آخر... سيزورني قريبًا.»

يعتريها الحزن.

فأطمئنها:

«لا تقلقي، لدي شيء لك أنتِ أيضًا.»

أخرج زيّ **النحلة** من الخزانة، فتطلق صرخة فرح. يبدو **آنا** و**جاك** سعداء أيضًا، وهي تركض عبر الغرفة إلى الحديقة، تدور حول نفسها. صنعتُه بيديّ في صف الحياكة هنا. لطالما كنت جيدة بالإبرة والخيط.

أقول لها وأنا أراقبها من الباب:

«أشتاق إلى نحلتي المشغولة.»

فتضحك، وتغني، وترقص، مرددة الجملة نفسها مرارًا:

«أنا نحلة مشغولة! أنا نحلة مشغولة! أنا نحلة مشغولة!»

لكن كلماتها تصل إليّ بمعنى آخر تمامًا:

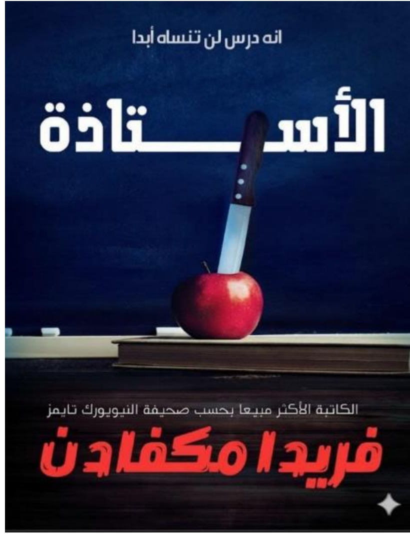
أسرة سعيدة. أسرة سعيدة. أسرة سعيدة.

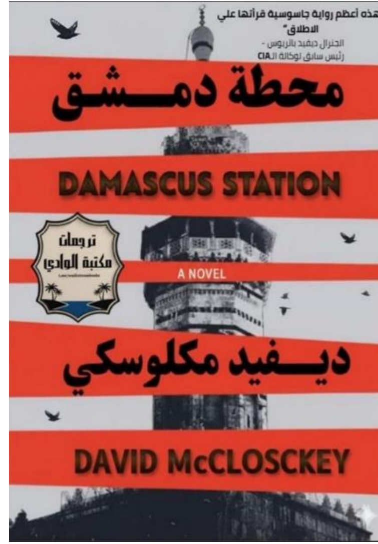
أبتسم لهم جميعًا عندها...
لأنني حصلت أخيرًا على ما تمنيت دائمًا.

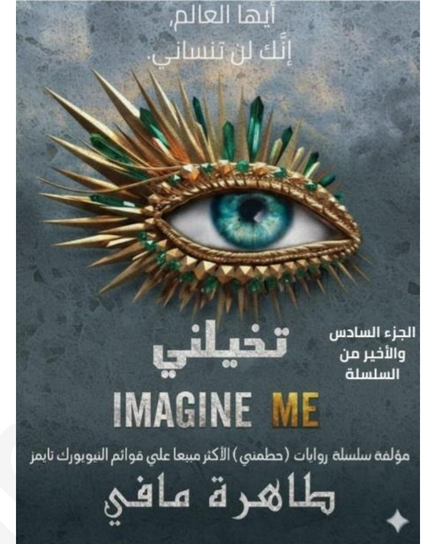
ـ تمت ـ

t.me/wadistreambooks

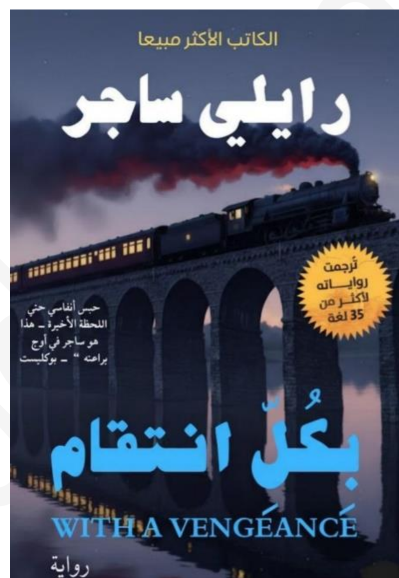
ترجماتنا

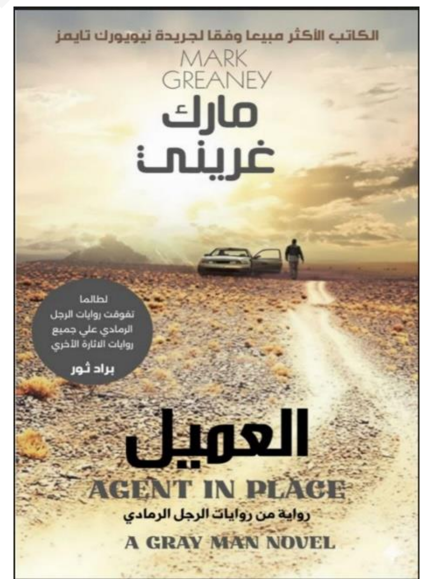












وغيرها الكثير علي قناتنا👇👇



t.me/wadistreambooks

حكايته وحكايتها

أليس فيني

هناك دائمًا على الأقل جانبان لأي قصة:

جانبك وجانبي.

حكايتنا وحكايتهم.

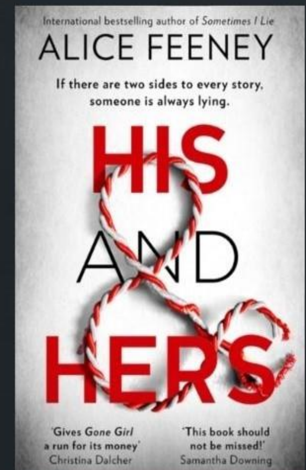
حكايته وحكايتها.

عندما تُقتل امرأة في بلاكدون، وهي قرية بريطانية بامتياز، تتردد مذيعة الأخبار آنا أندروز في تغطية القضية. يشتبه المحقق جاك هاربر في تورطها، إلى أن يصبح هو نفسه مشتبهًا به في قضية القتل التي يحقق فيها. أحدهم لا يقول الحقيقة، وبعض الأسرار تستحق القتل من أجل الحفاظ عليها.

"حكايته وحكايتها" هي رواية إثارة نفسية ذكية ومليئة بالتحولات. إنها حكاية تشويق آسرة، تُروى على لسان رواةٍ مرسومين ببراعة، ستبقي القراء في حالة تخمين حتى النهاية.







ترجمة / قناة wadistreambooks

@t.me/wadistreambooks

حقوق الترجمة محفوظة